نفحات أنطاكية

أغناطيوس الرابع

بطريرك أنطاكية وسائر المشرق

نفحات أنطاكية

منشورات

بطريركية الروم الأرثوذكس

دمشق

المحتويات

القدس قدس إذا كانت المدينة والشعب	١
الأرثوذكسية صائرة إلى قيامة	٤
وحدتنا من وحدة الله	٧
وحدها الحرية رسولة الحقيقة	١٣
خلاص لبنان في وحدته	١٧
كلكم راع	١٩
من له أذنان للسمع فليسمع	٢١
إيماننا يعبر عن شخصيتنا	٢٤
لبنان يحتاج المحبة والوفاء	٢٦
دور الكنيسة في الاغتراب	٢٩
كلنا حجارة في بناء الكنيسة الحية	٣٣
الدنيا تبدأ بالبيت	٣٦
حماة الإيمان لا يؤمنون	٣٨
الله لا يبارك الاقتتال	٤٠
إيمان إنطاكية	٤٢
ليس إنسان بلا عقيدة	٤٥
أتمنى أن نكون مسيحيين بالفعل	٥٠
دينونة لبنان تراثه	٥٢
التنظيم ضروري في كنيستنا	٥٤
لبنان في قلوبنا	٥٧

الخطيئة تجاهل الإنسان لخالقه ٥٩
العائلة المسيحية ٦٥
أنتم إنجيل حي ٦٩
بدون الحرية لا أخوّة صادقة ٧١
مجلس الكنائس خادم للكنائس ٧٣
لقاء تجمع المطارنة الأرثوذكس ٧٦
الماضي حمل ثقيل ٧٧
الإنسان هدف الخلاص ٨٠
القيم عضوية في تكوين شخصيتنا ٨٤
الحرف يميت والروح يحيي ٨٦
البعد الروحي يكمل الإنسان ٩٠
لا عداوة في المسيحية ٩٣
وجهنا واضح وقراءته سهلة ٩٨
الإعلام العالمي لا ينصفنا ١٠٢
الغرق في الماضي يقتل المستقبل ١٠٩
كِبَرُنا هو بالاسم الذي نحمله ١١١
بطرس هو بطرس ليس إلا ١١٥
ما أعظم أعمالك يا رب ١١٨
أسوأ سياسة تكديس الأموال ١٢٠
دعاء ١٢٤
حول لقاء اسطنبول ١٢٩
الكرسي الانطاكي ظُلِم لجهلنا إياه ١٣٥
المسيحيون العرب خدام لبلدانهم ١٤٠

المجمع المقدس الموسع	١٤٣
الله ليس كمثله أحد	١٥١
تكريم الدكتور قسطنطين زريق	١٥٣
البيت هو الذي يغذي المدرسة	١٥٦
الرجل يُعرف في أولاده	١٦٠
احترام الآخرين واجب	١٦٤
كنيستنا جامعية أما نحن فلا	١٦٩
المنافسة ليست معاداة	١٧٤
المعلم ليس مدرساً فقط	١٧٨
المحبة لا تسقط أبداً	١٨١
مؤتمر الحوار الأرثوذكسي ــ الأرثوذكسي	١٨٣
نجتمع لكي نلتقي	١٨٦
المؤتمر الأرثوذكسي العالمي	١٨٨
تكريم مؤسس الجامعة	١٩٣
الماضي وحده للأموات	١٩٦
نحن والانكليكان	٢٠١
القدس ليست بعداً سياسياً	٢٠٤
المسيح في القدس كذلك	٢٠٦
يجب أن يكون حضورنا فاعلاً	٢٠٨
لنا تقاليدنا، ولنا ثقافاتنا	٢١١
احترام المخلوقات احترام لخالقها	٢١٣
الكنيسة ليست مدرسة، إنها عائلة	٢١٥
نكره الأفعال وليس الشخص	٢١٧

شعبنا غيور ومحب	٢٢٠
تلمذوا كل الأمم	٢٢١
كلمة شكر	٢٢٤
الحوار محك الأُخوّة	٢٢٥
البشر ينقسمون أما الكنيسة فلا	٢٣١
الإيمان يصنع العجائب	٢٣٨
أنتم الكنيسة الحية	٢٤١
فليكن ذكره مؤبداً	٢٤٥
الماضي للذكرى والمستقبل للحياة	٢٤٩
نرفض كلمة حوار	٢٥٢
اجتماع اسطنبول	٢٥٦
أنا هو الطريق والحق والحياة	٢٥٨
حلو أن ننتقل من الكلام إلى الفعل	٢٦٣
أخلاقية الأديان أخلاقية شخصية	٢٦٧
زيارة البابا إلى سوريا	٢٧٠
المسيح لكل الناس	٢٧٥
يجب إحقاق العدالة لا روح الانتقام	٢٨٠
القانون المدني مُلزِم أما الكنسي فلا	٢٨٢
نريد بناء وطن ومواطن	٢٨٥
المعطي الكبير هو الإنسان الكبير	٢٨٩
المرأة تتعلم ولكنها تعلم	٢٩١
نحن معاً ونتشاطر المصير	٢٩٥
الأنماط التاريخية الواقعية للتعايش السلمي	٢٩٨

الأرثوذكسية فرح ومسؤولية	٣٠٢
تداعيات ١١ أيلول ٢٠٠١ إلى أين؟	٣٠٥
نحن موحدون ولا أصنام عندنا	٣٠٨
لا بديل عن القدس	٣١٤
اقرعوا يُفتح لكم	٣١٨
الكبرياء أخطر ما يواجه الإنسان	٣٢٠
الناس سواسية	٣٢٣
لقاؤنا يتجاوز الحوار	٣٢٥
القدس كذلك عاصمة للمسيحية	٣٢٧
نحن خدّام لشعبنا	٣٣٢
صعبة هي محبة الذي لا تراه	٣٣٥
أنتم شهود للأرثوذكسية	٣٣٦
الفاشل في المحبة فاشل في كل شيء	٣٣٨
نحن لا نحتكر الأرثوذكسية	٣٤١
وحده الله واحد	٣٤٣
الله يخلق للحياة	٣٤٥
القرآن الصغير والقرآن الكبير	٣٤٩
المحبة هي الأقوى	٣٥٤
السلام، سلام الإنسان	٣٥٦
العنف يولد العنف	٣٥٩
ننحاز إلى قوة الحق لا حق القوة	٣٦١
ملكية الحقيقة ليست حصرية	٣٦٣
يجب أن يكون الفعل هاجسنا	٣٦٧

الجامعة، جامعة الخدمة	٣٧٠
الله يحب الجميع	٣٧٣
قوة الحب هي القوة الحقيقية	٣٧٥

توطئة

«نفحات أنطاكية» كتاب جديد في سلسلة الكتب التي تصدر عن دار البطريركية الأرثوذكسية في دمشق موثقة بعض أقوال صاحب الغبطة البطريرك اغناطيوس الرابع منذ توليه السدة البطريركية في الثامن من شهر تموز سنة ١٩٧٩. وهذا الكتاب يضم كلمات تحمل نفحات أنطاكية لفظها صاحب الغبطة في مناسبات عديدة.

وكما أن لكل منا اسماً يحمله ويعرف به، كذلك الكتب. ولكن الاسم لا يعبر أبداً عن محتوى الكتاب. إنه يشير إليه، ولكنه ليس هو. ومعرفته في العمق تتطلب قراءة متأنية ودؤوبة لتجد أن تعبك لم يذهب سدى وأن كنوز إيمانك تستحق الغوص لاكتشافها.

ومعروف عن صاحب الغبطة أنه يتقن لغة «الضاد» ولكنه يحاول قدر المستطاع الابتعاد عن الأسلوب المعقد والكلمات العسيرة الفهم مقارباً أكثر فأكثر اللغة العامية، لغة الشعب، ليكون التواصل مباشراً بينه وبين مستمعيه دون أن تقف اللغة حاجزاً بينه وبينهم وكأن كل واحد يقف على ضفة من ضفتي النهر. إنه يود أن يطال أكبر شريحة ممن يحدثهم شأنه شأن مسيحه الذي لم يأنف من أن يستخدم الأمثال ليكلم البسطاء وليفهم تلاميذه ويحولهم من صيادي سمك إلى صيادي الناس. لقد قدم لهم طعاماً يسهل هضمه، وما فائدة الكلام الذي يبدو وكأن الإنسان يتحدث فيه إلى نفسه؟

نحن كنيسة في العالم لها رأيها ورؤيتها في كل ما يحدث ويقال. ولها هواجسها وهمومها. وهي لم تكن أبداً لا مبالية أو متغاضية عن كل ما يجري حولها. لذلك كان لآباء الكنيسة حضورهم الفاعل ورأيهم القاطع ولم يسكتوا أبداً عن الظلم

والظلامة بل ناهضوا الجور حتى الشهادة. وصاحب الغبطة بطريركنا لم يشذ عن هذه القاعدة. فحضوره كان دائماً ملفتاً وآراؤه الجريئة كانت دائماً تؤكد هذا الحضور وتؤكد أن الكنيسة موجودة وهي ليست هامشية أو غائبة: «فإذا كنا نحس أحياناً أن عندنا شيئاً من الضعف فهذا لا يجعلنا نقف متفرجين على الأوضاع حولنا بل نعالج ذلك إذا كنا مؤمنين فعلاً ونحب كنيستنا فعلاً...» ويقول أيضاً: «إيمانك ليس لك، إيمانك لكي توصله إلى غيرك الذي يحتاجه والذي أرسلك الرب يسوع إليه وهو نفسه جاء من أجله».

وبطريركنا يلقب بـ (أبو الحوار). إنه يختلف معك أو يوافقك الرأي ولكنه حتماً يلتقيك ويتحدث إليك: «إننا مطالبون باسم الكنيسة الجامعة أن نروي عطش معايشينا إلى الحقيقة. والحوار ليس حديثاً فكرياً نظرياً فقط بل هو عيش وممارسة ومعاناة مشتركة». وفي موضع آخر يقول: «نحن في الكرسي الأنطاكي نشجع الحوار بين الناس وخصوصاً بين الكنائس. بالحوار يشعر الإنسان أن الآخر حاضر أمامه.. الغياب نوع من الموت». وبلفتة بارزة إلى مفتي الجمهورية السورية: «يا صاحب السماحة أنا لا أعرف المسلم من الكتاب لأنه ليس مجرد كتاب. المسلم حاضر أمامي بحيث أراه بوضوح... ما دمنا موجودين معاً يجب أن يقرأ واحدنا الآخر لا أن يقرأ عنه فقط».

وغبطته يتابع أمور الكنيسة في كل دقائقها فيذكر المدارس مثلاً: «المدرسة ليست تلقينية تدريسية فقط ولكنها قبل كل شيء تصوغ كائناً بشرياً. لذلك لا يمكن أن تكون بدون أساس». ويزيد: «إن الأب الذي لا يقوم بتربية أولاده فإن غيره سيقوم بها عنه». وفي موقع آخر يقول: «المدرسة لم توجد لتحل محل الأسرة، وهذه هرطقة إذ لا شيء يحل محل الأم والأب أو الأسرة... حذار أن تستقيلوا من مسؤولياتكم في البيت». أما عن المعلم فيقول إنه «إنسان قبل كل شيء يعطي من

قلبه ومن كيانه». ويشير: «هناك طلاق بين مؤسساتنا وبين الإيمان. نحن نفضل أن لا نكون أشخاصاً لا طعم لهم ولا لون ولا رائحة».

وفي المغتربات، حيث زار كل أبرشياتنا هناك، تناول غبطته في أحاديثه الكثيرة وعظاته تفاصيل حياتهم الكنسية والمدنية: «أتمنى أن تكون جاليتنا واحدة موحدة لأنها إذا انقسمت هنا أضرت بنا هناك وإذا اجتمعت هنا أعطتنا قوة هناك».

وفي المسائل الوطنية هناك مواقف وأقوال عبر عنها صاحب الغبطة في محطات مختلفة: «الذي يحب لبنان يحبه بكامل أرضه وبكل ما فيه». ويضيف: «المؤمن دينونته إيمانه وليس إيمان الآخرين» «أشعر أن تقليد كنيستي يوبخنا دائماً لأنها هي شاملة وهي جامعية أما نحن كأبناء فلسنا جامعيين». ويعلن: «في مجال النوعية ليست هناك أقلية ولا توجد أكثرية. فالحقيقة والصحيح والأصالة والجدية تستطيع أن تأتي كلها من شخص واحد..».

هذا غيض من فيض. ولن نُضمِّن التوطئة الكتاب كله. فالكتاب، عزيزي القارئ، بين يديك. إنه كتاب تعليمي جاد ونحن متأكدون أنك إن غصت فيه فلن تخرج خالي الوفاض.

القدس قدس إذا كانت المدينة والشعب*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

في لقاء كريم كهذا يحلو لي أن أحييكم باسم المسيحية المشرقية. فالمسيحيون المشرقيون مثلكم ينشدون وجه الله، وفي نوره تعالى يسعون إلى أصالة الإنسان وحريته. والفرح يملأ قلوبهم ويتعاظم كلما شهدوا في شعوبكم ازدهاراً واندفاعاً وراء الحق والعدل. فالعدل قبس سماوي، وتقرب إلى الله، وإعراب عن الطاعة الحقيقية للذات الإلهية.

إننا مثلكم تواقون إلى خالق السماوات والأرض وملتمسون الرضى الإلهي في كل زمان. ومن فيض هذا الرضى نستمطر غيثاً من البركات على كل مجاهد ومناضل من أجل إحقاق الحق ونبذ الباطل. ولا يضعف من عزيمتنا أن يكون للباطل جولات وصولات، فإيماننا ثابت كالجبال بأن الباطل مآله في النهاية إلى زوال.

إنه لمن دواعي الغبطة أن نكون معكم في هذه الديار الكريمة لنقول ما في قلوبنا من شعور وآمال. فالشكر الجزيل لمن أدى لنا هذه المكرمة، جزاه خيراً رب المكرمات.

هاجس المؤتمر تضميد جراح الأخوة. فما أشرفه هاجساً وما أسماه. ونحن معه ندعو الرب بكل جوارحنا ليمد يد رحمته ويوقف كل نزف ويشفي كل جرح.

---

* الطائف، السعودية، خطاب في مؤتمر ملوك ورؤساء الدول الإسلامية، ١٩٨١/١/٢٥

القدس، أيها الأخوة، قلب إنسانيتنا. وما يصيبها يصيب كل بشري بمقدار. فأَكْرِم بمؤتمر القدس. نقولها احتراماً وإكباراً.

عهدنا مع القدس عهد طويل. نحن نصلي وهي مدينة الصلاة. ولنا بها صلات روحية إيمانية أبدية. وفيها يرفع العبادة إلى الله كل عُبَّادِ الإله الواحد الأحد. وفيها يلتقي المصلي أخاه ويتعرفه: إن للقدس وجهاً روحياً دينياً إنسانياً، لا سمح الله بأن يمسي مجرد شأن سياسي.

الفلسطينيون أصحاب البيت. فكيف يجوز تحويلهم في بيتهم إلى زائر وعابر سبيل؟ وكيف لا يكون لهم في القدس حق الوجود والبقاء؟ القدس قدس إذا كانت المدينة والشعب، لا المدينة بدون الشعب ولا الشعب بدون المدينة. إن كان الله قد افتقد الشعب الفلسطيني بالانتشار لزمن، فذلك لا يعني أنه فقد رباطه بمكان به تقدس، وإليه حج، وفيه ناجى ربه على أفضل ما يمكن من المناجاة.

القدس لأهلها لا للعنصرية. فالعنصرية في القدس ـــ كما هي في كل مكان ـــ لطخة في جبين الحق والعدالة. في القدس نلتمس وجه الله، وفي لبنان نلتمسه كذلك.

لبنان دمه يسيل وجراحه أعظم بكثير من أن تندمل بالتأوه والتأسي. إنه يتوقع من أشقائه محبة تشفي جراحه في الواقع. والمحبة أصلاً لا تكال بالكيل ولا تقاس بالمقادير.

لبنان دفء للجميع ومكان تلاقي الأفكار وتفاعلها ليصبح كلها للكل. وحلاوة لقيا المسيحيين والمسلمين فيه لا تضاهيها حلاوة.

إنه غاية ومرام، منبر للابتكار والخَلْق ووجه مشرق باسِمٌ للجميع. بل إنه عنصر تعزية للجميع. وحدتنا متأثرة بوحدة لبنان، وعافيتنا من عافيته. ووحدته حق له، وعافيته حق له، وسلامه حق له.

أيها الأخوة،

إن لبنان اليوم يناجي القدس في فرادته وأصالته. والقدس اليوم تستدعي لبنان في فرادتها وأصالتها. والقدس ولبنان في دنيا العرب قطبان وركنان وضرورتان لكل سلام.

آمالنا بكم كبيرة لأن ثقتنا بكم عظيمة عظم محبتنا. فالله نسأل أن يغمركم بغيث نعمته. وأدعية المؤمنين ترافقكم. كان الله معكم.

✠ ✠ ✠

الأرثوذكسية صائرة إلى قيامة*

قداسة الأخ الحبيب البطريرك ديمتريوس الأول، أيها الأحباء، نحييكم في مستهل هذه الكلمة. ونعبر عن عميق فرحنا لوجودنا بينكم في كنف هذه الديار الزاخرة بالروح والتاريخ ذاكرين أن الحقيقة المسيحية الأرثوذكسية إنما اتخذت شكلاً وتعبيراً هنا في نيقية والقسطنطينية وخلقيدون وأمست تتردد على فم كل مؤمن أرثوذكسي على مر الأيام. في هذه الديار أيضاً ألهب الروح القدس نفوساً قلما يوازيها في السمو مثيل أمثال الذهبي الفم والنازينـــزي ومكسيموس المعترف وغريغوريوس بالاماس الذين دخلوا مع الكثيرين باب التقليد الحي بحيث أصبح جهلهم زلة وخطيئة.

إننا نأتي إلى هذا المكان على أنه مكان تجلت فيه حقائق الإيمان. نأتيه ونذكر أن بطرس الذي منه ننحدر إنما هو أخو أندراوس الذي إليه تنتمون. وفي الحوار (يوحنا ١٩:٢١ و٢٣:١٢) يبدو جليا أن الرسولين اتجها نحو المجد الذي رسمه المخلص الرب يسوع لذاته ليفتدي العالم أعني به مجد الصليب. فالصليب يربط كنيستينا بتاريخ مشترك من الآلام والأوجاع والنضال المرير. كما أن رجاءنا واحد وهو أننا لن نستسلم للموت لأنه هو مات. ولن نتلكأ في مسيرة الخلق والجهاد لكي يمسي ذكر الله وكنيسته المقدسة لا شأناً مرتبطاً بالماضي، بل أمراً نعيشه اليوم ونصوغه اليوم ونواجه به التاريخ بتاريخ، والماضي بحاضر يملأه الرب ويغنيه. إننا لا شك مدعوون إلى المحافظة على الروح الحي علماً بأن

* خلال زيارة البطريرك الأنطاكي لاسطنبول ١٩٨١

الحفاظ على الحياة لا يكون بحصرها ولا بتجميدها لئلا تتحول إلى مجرد مومياء.

نحن ندرك أن حمل كنيستكم المقدسة، أولى الكنائس، ثقيل هو، ولكنه لن يتاح له أن يخف إلا بالتعاون الكلي مع الأخوة. لأن الكنيسة المحلية إنما هي الكنيسة الجامعة في مكان ما. وهي تحمل همها في مكان وجودها ولا تكون مجرد كيان مواز أو كيان بديل.

ونحن في الكرسي الأنطاكي نرى أنه لا يجوز لنا أن نهمل الإنسان الذي وضعه الله أمامنا وربط مصيرنا بمصيره بل أن نتخذه بإخلاص وصفاء وبلا تردد كما هو، لئلا يمسي حوارنا بالكلمة الإلهية حواراً مع إنسان نظري لم يخلقه الله بدل أن يكون، كما في الأصل، حواراً مع خليقة الله التي شاءها هو تعالى اسمه وتمجد.

لقد وضعتنا الإرادة الإلهية في منطقة متميزة بمعنى أن فيها ينعكس التاريخ بأجلى ما فيه من صور. ولا نزال نلتفت حولنا فنجد الأخ الذي انفصل عنا يوماً والأخ الذي لم يتعرف إلينا بعد والأخ الذي يستدعي منا ترجمة كاملة لحقائق إيماننا لكي تجد هذه الحقائق طريقها إلى قلبه وذهنه بنعمة الرب وقوة الروح القدس.

إننا حقاً مطالبون، باسم الكنيسة الجامعة، بأن نروي عطش معايشينا إلى الحقيقة التي أؤتمنا عليها. والحوار عندنا ليس حديثاً فكرياً نظرياً فقط بل هو عيش وممارسة ومعاناة مشتركة.

فإن لم نرتض هذا العيش وهذه الممارسة وهذه المعاناة قضينا على أنفسنا بغربة في بيتنا وبين أهلنا، وحكمنا على أنفسنا وبالتالي على الأرثوذكسية

بالهجرة الروحية والجغرافية وبالاكتفاء بالوجود الرمزي. وما أمَرّه وضعاً أن تكون كنيسة التجسد والقيامة غير متجسدة وبالتالي لا تسطع بالقيامة.

عالمنا العربي عالم أتى المسيح من أجل خلاصه. في هذا العالم نفرح ونحزن، فيه نعرف البهجة وفيه نذوق الألم. والعالم كله اليوم يعرف أننا ننـــزف كل يوم من القدس إلى لبنان لا جغرافيا فقط بل في أعماق أعماقنا وفي نفوس أطفالنا.

إننا نحيا على الإيمان بأننا ملزمون بكل أرثوذكسي أينما كان وبأن الوحدة الأرثوذكسية الحقيقية هي في أن يكون كل أرثوذكسي مع كل أرثوذكسي.

المسيح في كنيسته المقدسة ولن يتركها وستشرق بوجهها الساطع في هذا الشرق الذي ولدت فيه. فبمعاونتكم ـــ يا قداسة الأخ الجليل ـــ ومعاونة الأخوة في كل مكان، الأرثوذكسية صائرة حتماً إلى قيامة وانتشار. ولكم الكرامة والمحبة وبكم الرباط الكنسي القوي الذي لا ينفصم. المسيح قام.

✞ ✞ ✞

وحدتنا من وحدة الله*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

لا حاجة، أيها الأحباء، إلى القول بأنه لحدث عظيم أن نجتمع في الكنيسة المقدسة وأمام هيكل الله. فإن الرب صلى مرتين وفي المرتين كان يخاطب الله الآب ويطلب أن يكون الجميع أبناءه. والحقيقة أنه ليس لنا أكثر من أب واحد هو الأب السماوي، وأن وحدتنا من وحدته، وانتماءنا إنما يكون إليه، وإياه نعرف بواسطة ربنا يسوع المسيح وبنعمة الروح القدس، «الله لم يره أحد قط، الابن الذي في حضن الآب هو أخبر». ولذلك فنحن ننتمي إلى هذا الابن بالذات، أعني الرب الوحيد يسوع المسيح ابن الله الوحيد.

إننا ننتمي إليه، ولو كنا غالباً ما ننسى انتماءنا إليه وإليه وحده. فيظن الواحد منا أنه ينتمي إلى سواه، إلى رفيق أو صديق أو قريب، أو جار، وقد نظن أنه بالإمكان أن نؤلف من أنفسنا جماعات مسيحية أخرى.

أيها الأحباء، مِثْلُ تلك الأيام قد ولى وها نحن نجتمع اليوم لنقول جميعاً بصوت واحد (أبانا الذي في السماوات).

وهذا يعني أنه ليس أحد من الحاضرين ههنا ينكر على من ينادي (أبانا) أنه ابن لذلك الأب. أيام كان البعض يتوهم أنه وحده ابن لله وسواه هو ابن الجارية وأنه بالتالي غريب. تلك الأيام قد انقضت رغم أنها تركت رواسب

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، أسبوع الصلاة من أجل الوحدة، ١٩٨٣/١/٢٣

كثيرة في نفوس الكثيرين.

أود أن أواجه الواقع، لأن الكثيرين يتوقعون الآن مني أن أواجه الواقع. أيها الأحباء واقعنا أصبح مختلفاً اختلافاً عظيماً عما كان، فها نحن الآن معاً، نصلي معاً. نعيش معاً، نحب معاً، ونتبادل المحبة. هذا واقعنا الذي لم يكن من قبل. لماذا لم يكن من قبل؟ ذلك لأن الله أراد لنا أن نحمل اليوم مسؤولية الواقع الجديد وأن نتكفل بإيجاده.

نعم اليوم: «كلكم راع وكل راع مسؤول عن رعيته». هذا القول الإلهي اليوم يوم تحقيقه.

إكليريكياً كنت أم علمانياً، إذا نظرت إلى أخيك وكأنه مسيحي من الدرجة الثانية، فأنت ابن العهد القديم، ولست من عهدنا هذا. وإذا أدعى أي منكم أنه وحده معلم الإيمان وسواه مجرد تلميذ، فهو ينتمي إلى العهد البائد. فالله وحده يُعَلِّم الإيمان. فباسم الله وحده واسم يسوع المسيح ابنه الوحيد المتجسد نجتمع هنا، ويقف الواحد منا وجهاً لوجه قبالة أخيه.

كان فيما مضى يغزو النفوس عنصر كبريائي، كبريائي متعال يقول: (أنا كل شيء وسواي ليس بشيء، أنا أضع الله في جيبي، وفي جيب سواي ليس من شيء، أنا حبيب الله المدلل وسواي مكتوب له أن يكون وقوداً لجهنم). هذا عهد قد مضى، عهد إن كان قد ترك أثراً في أي منكم، فلنستغفر الله. لأن الله لا ينظر إلى خليقته هذه النظرة ولا يفكر هذا الفكر، ولا يعامل الناس بمثل هذا الأمر الذي هو أمر روحي داخلي. فليفحص كل إنسان نفسه وليقف أمام الرب ويطلب: «أبانا الذي في السماوات ليتقدس اسمك على الأرض مثلما هو مقدس في السماء». بهذا تتم الوحدة.

يجب أن نعترف بأننا تعسفنا، وأننا قسونا وأننا جهلنا وأهملنا و لم نهتم بما هو لأخينا، فكأن الله لم يكلم سوانا.

الوحدة درس. نعم إنها درس. أيها الأحباء. هذه نقطة أولى وددت أن ألفتكم إليها. لا تقولوا إن الرئاسات وحدها مسؤولة، إنها مسؤولة وأنتم كذلك مسؤولون. لا تقولوا إن فلاناً البعيد وحده مسؤول. فالبعيد مسؤول، وأنتم القريبون كذلك. لا يلومن أحد أخاه، فالكل فيما مضى كانوا على سلاحهم لضرب أخيهم. لوموا أنفسكم، فليلم كل واحد منا نفسه. فالكل في حاجة إلى رحمة الله، وصلاتنا جميعاً أمام الله هي أن يرحمنا: (يا رب ارحم). كلنا فقراء إلى رحمة الله ورضوانه، وليس لأحد أن يستكبر أمام الرب. فلنحنِ رؤوسنا للرب، نحن الخطأة ولنسأل الغفران، اطلبوا الغفران من أخوتكم.

نقطة أخرى أود التحدث عنها. عندما يتحرك الإنسان، أيها الأحباء، وبين يديه قطعة من نحاس يخطو خطوة معينة. وعندما يحمل لؤلؤة ثمينة يخطو خطوة أخرى. نحن ضعفاء، كلكم ضعفاء، كلنا ضعفاء. والرب سلمنا كنيسته وأوكل إلينا جوهرة تفوق كل اللآلئ حتى أنه ينبغي أن يبيع الإنسان كل اللآلئ من أجل أن يشتريها ويقتنيها. لذلك إذا رأيتم بعض التمهل والتؤدة في المسيرة الوحدوية، فذلك لأن من يحمل الكنيسة إنسان يدرك ماذا يحمل. كلنا بشر، فأرجو أن تنظروا إلى رئاساتكم على أنها مسؤولة ومؤمنة وأن من واجبها أن تكون مسؤولة وتتصرف بمسؤولية. فالإنسان إذا أؤتمن على شيء، لا يشعر بالحرية ذاتها التي يشعر بها عندما يكون مالكاً لأن الأمانة تقيد. وكنيسة الله ليست ملكي. كنيسة الله ليست ملك المطران أو الطائفة، كنيسة الله لله وحده. ولذلك وجب حتماً أن نسير في طريق الوحدة لكن علينا أن نسير كما يليق

بمسؤولين وهذا مهم جداً.

ماذا حصل أيضاً في مسيرتنا الوحدوية؟ هنا أميز، لأن ما حصل هو متميز أيضاً. فبيننا وبين الكنائس الشرقية: كنيسة أخوتنا السريان، كنيسة أخوتنا الأقباط، الأرمن الشرقيين. لم يعد عندنا ما يعيّر به الواحد منا الآخر. أراد الله أن يكشف لنا بعد عهود سحيقة أن ذاك الذي كان بجانبنا هو أخ، أخ بالقول وبالفعل. أخ بالإيمان، وبالصدق، وفي المسيرة إلى الأمام. أود أن أخبركم بأنه منذ سنين لم يحدث ما ترونه الآن في كنائسنا الشرقية. نحن الآن واحد في الروح وإن بدونا متعددين. نعم نحن واحد. وهذا لم يكن معروفاً من قبل.

أما الكنائس الأخرى فكانت كما كان الغرب أي بعيداً عن الشرق. الغرب والشرق متباعدان. كانا متنافرين أما اليوم فمن الغرب نتعلم أن الشرق ليس هرطوقياً، ومن الشرق نتعلم أن الغرب لا يطعن في صحة إيمان الكنائس الشرقية. الكل يقولون بصحة إيماننا. الكنائس الشرقية التي ولدت في هذه المنطقة، ونمت فيها وحفظت في هذه البلاد وفي هذه المنطقة تراثاً وغنى لا يمكن أن يوجدا في أي مكان آخر من الأرض، تلك الكنائس لا يزيد أحد على إيمانها وإيمانها كامل، لا تنقصه ناقصة ولا تشوبه شائبة.

المسؤولية في الشقاقات تقع على الكثيرين، لا على المدعوين «مسؤولين» وحدهم. المسؤولون ليسوا عقبات في سبيل الوحدة. اليوم المسؤولون كلهم يعلنون أنه ليس من عقبات إلا في بعض الأمور التربوية وسآتي على ذكرها.

سمعت بالرأي القائل: ينبغي أن نعبر عن الوحدة أكثر مما نفعل وأن لا نكتفي ببعض التظاهرات. ما حققناه حسن لكننا يجب أن نطلب المزيد.

حققنا الاجتماعات والحمد لله والمحبة ومبادلة الوداد والتعاون وبعض التنظيم والترتيب لبعض شؤوننا. هذا صحيح. لكن يبقى تعبير أساسي وهو أن نعيد عيد الفصح معاً.

أيها الأحباء، أتحدث بصفتي مسؤولاً أرثوذكسياً كما أتحدث عن أخوتي الكاثوليك وسائر الأخوة فأقول: لم أحدث أحداً من المسؤولين في كل الكنائس إلا ورأيته قد تجاوز مجرد السؤال فيما إذا كان يجب أن نعيد الفصح معاً أم لا. مرحلة التساؤل هذا قد طويت، والموضوع الوحيد الماثل اليوم أمام الكنائس ينحصر في كيفية تطبيق الاقتناع بوجوب تعييد الفصح معاً. أرجو أن تسجلوا هذه الخطوة. لسنا وحدنا على الأرض ولسنا وحدنا الكنيسة الجامعة المقدسة الرسولية، وخصوصاً لسنا في صدد خلق فئة جديدة لا تعرف لها هوية ولا يعرف لها أصول بل تكون مثل الطفيلي على جسم الكنيسة الواحدة الجامعة المقدسة الرسولية. يجب أن نمشي ونود أيضاً أن يمشي الناس معنا خلف الكنائس كلها، أتمنى أنه عندما يدق الجرس في مكان أن تدق الأجراس كلها في كل مكان. لا نريد أن ننعزل لأن الانعزال لا يقوي الوحدة بل يدق أسفيناً فيها ويدعم الانشقاق. لا تكونوا بسطاء. بوادر التعييد معاً عديدة في شرقنا. ففي مصر، تبعت الكنائس الأقلية الكنائس الأكثرية وصار الفصح واحداً. وفي فلسطين عامة ونابلس هذه السنة، اتفق المسيحيون أن يعيدوا الميلاد معاً في الخامس والعشرين من كانون الأول ويعيدوا الفصح حسب التاريخ الشرقي لأننا في الشرق.

أيها الأحباء،

إنكم تدفعوننا في مسيرة مباركة، وها نحن فيها نسير، أسبوع الوحدة لا

ينتهي اليوم. نحن بالحري ننطلق من أسبوع الوحدة لكي نجعل كـــل أســبوع أسبوع وحدة ولكي نجعل كل الأيام أيام مسيرة نحو الوحدة.

باركوا الله. لا يجوز أن ننسى ما أعطانا الله في هذا الحقل ولا نرى فقط ما لم نحصل عليه حتى الآن. يجب أن نرى ما أعطينا وما هو على سبيل الوعـــد، وأن نقر بفضل الله علينا وبما منحنا حتى اليوم.

أيها الأخوة الأحباء،

صاحب القداسة، أصحاب السيادة، الأخوة جميعاً،

إني أشكركم تمام الشكر لغيرتكم ملتحمين مشدودين برباط واحد هـــو رباط المحبة.

نحن الآن في الكنيسة، والكنيسة لها تعليم، فليتعلم كل منا من الكنيســة وليغذ قلبه بالمحبة والسلام. وحذار الحوار من دون السلام القلبي والمحبة الصادقــة. فالله يأتي إلى القلوب، بارك الله بكم وحفظكم إلى سنين عديدة. وسنلتقي دائمـاً إن شاء الله. الآن بدأنا اللقاء الاتحادي. والمستقبل لن يكون أقل بهجة مما نــــراه الآن. الشكر لله والمجد لاسمه القدوس. آمين.

✞ ✞ ✞

وحدها الحرية رسولة الحقيقة*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

صاحب القداسة،

في الثالث عشر من أيار الحالي مرت سنتان على محاولة اغتيالكم. وإننا لشاكرون الله على أن المحاولة كانت فاشلة وأنكم رافلون الآن بالعافية. ففي محبة تفوق النطق للرب الناهض من الأموات يفرحني أن أحييكم باسم الكنيسة الأنطاكية المقيمة والمغتربة حتى أقاصي الدنيا. رومية وأنطاكية تنتميان معاً إلى شهادة مشتركة ومتنوعة أداها القديسان الرسولان بطرس وبولس. الأيقونات القديمة تمثلهما متعانقين بقبلة سلام والأيقونات المتأخرة تمثلهما متلقيين للكنيسة أو حاملين لها. وبحق فالكنيسة مكشوفة لنا حاضنة ومعطية للمحبة التي يوليها الله الإنسانية في جسد ابنه، ذلك الجسد المؤله والجالس عن يمين الله.

إن رؤية المجد تنحتنا عروساً لا عيب فيها، فأمام وجه الآب تكتمل وتستعاد إلى الأبد الوحدة التي لها نعمل معاً. فبرغم البطء والتصلب أو صلابة القلوب لا يسعنا أن نتجاهل ما لا بد منه أي لقاءات الأخوة وعداً لخصب العالم. هذه الشهادة المشتركة التي تنبعث من جنب المسيح الدامي تؤديها القداسة ثمرة الروحِ حاملِ الحياة الثالوثية وأرثوذكسية الإيمان، ونحن على رجاء الوحدة المكتشفة من جديد وغناها الفائق اخترنا الحوار. الأخلاقيات ولو مسيحية، أنسنة مجتمعاتنا وإقامة نظام اجتماعي أعدل غير كافية لتروي عطشنا

* خطاب البطريرك في الفاتيكان، ١٥/٥/١٩٨٣

إلى الألوهة، هذه الألوهة التي هي عندنا نسمة الحياة.

علينا أن نعلن حقوق الله في عدالة البشر، في كل بلد وقرية، ضد الغلو السياسي، فيما نلح على حرية كل إنسان، كل فئة بشرية وذلك إزاء القمع والتعسف. وحدها الحرية رسولة الحقيقة. وفيها تتحقق وحدة الإنسانية وعملها المشترك في هاجس التجاوز والخلق.

لا يستغنى عن شعب في رؤيتنا المنطقة فلا تستطيع جماعة إنسانية، من دون أن تتأذى أو تؤذي، أن تقرر من عندها وجود الآخرين وطريقتهم في فهم هويتهم. هناك سر للشعوب يفوق منطق الدول: الثقل السياسي لا يسعه أن يعتم على حقيقة المجتمعات البشرية التي يجب أن تنمو حسب عبقريتها التاريخية ودعوتها الخاصة، ولكون مصير الأمم المهيكلة أو غير المهيكلة دولاً لا يعاش إلا في الترحاب والود يخالف إلغاء الاستقلال الوطني أو تحديده كل منطق.

أية ثقافة عظيمة لا تفقد حيويتها إن لم يكن كل شيء عمل الكل في تنوع المواهب، وبسبب من هذه الأمانة نعلن هنا معكم للجميع أملنا في أن يعترفوا بحق بلداننا في الحياة.

نحن نجيء من منطقة تريد أخيراً أن تتنفس. وهل أن قدر الشرق الأدنى هو حقاً أن يكون عبر التاريخ ممراً أي موطئ قدم؟ لماذا يجب أن تتجابه على أراضينا كل سلاطين الشهوة من الشرق ومن الغرب وأن تنكر علينا حقنا الأساسي في السلام؟

كيف لا نذكر هنا بالذات مأساة لبنان وقداستكم لم تنفك عن إظهار عطف عليه خاص؟ إن استعادةَ وحدته الوطنية في كرامة لكل أبنائه واحدة

والاعترافَ بتراثهم الروحي ومشاعرهم الثقافية من شأنهما أن يقدما للعالم من جديد نموذج التعايش في احترام الغير وتقاليده، ولكن قبل كل رؤية تاريخية راهنّا عليها نحن والكثيرون من أصدقائنا. الشيء الأساسي للبنانيين أن تنتهي آلامهم، فهل يغتبط العالم غداً «لأن الشعب الجالس في الظلمة قد أبصر نوراً عظيماً والجالسين في الظلمة وظلال الموت أشرق عليهم نور» (متى ٣: ١٦).

هل سيغني الشرق الأدنى كله مع لبنان «إن الظلمة ستطرد لأنه لن يكون ليل حيث كان الجزع» (أشعيا ٨: ٢٣).

إن المدينة التي جعل منها الرب يسوع مسكنه الأرضي مدعوة إلى أن تصير من جديد، كما يشير إلى ذلك اسمها، علامة للسلام، هذه التي ظهرت فيها قوة الله باتضاع الصليب يجب أن تفتح لكل أبنائها المعابد والطرق التي صلوا فيها. ففي القدس والمنطقة المحيطة بها عضوياً الشعب الفلسطيني مدعو، بسبب مصيره التاريخي، إلى أن يعيش في سلام يقر بهذا الشعب. إن أحداً لا يستطيع، من دون أن يتأذى أو يؤذي، أن يتجاهل حق عرب فلسطين في أن يعبروا عن هويتهم الوطنية والثقافية على أرض تكون لهم. إن القلق والعنف سيملكان أبداً إذا اختنق صوت المشجوبين في غياب العدالة.

إذا لم ترد مجموعة الأمم والكنائس والناس المولعين بالمحبة أن تصير إحدى الجماعات البشرية «بيت تمرد» (حزقيال١٢: ٢) يجب أن يشهدوا لذلك في الواقع التاريخي للعالم. الذين عرفوا الأمر والاضطهاد والمجازر مدعوون إلى أن يتأملوا، في صدد الشعب الفلسطيني، ما قاله نبي عبري «وأنت يا ابن الإنسان فأعدّ العدة للجلاء واجلُ نهاراً أمام عيونهم، اجلُ عن مكانك إلى مكان آخر أمام عيونهم. لعلهم يبصرون أنهم بيت تمرد. وأخرج عدتك كعدة جلاء.

ستخرج معك حملك كحمل منفي في وضح النهار، أمام عيونهم، ثم تخرج أنت مساء أمام عيونهم خروج جلاء... أخرج في الظلام وغط وجهك ولا تر الأرض» (حزقيال١٢: ٣ــ٦)، ذلك أن العدالة واحدة ولا تقبل الانقسام.

وعلى قدر ما نطلق «بفم واحد وقلب واحد» الصرخة نفسها التي أطلقها الأنبياء تكون رسالتنا مسموعة.

ولقد جئنا ويدفعنا الرجاء إلى الله وسعي الوحدة والمصالحة والسلام والعدل، إلى هذه المدينة التي قدسها استشهاد الرسولين القديسين بطرس وبولس لنقول لكم ولكل الاخوة الغربيين المشاركين لكم، محبتَنا الحارة بيسوع المسيح، عسى أن يطلق ترحابكم الأخوي أسلوباً جديداً وعهداً جديداً للعلاقات بين كنيستينا، إذ ذاك يعرف العالم أن المسيح قلبه.

✞ ✞ ✞

خلاص لبنان في وحدته*

سيادة الأخ، أيها الأحباء جميعاً،

نحن في الكنيسة الأرثوذكسية مجمعيون وكل ما يحدث قد ينفذه واحد ولكنه يكون تحديداً مقبولاً من المجمع المقدس الذي يؤلفه الاخوة المطارنة جميعهم.

أتذكر أني منذ أكثر من عشرين سنة، قمت بإحصاء قد يكون فريداً من نوعه ويتعلق بعدد الطلاب الأرثوذكس الذين لا نُدرِّسهم نحن، فكان أن هنالك أكثر من عشرة آلاف تلميذ. وبحساب بسيط نجد أن ما يدفعه هؤلاء من أقساط، يتجاوز مجموع ميزانيات مؤسساتنا بكثير. هذا الشيء لا يمكنني أن أنساه لأنه يذكرني بالقول: إن الأب الذي لا يقوم بتربية أولاده فإن غيره سيقوم بها عنه. ونحن نعتقد أن سوانا ليس أقل قيمة منا، لكننا نعتقد أننا أُعطينا تراثاً عريقاً، وفي تراثنا الأصيل معطيات ليس لنا الحق أن نحتكرها أو نطمرها. ومن واجبات الوطن علينا أن نعطيه هذه القيم التي لم تسبب حتى الآن خصومة. إذن نحن مؤمنون الإيمان الكلي بأن ما لدينا يجب أن يعطى وأن يعطى على أفضل وجه وأنه حق لكل مواطن، وأننا لا نخاف أن نصبح في المستقبل مجموعة متقوقعة لها تاريخ طويل، فنحن لسنا هكذا ولن نكون.

عندي أمران فيما يخص مدارسنا وهيئاتنا:

* حديث في أميون أثناء استقبال المعلمين، ١٩٨٤/٨/١٣

الأمر الأول: أننا نحن الأرثوذكس نتكلم كثيراً عن المحبة، والمحبة ليست عندنا كلمة إنها نهج، إنها برنامج يجب أن نقوم به وإلا تكون المدرسة فاشلة. لأن المدرسة ليست تلقينية تدريسية فقط ولكنها قبل كل شيء تصوغ كائناً بشرياً ولذلك لا يمكنها أن تكون بدون أساس. الأساس الأرثوذكسي هو أن تكون المحبة نهجاً يعبر عنه من خلال كل شيء. والمحبة لا شروط لها.

الأمر الثاني: أننا في أَمَسِّ الحاجة في المستوى الوطني أن نكون مجانين بطريقة ما لأننا لسنا عاقلين في الواقع. كل ما نراه جنون، نريد جنوناً من نوع آخر وهو أنه مهما تعاقبت الأحداث يجب أن لا نفقد الإيمان. والإيمان في لبنان هو إيمان بهؤلاء الأشخاص بالذات. يجب أن لا نتصور أنه سيأتي وقت أنظر فيه إلى معايشي فلا أرى فيه أخاً بل حبيباً. تبدأ القسمة، يبدأ التفتيت عندما نزرع بذوره في قلوبنا ونوزع الناس إلى فئات عندئذ لا يحتاج التقسيم إلا إلى جغرافيا هذا هو الشيء الخطر جداً جداً وهذا هو الشيء الذي يجب أن نحاربه بكل ثمن، وأنا أرجو أن يقوي كل لقاء هذا الاتجاه ويقوي هذه الوحدة الداخلية ونكون جميعاً واحداً فإن وحدة لبنان وحدها هي خلاصه.

✞ ✞ ✞

كلكم راع*

أشكر للمجلس البلدي تكرمه بإهدائي هذا التمثال وأتمنى أن تُنقل لـــه تحياتي، والبركات الرسولية التي أحملها. كما أني أشكر أب هذه الكنيسة المقدسة والهيئة التي تتولى العمل فيها وأتمنى لهم جميعاً التوفيق على أفضل ما نرى من أجل مستقبل أفضل.

عندما كنت أسمع الكلمات التي قالها خطيبنا الأول، وخصوصاً عندمـــا قال: "سنحافظ على التراث الذي جاءنا من الآباء والأجداد"، كنـــــت أفكـــر وسألت نفسي كيف يمكن أن نحافظ على التراث الذي ورثناه؟ إنهـــا بـــالفعل لمسألة صعبة، إلا إذا كنا نعيش ذلك التراث ونحمله حياً لئلا ينقلب إلى قطعـــــة جامدة لا حياة فيها ولا روح. أقول هذا لأؤكد أن رسالتكم أصعب مما يتصـــور الإنسان .إنه يطلب إليكم أن تتعمقـــوا، أكـــثر مـــن أي كـــان، في الـــتراث الأرثوذكسي كي تتمكنوا من حمله وكي لا ينقلب بـــين أيدينـــا إلى أشـــكال وظواهر فلا يعني الشيء الكثير. لكني وجدت أن هنالك في شـــعبنا هـــذا إرادة جيدة صالحة نكون نحن مجرمين إن لم نتعاون معها لكي نخرج من الوضع الـــذي نحن فيه إلى وضع يليق بالأرثوذكسية العظيمة وبهذا الشعب. إن لنا رسالة ننقلـها إذا كنا نعرف ماذا ننقل ولا نكتفي بتصور ما نحن فيـــه. يجـــب أن نـــدرك أن الأرثوذكسية تأتي عن طريق التعليم والممارسة والإيمان الفعلي. وهذه يجـــب أن توجد لها الأدوات اللازمة لكي تحصل. يلزمها في الدرجة الأولى الكاهن والمعلـم

* البرازيل، أبرشية سان باولو، على الغداء، الاثنين ١٩٨٤/٩/٢٤

والمؤمن الممارس.

اسمحوا لي كأب ومسؤول عن هذه الكنيسة أن أحمّلكم قسطاً مما أحمله. وأنا أشعر أن الأرثوذكسية أعظم من الأرثوذكسيين بكثير. كلنا أرثوذكسيون ولكن الأرثوذكسية أعظم. أطلب أن يتحمل كل واحد مسؤوليته. ألم يقل الرب «كلكم راعٍ». ليس المطران وحده ولا الكاهن وحده، الكل راعٍ والكل مسؤول، فاحملوها. وإذا كانت قلوبكم كبيرة ونفوسكم كبيرة يصبح إيمانكم أكثر وعياً.

إن الأمل الذي تكلم عنه خطيبنا هو أنتم. أملنا أن ينقل الإيمان إلى الأخوة والأبناء. وأنا جئت لكي أنقل كلمة الرب إليكم وأسمعها منكم. بارك الله بكم جميعاً وزادكم نعمة على نعمة وخيراً على خير.

✝ ✝ ✝

من له أذنان للسمع فليسمع*

أحيي جامعة السيدات الأرثوذكسيات وأحيي الجهود التي تمت حتى اليوم وأحيي جميع الذين قاموا بأي مجهود لكي يبرهنوا بأن القادم إلى هذه البلاد يريد أن يسهم في حياة هذه البلاد إسهاماً جدياً. وبكلام آخر إنه لم يأت ليأخذ فقط بل إنما أيضاً ليعطي.

لا أدري، أيها الأحباء، لماذا يُطرح في فكري الكثير من التساؤلات؟ إلى أي حد مثلاً المستقبل سيكون صورة عن الماضي؟ واليوم، إلى أي حد التلميذ هو صورة عن معلمه؟ إلى أي حد الابن هو صورة عن أبيه؟ في اعتقادي أننا مستقبليون بمعنى أن الأجيال التي ستأتي ستكون مختلفة تمام الاختلاف عن الأجيال التي ألفناها. ومن يدري فقد يكون كل ما فعلناه من أجل الماضي باطلاً بالنسبة إلى المستقبل. الدنيا تتغير، العالم يتغير عندكم هنا، وأنا مطّلع اطّلاعاً شبه كامل على الأوضاع الاجتماعية والثقافية في هذه البلاد. والسؤال: إلى أي حد نجحت الاختبارات الماضية ؟ سددنا فراغات ولكن الفراغات بعد أن امتلأت أحدثت فراغات أخرى. نحن أتينا من الشرق فماذا زدنا على هذه الأرض، على هذا الشعب، من تراث الشرق، من روحانية الشرق، من النفحات التي تجعل من الشرقي شرقياً؟ ترى، هل نحن مجربون أن ننافس سوانا في أن نتغير نحن كي نصبح مثله أو نسبقه في الخط الذي يسير فيه؟ نحن لا نؤمن بكل شيء في حضارة الغرب. نحن لا نؤمن بكل شيء في الحضارة التي يتبناها كل إنسان:

* البرازيل، أبرشية سان باولو، مساء الاثنين ٢٤/٩/١٩٨٤

حضارة الدعايات، الحضارات المادية، حضارة الشعارات، حضارة الكلمات. نكتفي بأن توضع لنا صورة لكي نصور أنفسنا على مثالها. نحن لا نؤمن بكل ذلك لأن عندنا أسساً أيضاً نبني عليها شخصياتنا.

السؤال: أين شخصيتنا بعد هذه الفترة من التاريخ، تلك التي نُغني بها البلاد حيثما وُجدنا؟ نحن في الكنيسة الأرثوذكسية وفي الكرسي الأنطاكي المقدس مؤمنون بأننا إذا كنا لم نكن نقدم للعالم الديني بأسره، مسيحياً كان أم غير مسيحي، صفات من صميم تراثنا المشرقي فإننا لن نزيد العالم إلا شيئاً من العدد ونحن قلة إن عُددنا. كنت أتحدث عن اليتامى فقلت إذا كان اليتيم فقط يتيم الطعام فأمر الطعام أمر سهل ويزداد سهولة في العالم. اليتيم يتيم تكوين شخصيته، اليتيم هو يتيم تكوين عقله وقلبه وروحه، يتيم صياغته صياغة كاملة. الذي يشب وليس له أب يرعاه أو أم تهتم به فهو يشب وكأن هرم كيانه مقتطع الرأس. هذا هو النقص الحقيقي في المدارس. كنت أسأل ذاتي دائماً: هل مهمتنا الرئيسية أن نعلم التاريخ والجغرافيا والحساب؟ كل الناس يفعلون هذا.

ما هي ميزتنا الخاصة نحن؟ ميزتنا بالطبع هي أن أحمل الشخصية التي ولدت فيها والتي آمنت فيها والتي أنا تعمدت فيها وباسمها أسمى. هذه هي التي يجب علي أن أحملها إلى الآخرين. هل يا ترى نحن نستمر في أن نرى الأمور بالنسبة إلينا فقط؟ نحن سنموت، كلنا سنموت. ماذا سيبقى بعد ذلك؟ الناس بعدنا لن يموتوا. الأولاد لن يموتوا من بعدنا ونحن نشكر الله على ذلك. ولكن ماذا يبقى للأولاد من كل ما صُنع على أساس الآباء؟

أيها الأحباء.. نحن في عالم نتكلم فيه عن المحبة ولكن المحبة كلمة فارغة بدون الإنسان المحب. نحن في عالم نتكلم فيه عن السلام، السلام كلمة كاذبة إذا

لم يكن هناك إنسان السلام ورسول السلام. نتكلم عن العدالة الاجتماعية، والعدالة الاجتماعية كلمة فارغة لا معنى لها إذا لم نصنع القلب العادل الذي يعرف أن يضع أخاه في الميزان كما يضع هو ذاته. إننا بحاجة إلى إنسان جديد قبل كل شيء. ظن البعض أننا عندما نتكلم عن الإيمان فنحن نتكلم عن شق آخر من حياة الإنسان. وهذا خطأ. ظنوا ذلك في الطب لكنهم اكتشفوا أنه لا يمكنك أن تطبب الإنسان جزئياً بل يجب أن تعرف الكل حتى إذا كنت تعالج الجزء، ويجب أن تعرف الكل جسدياً وروحياً في الآن ذاته.

أيها الأحباء.. نحن في بدء مرحلة جديدة من جهادكم. أنتم تجاهدون. أسأل الله أن يوفقكم ويكون معكم، لكن هنالك صفحة جديدة يجب أن تفتحوها، هذه الصفحة إذا لم تفتح فسيصبح الواحد غريباً حتى عن أولاده. وفي وقت من الأوقات سيجد نفسه لا ينفع شيئاً. أنا أرجوكم أن تعيدوا النظر في كل هذه المفاهيم التي تفصل الروح عن الجسد، التي تفصل الإيمان عن العمل، التي تفصل الأخلاق عن التصرفات. لا تكونوا، ويجب ألا نكون، ازدواجيين في شيء كما أن الإنسان واحد في روحه، ودينه، وإيمانه، وتجارته، وطعامه، وشرابه. فإذا انفصم الإنسان وانقسم عندئذ يصبح في وضع غير طبيعي.

الرب معكم بدءاً بهذه الصفحة الجديدة. الإيمان لكم، الرب لكم، والإنجيل لكم، الأرثوذكسية لكم، الدين لكم عامة.

أيها الأحباء.. من له أذنان للسمع فليسمع.

✠ ✠ ✠

إيماننا يعبر عن شخصيتنا*

أشكر الجهود التي قامت بها الجمعية التي أرادت أن تحقق هذا الاجتماع وإن شاء الله سيكون تعليم ديني في هذه المؤسسة. في بلادنا نتساءل عن معنى المدرسة الخاصة. ونعتقد أن المدرسة الخاصة يجب أن تكون لها ميزة خاصة في التعليم. والمراقب يلاحظ وكأننا نخاف من أن تكون لنا مدرسة خاصة. في سوريا لا نؤمن أن المواطن السوري هو المواطن الذي ليس مسلماً ولا مسيحياً ولا أي شيء آخر. هذه الفكرة تعني أننا نهيئ مواطناً لا هوية له، وهي فكرة لا تخطر ببالنا. تراثنا في الشرق الأوسط تراث روحي، ونحن نعتقد أننا إذا لم نقدم العنصر الروحي فكأننا لم نقدم أي شيء. ولذلك نعتبر أننا لسنا مدرسة عادية. ولذا نرى في بلادنا أنه من الطبيعي أن نعطي ما يتميز به الإنسان السوري في إيمانه مسلماً كان أو مسيحياً أو أياً آخر. ونحن لا نخاف من أن نكون مسيحيين أو مسلمين أو أرثوذكس أو شيعة مثلاً.

يظهر أننا هنا ما زلنا نخاف من أن نقول للإيمان تعال واسكن في بيتنا. هناك نوع من الطلاق بين مؤسساتنا وبين الإيمان. وهذا الوسواس مرّ عليه الزمن. ونحن نرفض أن نكوّن أشخاصاً لا طعم لهم ولا لون ولا رائحة. لأنه، بالفعل، إذا لم يكن لدينا شيء خاص فلماذا نحن؟ ولماذا تسمح لنا الدولة بأن نوجد كمؤسسة خاصة إذا لم يكن عندنا شيء خاص؟ ما هي النية الأولى التي كانت في أساس مؤسساتنا؟ أعتقد أن النية الأولى أن نخرّج إنساناً مؤمناً، إنساناً

* البرازيل، أبرشية سان باولو، الأربعاء ١٩٨٤/٩/٢٦

لا يخجل بأنه صاحب دين. إذاً الشيء الوحيد الذي يمكن أن نحمله من شرقنا هو ما نتميز به ونعطيه لهذا العالم الذي يمكن أن يقدّم لنا كل شيء ما عدا الإيمان. بلادنا ليست بلاد اختراع السيارة ولا الطائرة ولا الحجارة، بلادنا قبل كل شيء هي الإيمان المعبّر عن شخصيتنا. يجب أن نكون اليوم مميزين بالشجاعة ولا نخجل من أننا جئنا من الشرق ونحمل تراث الشرق الأصيل.

ونرجو من خلال البرامج الموضوعة لهذه المؤسسة أن يكون جميع الطلاب فيها رسلاً لروح الشرق وإيمان الشرق حتى ينشروا هذا الروح هنا وإلا فنحن لا نفعل شيئاً لبلادنا.

إني أطلب من الله أن يوفقكم في هذا الاتجاه الذي نعتبره اتجاهاً سليماً واتجاه عافية. قد يتطلب هذا مجهوداً إضافياً ولكن عُرف عنكن أيتها السيدات أنكن لم تبخلن بأي مجهود من أجل هذا العمل. الرب كان معكم ووفقكم.

✞ ✞ ✞

لبنان يحتاج المحبة والوفاء*

يهمني أن أشكر السيد منصور على هذه الدعوة وأشكره بصفته الشخصية وكممثل للبنان في هذا البلد إذ قد جمعني بهذه الهيئات الدينية والتي بدونها لكان الاجتماع اجتماعاً ناقصاً وهذا ما يسمى بالبتر لأن من يفصل الناحية الدينية عن الإنسان يبتره بتراً.

وكما قلت سابقاً، نحن لا نخجل بأن يكون المسلم عندنا مسلماً والمسيحي مسيحياً ولا نخاف من هذا الواقع بل نواجهه مواجهة شجاعة لأن هذه هي تركيبتنا. وهنا أعود إلى إحدى النظريات التي حاولت أن أطلقها شخصياً فيما يخص لبنان. أقول إن لبنان هو القدس الحقيقية التي فيها تمارَس كل الأديان. أما القدس الحالية فهي المكان الجغرافي لها ولكن لا تمارَس فيها الأديان كما في لبنان. وهنا تخطيط لأن ينقص ويقلّ عددنا في الشرق وبالأساليب المختلفة. ثم إنه شرف للإنسان بأن يحب بلداً مثل لبنان. شرف كبير للإنسان أن يساعد قدر المستطاع من اجل إخراج لبنان من المحنة التي وقع فيها وكانت في معظمها على أيدي سواه. وكان لي الحظ بأن تكون لنا كلمتنا في حقول متعددة. وقد نسي السيد منصور أن يذكر زحلة من جملة المناطق التي جاهدت شخصياً من أجلها كثيراً والتي فيها أتيح لي أن أرفع الصلاة من أجل شباب بذلوا دماءهم من أجل وطنهم. إني أعتز، وما أزال، بأن الله منحني أن أقيم هذه الصلاة من أجل هؤلاء في وقت لم يجسر فيه كثيرون على ذلك.

* البرازيل، أبرشية سان باولو، الخميس ١٩٨٤/٩/٢٧

وأحب هنا أن ألفت النظر إلى المواطنية اللبنانية. صحيح أن هناك محنة في لبنان ولكن اللبناني الحقيقي هو من يعتبر وطنه ليس فقط مكاناً جغرافياً بل قطعة من قلبه يحملها أينما كان. نحن جماعة قلب في الشرق ونعتز به. والحضارة التي لا تعطي للقلب قيمته هي حضارة مبتورة باردة. لبنان في قلوبنا، أينما ذهبنا هو في قلوبنا، والآن هو هنا. ولذلك لن نسمح بأن يكون أي شيء مؤلماً في لبنان الجغرافي دون أن يكون مؤلماً في القلب.

أيها الأحباء.. كل الآمال التي تدفعنا لأن يقوم الإنسان بقسطه المتواضع في سبيل هذه المنطقة هي نابعة من إيمان داخلي قوي. أنا مؤمن بأن لبنان ضروري لمنطقة الشرق الأوسط وضروري لسوريا بصورة خاصة وأن العمل السوري في لبنان ليس تفضلاً ولا إحساناً بل عمل من أجل سوريا وبنفس المقدار. والكلام الذي قاله الرئيس حافظ الأسد بشأن المساعدة على إعادة الأمن والسلام إلى لبنان ليس كلاماً جزافاً. أرجو التأكد من الجهود التي تُصرف اليوم. وأنا شاهد على مقدار الجهود المصروفة ومقدار الجدية التي يؤخذ بها لبنان في سوريا. أنا لا أعتقد بأنه من الطبيعي أن يسلك جار مع جاره هذا الطريق إلا إذا كان هذا في خطر. ولذلك فإن دفاعنا عن سوريا هو دفاع عن لبنان ودفاعنا عن لبنان هو دفاع عن سوريا. وحين أتكلم عن المستقبل أتكلم عما نتوقع وعما نتمنى في آن معاً. لبنان سيكون ولن يزول وقد طويت الصفحة التي فتحت في وقت من الأوقات وتكلم فيها بعضهم عن زوال لبنان كهيئة واحدة عندها ميزاتها ولها تاريخها وإسهامها في حضارة المنطقة كلها والعالم العربي بأسره. وعندما تُذكر إنما تُذكر الجامعات التي يشغلها اللبنانيون والحركات التي أسسها اللبنانيون. طويت الصفحة التي كان يمكن فيها أن يقضى على هذا كله. لبنان

سيكون، وسيكون قوياً إن شاء الله. وفي نظري إن هذا يرتب مسؤوليات ضخمة على اللبنانيين. وأعتقد أن من أسباب تقصير الأزمة أن يجتمع اللبنانيون ويوحدوا كلمتهم للمحافظة على لبنان. إننا لا نريد أن نكون في لبنان إلا على أساس أنه لنا بالكلية وأن يقول هذا كل اللبنانيين. لبنان ليس مجموعة وجودات متوازية إنما هي متداخلة. هذا ما نتمناه ونسعى من أجله. والمخلصون مهما كانت اتجاهاتهم من أجل الوصول فإنهم واصلون مهما تعددت الآراء.

اليوم تحلّى الفكر والقلب واللسان بذكر لبنان. نحن دعاة للتمسك بلبنان العزيز وأنتم باجتماعكم هنا يمكنكم أن تعطوا صورة عن لبنان الذي نسعى إليه وسنصل بإذن الله. الخصام في لبنان أصبح من النوع التكتيكي ولم يعد من النوع البشع الذي سمعنا به في وقت من الأوقات والذي كان دخيلاً على روحانية اللبنانيين وصلواتهم وأصوامهم وكنائسهم وجوامعهم وعلى التاريخ الطويل الذي أنشأوه داخل البلاد وخارجها.

أنتم من يتوقع لبنان منكم إخلاصاً ووفاء ومحبة.

✞ ✞ ✞

دور الكنيسة في الاغتراب*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أيها الأحباء،

عندما دُعيت إلى الوضع الذي أنا فيه شعرت أن هنالك قضية أساسية يجب أن تعالج. هذه القضية هي قضية إنساننا في شرقنا، شعرت أن تراكم الأحداث التاريخية ألبست إنساننا المشرقي لباساً ليس له وأن هنالك الكثير من الزيف أصبح في شخصيته، في مقاييسه، في مراجعه، في تقويمه للأمور. حتى صرت أنظر إلى الكثيرين من أبناء جلدتي كما نقول وكأنهم صورة طبق الأصل عن جماعة كنا نعلّمها فكأنها صارت تعلّمنا عن إيمان نحن منبعه، وكأننا أصبحنا المصب وليس النبع. ووجدت أنه في تكوين شخصيتنا المشرقية هنالك ما هو غير مشرقي على الإطلاق. ورأيت أنه لا يجوز لنا أن نرضى بأن يبقى إنساننا على هذه الازدواجية: القول بأنه مشرقي ولكنه بالفعل وكأنه لا علاقة له بالمشرق. حملات خلال التاريخ لكي تزيل عن مشرقنا شخصيته وطرق تفكيره وقواعد إيمانه وأخلاقه. صرت أقول في حقلي، حقل الكنيسة المقدسة، يجب أن ننصرف نحو الأصول وأن نخاطب الأعمار وأن نستعمل العبارة المشرقية الأصلية، العبارة العربية الأصيلة التي نستعملها اليوم والتي أحدّث بها أمي وأبي وأخوتي والتي أتشرف بأن أتحدث بها إليكم.

هذا هو نوع السعي الذي أحاول أن أقوم به في الوسط الذي لي الحظ

* النادي الثقافي السوري البرازيلي، سان باولو، البرازيل، الجمعة ١٩٨٤/٩/٢٨

أن أنتمي إليه وأن أخاطبه بشكل مباشر. لماذا أتيت إلى هنا. أنا أحترم الجغرافيا ولكني لا أعتقد أنها تصوغ الإنسان فقط بل أعتقد أيضاً أن الإنسان يصـــوغها. إن الإنسان ليس من صنيعة الجغرافيا وحدها فقد يصنعها هو ويحملها معه. هذا جعلني أنظر إلى خارج الحدود الجغرافية المادية لكي أحظى بمقابلتكم ومقابلـــة الأحبّاء الذين وإن اختلفوا جغرافياً عما نحن فلا نريد أن يختلفوا عما نحن في غير الجغرافيا.

وحاولت أن أدرس المساعي التي يقوم بها ذوو النية الحسنة، والحمد لله أنهم كثيرون، فوجدت أنها من قلب التاريخ الذي يغير كل شيء وفيـــه نحـــدد العمر لكل شيء. ففي التاريخ يولد كل شيء وفي التاريخ يموت كـــل شـــيء أيضاً. كذلك حاولت أيضا أن أنبش من خلال إيماننا ومـــن خـــلال القواعـــد الأخلاقية المشرقية تلك الفضائل والقواعد والمسالك التي وإن ذهبت إلى بعيـــد جغرافياً فستبقى حاملة طابعها المشرقي الصحيح، تبقى أصـــيلة، وتنتقـــل مـــع الإنسان حيثما وجد.

سألت نفسي ماذا يفعل أبناؤنا وأخوتنا حيث هـــم في البرازيـــل، في الأرجنتين، في الولايات المتحدة، في أي مكان من العالم خارج الحـــدود الـــتي نعيش ضمنها؟ هذا السؤال طرحته منذ يومين أو ثلاثة وأعود فأطرحـــه بحـــدة شديدة: ما هو الإسهام الحضاري العميم الخالد الذي لا يولد في التـــاريخ ولا يموت في التاريخ والذي يحمله إنساننا الذي أنتم تمثلونه؟ ما هو الإسهام الخالـــد الذي تقدمونه أنتم أبناء الحضارة الأصيلة؟ أتصور أنه يُنتَظر منكم أن لا تكونوا مجرد رقم يضاف إلى أولئك الذين يقومون بأعمال. ما هو العنصر الخالد الـــذي تقدمونه لهذه البلاد مثلاً؟ أنا أطرح هذا السؤال وأنا مؤمن بأنه عندما قدمنا جاء

معنا ما هو محتوم أن يولد في التاريخ ويموت في التاريخ. وأن القيم الحقيقية تلك التي تاريخها ينطق بها لم يحملها كل واحد منكم. لا بل ظننا أن الذي لا لون ولا طعم ولا رائحة له هو الذي يبقى ولكن بالعكس هو الذي لا يبقى.

أنا دائماً أفاخر بأن كل حبة تراب من بلادنا ومن منطقتنا إنما هي الحبة تلك التي أمسك الله إياها بيده وجبل منها آدم وحواء أي جبل الإنسان من ترابنا. فأين نذهب نحن بهذا التراب وماذا نفعل به؟

أعرف شيئاً واحداً أننا لا نستحقه في كل الظروف ولا نستحقه في كل الأحوال. فإلى متى نكتفي بعدم استحقاقنا إياه؟ أتيت، أيها الأحباء، لكي أقول لكم جميعا، شئتم أم أبيتم، أدركتم أم لم تدركوا، أنكم أنتم رسل ما وُلد عندنا لكي تنقلوه إلى أولئك الذين كان اليونان الإغريق في الزمن القديم يدعونه الأجانب. في الواقع كانوا يدعوهم البرابرة بمعنى الأجانب وليس بالمعنى العربي القاسي. أنتم رسل ويجب في نظري أن نقوم بهذه الرسالة وهي رسالة حب ووئام ورؤية واضحة للأساسي وليس للفرعي. أنتم وهبكم الله أن تتمكنوا من النظر إلى بلادنا دون أن تكونوا مضطرين لتعيشوا ما نعيشه نحن في تفاصيل حياتنا، فقد يغرق الإنسان في تفاصيل الحياة وينسى العيشَ نفسه والحياةَ نفسها. هذا يحدث عندنا ولا سمح الله أن يحدث عندكم. تساعدوننا أنتم إذا استبقيتم صفاءكم. تساعدوننا إذا بقيتم اخوة محبين تشهدون بمناقب المشرقي في هذه الأرض. تساعدوننا إذا علمتمونا عندما نغرق في التفاصيل أن نتبنى حبكم الواحد للشخص الآخر.

نحن إذن هنا لكي أطلب منكم هذه المساعدة. أنا لم آت لأحمل شيئاً لا تحملونه.

إن شعبنا في بلادنا يداهمه خطر وخيم، وهو أنه أصبح شبه غريب في أرضه وشبه غريب عن تراثه وعن صياغة إنسانه الأصيل. نحن نفتش عن الأصالة في بلادنا ونريد أن نطلبها فيكم فإنكم أنتم تقوونا في هذا السبيل.

✞ ✞ ✞

كلنا حجارة في بناء الكنيسة الحية*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أيها الأب الجليل،

هذه اللغة التي نسمعها في هذا الصباح هي لغة خاصة جداً وتجعلني أفهم لماذا توجد حياة في هذه الرعية التي ترعاها. كل كلمة من كلماتك مأخوذة من صميم روحانية كنيستنا، ومأخوذة من الآباء القديسين. هذا يدل على أن حياتكم الداخلية، يا راعي هذه الكنيسة المقدسة، تأخذ نورها وشعاعها من الكلمة الإلهية ومن التراث الحي الشريف لا من ألفاظ التراث ولكن من عمق ذلك التراث. نحن نرى فيك من خلال الكلمات التي تفضلت بها استمراراً حقيقياً للتراث الأنطاكي الأصيل. ونرى فيك ذلك الأب الذي إذا قيل عنه إنه أب فإن لديه ما يعطيه لغيره. الفارغ لا يمكنه أن يعطي إلا الفراغ، وحده فقط الملآن بالروح يمكنه أن يغذي أولاده بالروح.

أيها الأخوة الأحباء..

سيكون عندي المجال لأتحدث إليكم بعدما نصل سوية. ولكني أقول إني في غاية السعادة مع أخوتي الحاضرين وخصوصاً مع أخي سيادة راعي هذه الأبرشية وتوابعها. إني مسرور جداً أن أراكم متمسكين بالإيمان وأنكم لا تجعلون من الإيمان شيئاً يخص آباءكم وأجدادكم فقط ولكنكم تجعلون منه حياة

* كورتيبا، البرازيل، السبت ١٩٨٤/٩/٢٩

حاضرة. والإيمان الذي مضى ليس إيماناً، أيها الأحباء، إنه تذكّر إيمان فقط أما الإيمان الحقيقي فهو الذي يعيشه الإنسان في كل وقت. والكنيسة لم توجد لزمن مضى، خصوصاً ليس فقط للأزمنة الماضية. الكنيسة وجدت من أجل هذا الزمن ومن أجل الأزمنة القادمة. لذلك فالإيمان يجب أن يكون حياً كما هو إيمانكم وكما سمعت عنه في هذا الصباح.

من الأشياء الرئيسية التي أنقلها إليكم هو أن أخوتكم في الكرسي الأنطاكي المقدس، وفي المنطقة التي منها أتيت، يبشرونكم بنهوض قوي في منطقتنا.

أيها الأحباء.. إن الإيمان عندنا يحيا من جديد. يسعدني أن أرى شباباً ههنا بينكم. وكم أتمنى أن يرى هؤلاء الأحبة أخوهم في دمشق وفي بيروت وحماه وحلب وفي أنطاكية بالذات. أخوتكم الشبان متحمسون جداً لكنيستهم لأنهم أدركوا أن الكنيسة الحقيقية هي كنيستهم وأنهم منها يأخذون إيماناً حقيقياً صحيحاً ولا يأخذون مجرد كلام. وأن كل واحد يتشرّف بانتمائه إلى كنيسة متصلة مباشرة بالرسل القديسين وخاصة ببطرس الرسول وبولس الرسول. نحن فخورون جداً بأن نكون منتمين إلى هذه الكنيسة. أخوتكم جميعاً يرفعون الرأس بين الأديان الأخرى وبين الكنائس الأخرى. يرفعون الرأس عالياً ليقولوا نحن ننتمي إلى الكرسي الأنطاكي المقدس. ليته في إمكاننا أن نجعلكم تجتمعون بهم لكي تروا إيمانهم فيتقوى إيمانكم ولكي يروا إيمانكم فيتقوى إيمانهم أيضاً. المستوى الكهنوتي يتغير اليوم، لم يعد عندكم رؤساء كهنة إلا أولئك الذين وهبهم الله العقل والذكاء والإيمان والعلم العالي. يمكنكم أن تفاخروا أية كنيسة أخرى بمصف رؤساء الكهنة الذي عندكم. كهنتنا، أيها الأحباء، كنت أود لو

تروا العشرة الذين هم حولي في دمشق، لكنتم ترون شباباً كما نقول كالحديد، يتميزون علماً وثقافة ومحبة واتساع أفق. حبذا لو كان بإمكاني أن أضعهم أمامكم ولكن من يدري ففي المستقبل قد يتيح الله لنا بأن نجتمع من جديد وأن يكون هؤلاء برفقتي إليكم أو أن تكونوا أنتم ذاهبين إليهم.

نحن، أيها الأب الجليل ويا أيها الأبناء الأحباء، نحن، الحمد لله، في بدء نهضة قوية جداً في كنيستنا وهي معتمدة على كل واحد من المؤمنين. بمقدار ما تكون في قلبي الحرارة تكون الكنيسة حارة وبمقدار ما يكون في قلبي النور تكون الكنيسة تشع وتشرق. إذاً نحن كلنا حجارة في بناء الكنيسة الحية. نحن كلنا نكوّن كنيسة المسيح. كل واحد بمفرده والكل مجتمعين.

أود في هذه الساعة أن أشكرك أيها الأب الجليل، وأن أسأل الله كي يطيل بعمرك ويقويك في رعاية شريفة ومخلصة. طوبى للعبد الذي يكون دائماً أميناً فعندئذ يقول له ربه «ادخل إلى فرح ربك».

✟ ✟ ✟

الدنيا تبدأ بالبيت*

أحب مجدداً أن أعبر عن شكري للعاطفة التي عبرت عنها رئيسة الجمعية من خلال الكلمات الطيبة التي لفظتها. ذكرت أشياء وهذه الأشياء يمكن أن يتحدث عنها الإنسان مطوّلاً ولكنني سأختصر وأوجز وأقول كلمة فيما ذكرته عن العالم وعن الوضع اليوم في هذا العالم وكيف أن روح المسيح روح الصليب ليس هو الروح السائد. أقول إن روح المسيح وسيادة الرب لا يمكن أن تكون من نوع الروح الذي يسيطر ولا من نوع السيادة التي تعودناها. أعتقد أننا نحن المسيحيين لم نفقه ولم ندرك إدراكاً كاملاً أن المسيحي يخلق عالماً يختلف لا بل يناقض العالم الذي يعيش فيه كل الناس. العالم الذي فيه قوة الله هي القاعدة وليس أية قوة أخرى في الدنيا. يبدو أننا في كثير من الأحيان نفتش عن أن نكون أقوياء في الدنيا وكأننا لا نؤمن فعلاً بأن الصليب قوة وبأن المسيح معنا في كل وقت.

أجسر أن أقول إننا في كثير من الأحيان ننجرف في العالم ونخون ربنا ونجعل من سواه رباً لنا. المسيحية ليست إمبراطورية والمسيحية ليست جيشاً ولا سلاحاً وليست أمجاداً كما يفهمها الناس. المسيحية عمق ونوعية وأصالة وصفاء. والإنسان الذي يخاف من أن يكون مجده في نوعيته وفي صفائه، هو إنسان من الصعب عليه أن يكون مسيحياً. أخاطب سيداتنا بصورة خاصة، لا تنظرن إلى العالم الواسع فإن الشيطان يعمل فيه واسعاً. فلتنظر كل واحدة منكن

* كورنتيبا، البرازيل، السبت ١٩٨٤/٩/٢٩

إلى عالمها الذي يمكن أن تخلقه على أساس ربها يسوع المسيح وأساس الإيمان المستقيم الرأي. البيت، البيت، الدنيا تبدأ بالبيت. في بيتكَ، في بيتكِ، ماذا تفعل أو ماذا تفعلين؟ الرب يسوع لم يؤلف جيشاً عندما أتى إلى الأرض لكنه اختار جماعة صافية، ودزينة من البشر لا أكثر وبواسطة هؤلاء نشر الإيمان ونشر الخلاص في الأرض. لماذا لا تقوم كل سيدة ويقوم كل أب في بيته المتواضع بمحاولة أن ينشر اسم الله واسم الرب يسوع فيكون في العالم نقاط وهذه النقاط مباركة ومقدسة. العالم لن يكون كله قداسة هذا لن يحدث. والكتاب المقدس يقول لنا، يوم عودة المسيح الثانية ليدين الأحياء والأموات سيكون عملياً الشر مسيطراً على كل إنسان. لن يكون الإيمان قوياً في العالم بل سيكون بالعكس ضعيفاً. إذاً فلنكتفِ بأن نعمل في بيوتنا، في ذواتنا، في أولادنا، حيث يمكن أن نصنع بيتاً للرب وأن نجعل له قاعدة جمعية القديس جاورجيوس الذي وهب حياته لمن أعطاه الحياة. نحن لمن نهب حياتنا؟ المنشغل بهذا وذاك، الإنسان المبعثر هنا وهناك، لمن يهب حياته؟ واهب الحياة واحد فقط وله يجب أن نقدّم حياتنا.

عافاكم الله جميعاً وأبقاكم عمراً طويلاً بالنعمة والبركة، آمين.

✞ ✞ ✞

حماة الإيمان لا يؤمنون*

أنا سعيد جداً بصفتي معلماً سابقاً للغة العربية أن أهتز فرحاً لهذه التعابير وهذا اللفظ وهذه اللهجة. نشكر الله أنكم تسيرون في هذا الطريق. في الإنجيل المقدس شيء مهم أعود إليه لأن أهله لم يعودوا يقرأونه قراءة كافية.

نعم في الإنجيل شيء مهم جداً وهو أن ربنا لم يقل يجب أن تدرسوا قواعد اللغة العربية مثلاً، بل قال يجب أن تتعلموا قراءة المحبة. فإذا لم تحب فلا يمكنك أن تصل إلى معرفة حقيقية حتى في أي شيء. والإنسان هو في الدرجة الأولى جدير بالمحبة لأن الله خلقه على صورته ومثاله بالمعنى المعنوي للكلمة، ومن لا يحب الإنسان لا يحب خالق الإنسان. لذلك إذا كنا قد بُلينا نحن بأنه على أساس الإيمان والانتماء الروحي هنالك واقع يستدعي بأن نؤلف هيئات سياسية وبالتالي أن نمر من مستوى الإيمان الصافي إلى مستوى تنظيم سلطوي، والسلطة حتماً أساس للخصام لأنها موضوع تنازع دائماً لأنها سلطة على أحد ما دائماً، وبالتالي تخلق طرفين ولا تعني طرفاً واحداً وحده.

بما أنكم لم يفتقدكم الله، وإن شاء الله لن يفتقدكم على الإطلاق بأن تأتوا بالإيمان لكي يكوّن كتلة سلطوية لها أن تفرض نفسها على فلان أو فلان ففيكم سنرى دائماً صفاء الإيمان ونرى ما نحن مدعوين إليه في بلادنا وحيثما آمنا. في الشرق في منطقتنا ظهرت الديانات وظهر الإيمان لكن الإيمان امتزج بالسلطة والدولة. والدولة تحديداً لا تؤمن. حُماة الإيمان لا يؤمنون. هذه هي

* كورتيبا، البرازيل، السبت ١٩٨٤/٩/٢٩

مأساتنا. نتخبط في الدولة باسم الإيمان ولكن الدولة لن تكون مؤمنة في أي طور من الأطوار، والتاريخ شاهد.

بارك الله بكم وحفظكم. أنا سعيد جداً وأنا باسمي وباسم أخوتي أقولها ونرفع الرأس عالياً بأنكم تقرأون الوجه الذي خلقه الله أكثر مما تقرأون أي شيء آخر، وتحبون الإنسان وهو حبيب الله أكثر مما تحبون موقفاً أو موضعاً أو فكرة وما إلى ذلك. الذي يحب يحب الشخص ولا يحب الفكرة وحدها ولا الموقف وحده إنما الإنسان بحد ذاته. هذا هو الحب المطلق الذي يعطينا إياه كتابنا المقدس وهو لا يختلف عن أي إيمان بأي شيء.

أشكركم على هذه التقدمة وستكون رمزاً لليد التي قدمتها وللفم الذي نطق بالتقدمة وللأيدي التي اشتغلتها وإن شاء الله للبلاد التي هذا الخشب هو رمز لها، وشكراً.

✝ ✝ ✝

الله لا يبارك الاقتتال*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أيها الأحباء،

أحب أن أشكر العزيز السيد حسين على حسن ضيافته حيث رأيت أنه وعائلته وهذا الجمع الغفير يتسابقون لتكريمي، فأنا أشكرهم جميعاً جزيل الشكر، كما أشكر الخطباء على الكلمات الحلوة والغنية بالفضائل والآيات الكريمة.

لا يجوز أن ننسى ما كان لنا نحن الشرقيين من مكانة علمية بدأنا نفقد قدرها. فمن الشرق بل من القرى في الشرق ظهرت الدعوات السماوية ومن عندنا من الشرق عرف العالم الحضارة والمدنية والإيمان. فكيف نقول إن المسلم يقتل المسيحي والمسيحي يقتل المسلم إكراماً لله؟ لا، أيها السادة، إننا نرى في كثير من الأحيان أن المسلم يقتل المسلم وأن المسيحي يقتل المسيحي، وعندما يتقاتل المسلم مع المسلم فهل يكون ذلك إكراماً لله، أو عندما يتقاتل المسيحي مع المسيحي فهل يكون هذا التقاتل إكراماً لله؟ وحتى عندما يتقاتل المسلم مع المسيحي فإن هذا لن يكون لمصلحة الإله الواحد. والتاريخ علمنا أن العالم لم يتقاتل مع بعضه البعض إكراماً لله بل إكراماً لأشخاصهم ولمطامعهم. لا يجوز أن نقول بعد اليوم إن المسلم يقتل المسيحي ولا المسيحي يقتل المسلم يجب أن نعود إلى الأصالة في نفوسنا، إلى روحانيتنا، روحانية الشرق. فنحن كشرقيين ما تعودنا أن نكون ملحقين لأننا الأساس. فعلينا أن نعود لنقاتل كل من يرسل إلينا

* كورنتيبا، البرازيل، الأحد ١٩٨٤/٩/٣٠

السلاح لنتقاتل. ولنقل للجميع: نحن هنا نعيش بما أرسل الله لنا من رســالات سماوية سمحة كريمة. نعيش بالمحبة وبالإيمان. فلنترك كل الأشياء المستوردة جانباً ولنعد إلى الينابيع وإلى الأصل. أعود فأكرر بأن التقاتل بين الأخوة ليس تقــاتلاً لمصلحة الله.

وأخيراً أشكر الجميع على الحفاوة كما أشكر صاحب الدار على هذا اللقاء المسيحي المسلم داعياً للكل بالتوفيق.

✞ ✞ ✞

إيمان إنطاكية*

أيها الأحباء،

اجتماعنا اليوم يتسم بطابع خاص بالنسبة إليّ فهو كما سمعتم باسم إنطاكية العظيمة إنطاكية السليب إنطاكية التي تبقى أملاً لنا نسأل الله أن يعين أهل الخير والمخلصين لكي يسترد هذا الحق لنا وتسترد إنطاكية إلى عائلتها الطبيعية.

في مكان من الأمكنة قلت إن إنطاكية اسم ليس كسائر الأسماء يحمل ذلك الثقل التاريخي لا بل قلت ذلك بلهجة التمني ليت كل واحد منا يشعر بثقل التراث الذي يحمله إذن لكان شديد الفخار ولكان في الوقت نفسه شديد الشعور بالمسؤولية. لن نستسلم إذا كنا فقدنا إنطاكية. كما أننا لسنا من المستسلمين عندما نفقد أي شيء بالقوة والاغتصاب. نحن إذا شاء الله وبمعونته الإلهية صامدون إلى الأبد ولن نتنازل عن هذه الصفة لا بل سنشدّد عليها حيثما كنا ونحن هنا باسم الكرسي الانطاكي المقدس.

لا أدري لماذا أشعر بحرية أوسع في هذا اللقاء لكي أقول ما لم أقله في اجتماعات أخرى. زرت محلات عديدة وشعرت أن حاجات الإنسان مؤمنة في كل مكان زرته. الذي يريد أن يأكل يمكنه أن يأكل والذي يريد أن يلعب يمكنه أن يلعب ومن يحب أن يسبح يمكنه أن يسبح ويتسلى وتتوفر له أنواع عديدة من التسلية. ولكن في هذا المكان أبدأ بالقول: هل من الصعب يا تُرى، أو هل ضد

* كورتيبا، البرازيل، الثلاثاء ٢/١٠/١٩٨٤

التراث الانطاكي وضد التراث الوطني العربي أن يكون للعنصر الروحي مكان عندنا؟ لست متأكداً أني في المكاتب التي زرت قد رأيت إنجيلاً أو كتاباً عن الإنجيل. لماذا يا تُرى؟ لماذا يُحرم الشخص الذي هو من تراثنا وهو أصيل مثل أصالتنا من أن يمسك بورقة تتحدث عن الإيمان بالله؟ لماذا يُحرم هذا الإنسان من الإمساك بها في قاعة مثل هذه القاعة أو في زاوية من زوايا هذا النادي أو في مكان آخر؟ لماذا لا يُتاح له ذلك؟ أسأل هذا السؤال دائماً: لماذا لا يتاح لأولادنا في البيوت أن يتعرفوا على أعماق إيمان إنطاكية، حتى في البيت؟ ماذا نضع في زوايانا؟ صورة مَن؟كلمة مَن نريد أن نُسْمِعها أولادنا؟ لماذا كلمة الرب بعيدة عنهم : بعيدة هناك وهي بعيدة هنا أيضاً.

وهل يوجد أحد من البساطة بمكان ليظن أننا بدون الإيمان يمكن أن نكون سائرين في خط التراث الأصيل الذي نحن نمثله؟ الآلة ليست من تراثنا الأصيل. المظاهر الاجتماعية الخارجية ليست من تراثنا الأصيل. المقاييس الأخلاقية المستوردة من هنا وهناك وهي أقرب إلى الإباحية منها إلى أي شيء آخر، هذه ليست من سمات العربي. ما الذي نوفره لأولادنا ولإنسان مخلص يأتي حاملاً إنطاكية من كل جوانبها إلا الجانب الروحي الإيماني؟

في إنطاكية رفعت كلمة الإيمان أولاً.

في إنطاكية حصل الجدال بين الرسولين بطرس وبولس على القضية الآتية: هل نفرض على كل إنسان يريد أن يعتنق العهد الجديد والإيمان بالرب يسوع أن يكون يهودياً أولاً ثم ينطلق إلى المسيحية. هناك كان الجواب لا، اليهودية ليست لنا وإنما هي صفحة طويت وبقيت لكي نستنير بها إلى حد ولكنها ليست لنا قاعدة للإيمان. في إنطاكية كان التحدي الأول لليهودية على

أساس الإيمان العميق الإيمان الحقيقي. وفي إنطاكية قيلت الكلمة إن اليهودية دين لكنه ليس ديننا وأن المسيحية أتت لكي تمحو ذلك الدين وتجعل من المسيحية الوجه الجديد، العهد الجديد، لكي لا نعود ثانية إلى ما هو عتيق.

هل يصعب أن يجلس واحد مثلي هنا لكي يحدث أمثالكم مثل هذا الحديث؟ لماذا لا يكون ذلك مرة في الشهر، مرة كل شهرين، ونرى في نوادينا استجابة لهذا العنصر العميق هذا العنصر الطيب الذي أكرر انه لن يكون حمل التراث الانطاكي كاملاً بدونه؟ بلادكم الأصيلة ليست بلاد إلحاد. البلاد العربية بكاملها هي بلاد إيمان والمؤمن يحمل إيمانه معه.

وليس العيب في أن يكون لنا إيماننا وأن نحمل ذلك الإيمان. نريد كتباً تحدثنا عن تراثنا وعن إيماننا، نريد كتباً بلغتنا وبسواها، نريد كلمات نسمعها من وقت إلى آخر لكي توسع آفاقنا وتفتح أبواباً جديدة في الفكر والتصوّر والتطلع نريد إنساننا الانطاكي رحباً واسعاً لا ينحصر في أمور يتعلق معظمها بما هو ظاهر وبما هو عبثي بيولوجي. نريد من وقت إلى آخر أن تتبارك هذه الجدران وهذه الغرف بكلمة الرب وأن تقام صلوات من وقت إلى آخر. الصلوات التي تقام في الكنائس الأرثوذكسية في العالم تنبع من انطاكي وهي قطع أدبية لانطاكي هو يوحنا الذهبي الفم. هذا لم يستورد روحانية كما نجرّب نحن كثيراً أن نفعل. هذا الإنسان لم يتغرّب عن تراثه الحقيقي كما نقع نحن في تجربة التغرب عن شخصياتنا وعن حضاراتنا أيضاً.

✠ ✠ ✠

ليس إنسان بلا عقيدة*

لم أعد أعرف ما أقول بعد أن سمعت ما سمعت وهو متنوع وعميق وهو يستدعي الكثير من القول والكثير من التعليق، ولكني يا سيادة الكاردينال ويا أيها الأحباء جميعاً، أحب أن أشكر كل من قام بجهد لكي يجعل من إقامتي القصيرة في هذه البلاد ناجحة. أنا لم أقصد عندما أتيت سان باولو أن أتمم كل ما أردت أن أتممه ولكني قصدت أن أضع البذور التي، إن شاء الله، ستعطي سنابلها في وقت قريب. وسأتابع نمو هذه البذور قدر المستطاع وطالما حييت. وإني أطلب من نفسي ومنكم أن تساعدوا لكي تنمو هذه البذور وتتخذ طريقها الحقيقي الذي أراده الله لها. إذاً أنا غير مقتنع بأني وصلت إلى كل الغاية التي من أجلها أتيت إلى هذا البلد. والأمل في العودة. سأعود إلى سان باولو لكي أرى محبة فعلية جدية تعبّر عن ذاها في كل وقت لأن هذا الحقل لا يمكننا أن نفتخر به ستين بالمئة. نحن نحتاج إلى تمتين أواصر المحبة بيننا لا بل أقول لكم إننا نتوقع منكم رباطاً في المحبة أمتن مما تعودناه أو أقوى مما نتأمله في بلداننا المشرقية. هناك النزاعات الاجتماعية والسياسية والحزبية والحدة المشرقية وعاطفتنا جميعاً وأنتم أعلم أكثر من أي إنسان آخر. كل هذا يجعلنا هناك نظهر وكأن الدنيا غابة لا يقوم لها قائم ولا تتركز لها ركيزة. أنتم مؤهلون وبعيدون عن حدتنا وعن خصوماتنا ومؤهلون لتظهروا الوجه الطيب، الوجه الذي يجب أن ننظر إليه في بلداننا المتعددة لكي نتعلم منه أنه ليس من واحد في منطقتنا يمكنه أن يستغني عن أي واحد من تلك المنطقة مهما كان وكائناً من كان. منكم نحن نتوقع هذا

* كورنتيبا، البرازيل، الخميس ١٩٨٤/١٠/٤

الوجه. أنتم مسؤولون ودينونتكم ستكون عظيمة إذا لم تُظهروا هذا الوجه. أنتم مسؤولون عن إعطائنا الآمال عندما نغرق في قضايانا المحلية. لا تنـــزلوا بـــل ارتفعوا والذي يرتفع إلى العلاء يرى أفضل ويرى أكثر ويمكنه أن يكون أكثـــر صفاء وأشد محبة. ارتفعوا ولا تنـــزلوا فأنتم تمثلون مســـتقبلاً بالنســـبة إلينـــا. والمستقبل لا نعيشه الآن ولكننا نسير نحوه. كونوا في ذلك المدى الـــذي نحـــن سائرون إليه.

لم يوجد لبنان نكاية بسوريا و لم توجد سوريا نكاية بلبنان. إني أشعر، في كثير من الأحيان، أننا نستعمل أسماء بلداننا وكأننا نريد أن نغيظ من لـــيس منها. الكل من الكل شئنا أم أبينا. نحن واحد وها نحن هنا على أشد ما نكـــون من الوحدة وهناك كما قلت نريد أن نتعلم منكم أننا واحـــد أكثـــر فـــأكثر. أرجوكم ألا يُزيّفوا اسم بلدنا، إن كان في سوريا أو في لبنان أو في فلسطين كما زيّفوا الأديان. وعندما نقول مسلماً وكأن المسلم وجد نكاية بالمســـيحي أو أن نقول مسيحياً وكأن وجوده نكاية بالمسلم. هذا غير موجود. يجب أن نتحـــرر من هذه الأمور ونحن متحررون منها. أنا شخصياً متحرر كلياً بإيماني المســـيحي النقي الصرف وبتمسكي بإيماني المسيحي الصرف. أنا متحرر من كل عقدة تجاه الإسلام. أنا لا أتصور الآن، بعد أربعة عشر قرناً من الإسلام، مهـــد الإســـلام فارغاً. نحن، أيها الأحباء، يتطلع الواحد منا إلى الآخر ونفسه تقول: «يـــا ربي اغفر لي أنا الخاطئ، يا ربي ساعدني، ودع أخوتي بإيمانهم وصدقهم وممارســـاتهم يساعدونني لكي أتعلم منهم». هذا ولو تعرفون كم يمكن للمســـيحي ولكـــل واحد منكم ومنا جميعاً، أن يتعلم من المسلم التقي، المسلم الذي يحتـــرم الـــدين والمسلم الذي يعرف أن كلمة الله ليست كلاماً يُلقى جزافاً. كم نتعلم منه لأنه

أصيل في إيمانه. كم وكم منا تزيف، تزيف في إيمانه.من هو المسيحي اليوم الذي يجسر أن يقول إنه عبارة عن تجسيد للإنجيل وللرب يسوع المسيح في محبته وتضحيته حتى الصليب من أجل كل إنسان على الأرض؟. نحن أقل من هذا بكثير ومن يدّعي أكثر من ذلك فإنما هو يدّعي في الحقيقة ادّعاء غير صادق.

إذاً، أيها الأحباء، يجب أن نتحرر من هذه الأمور كلها. استعمال أسماء متعددة للبلدان وفي الديانات لم يحصل نكاية بأحد. لماذا لا نقول إن ربنا ذكي وأنا أعتقد أنه ذكي وأنه يفهم وأن عنده قصداً في أن يجعل من المنطقة المشرقية المكان الذي فيه تتواجد الأفكار والحضارات والديانات بصورة تجعله، مع فقره بنا، غنياً بالنسبة إلى العالم. اليوم إذا كنا معمدين بالنسبة إلى الشرق فالعالم لا ينظر إلى الشرق كما نحن ننظر إليه. العالم يتوقع من الشرق أكثر مما نتعلم نحن منه. العالم ينظر اليوم إلينا ليقول: فحصنا حضاراتنا ولم نعد متوهمين بالنسبة لما أعطي لنا من مظاهر الحضارة والثقافة ولم نعد نعتقد أن في العالم ثقافة واحدة، علماً واحداً، حضارة واحدة، لم يعد أحد يعتقد هذا الاعتقاد. نحن نعتقد أن الحضارات كلها مشروعة وأن الاتجاهات كلها خبرة إنسانية وأن هذه كلها يجب أن تتكامل. ونحن نفتش اليوم عن الإنسان الذي تلتقي فيه هذه الحضارات ولا يكون مجرد نسخة طبق الأصل عن حضارة ما في مكان ما فقط. إننا لم نعد نعتقد هذا الاعتقاد.

إذاً لا تخافوا من التعدد، لا تخافوا من الأفكار المتعددة والمختلفة كما قلت دائماً وأكرر اليوم أن اختلاف الآراء لا يقود إلى الخصام عند العقلاء، يقود إلى الخصام عند الجهلاء وحدهم. لا نكونن من هذه الفئة وليقبلنّ الواحد الآخر في قلبه وفي نفسه كما يقبل الأخ أخاه ويقبل أباه وهو مختلف عنه ويقبل عائلته

وكلها مختلفة عنه. هكذا يجب أن نسير. هذه هي رسالتكم، أيها الأحباء.

الشيء الثاني والأخير الذي أود أن أقوله: أنا أشكر من لاحظ أن هذه الطاولة تضم فئة من الناس كأنكم لم تألفوا أن تروها مجتمعة. نحن نألف ذلــك اليوم. اليوم نحن معتادون أن يجتمع الأرثوذكسي والكاثوليكي والماروني والمسلم. نحن معتادون، كما قلت لكم، ولسنا معقدين تجاه هذا. ولذلك فنحن نجتمــع، وفي بلدكم الأصيل، البلد الذي منه أتيتم، هذه الاجتماعات تحصل أكثر بكــثير مما تتصورون. كونوا متأكدين أن ما رأيتموه استثنائياً نحن نراه أسبوعياً علــى الأقل. وقد تجاوزنا مرحلة التخطيط إلى حد الفعل. الناس ليسوا مَنْ هم، لأنهــم لا يفهمون، الناس يعتنقون الديانات وينتمون إلى الكنائس لأن الكنائس تتكامل ويجب أن نحترم رأي كل منهم ويجب أن نرى في تلك الكنائس عنصراً للتكامل. الوجوه اليوم لن تكون عبارة عن أن ينقل الواحد منا نسخة عــن الثــاني وأن يصبح صورة طبق الأصل عن أخيه. هذه ليست وحدة، هذا ذوبان ولا يقبــل أحد أي نوع من الذوبان.

ليس المجال أن أقول وجهة نظري في الوحدة الكنســية. ويؤســفني ألا أكون قد اجتمعت بكم في نادٍ لأحدثكم فقط عن هذا الموضوع الذي هو مــن اختصاصي ولكن كما قلت نحن عائدون وفي العودة، إن شاء الله، سأتمكن من الحديث إليكم في هذه الأمور التي لست متأكداً أن الجميع يعرفونها حق المعرفة.

أيها الأحباء، الشكر لكم على هذا الاهتمام. أشكر الذين يديرون هذا النادي، أشكر كل من استقبلني، أشكر جميع الحاضرين ههنا. وفي وقت قريب إن شاء الله، سنجتمع لنتكامل في الرأي، في الفكر، حتى وفي العقيدة. لا تظنوا أن اختلاف العقيدة الدينية ليس من صفات الناس، فهنالك عقائد وعقائد تقوم

من أجلها الحروب ويقتل الواحد منها الآخر ويثبت قولاً واحداً وهو أنه لا يمكن لإنسان أن يكون بلا عقيدة. بارك الله بكم وحفظكم وجعلنا دائماً نعتز بوجودكم وأن تكونوا أمامنا في طريق المحبة والوحدة التي ذكرتها في بدء حديثي. وأشكر مجدداً أخوتي المسؤولين في الكنائس والمسؤولين في الهيئات الدبلوماسية وسواها. أشكرهم لتكرمهم بتزيينهم هذا الاجتماع الذي أنتم وروده. بارك الله بالورود والزينة. آمين.

✞ ✞ ✞

أتمنى أن نكون مسيحيين بالفعل*

أيها الأحباء، يسعدني اليوم أن أكون بينكم. الغاية من زيارتي هي أن اطلّع على حقيقة كنيستنا في هذه المنطقة. لذلك أريد أن يتم لقائي بمختلف الهيئات التي تتألف منها الكنيسة لأني مؤمن بأن هنالك خطوة جديدة يجب أن نقوم بها نحو شعبنا في هذه المنطقة. بدون تعليم لا يمكن أن تبقى الكنيسة. السؤال: ماذا نفعل لأولادنا وماذا نفعل لشبابنا وصبايانا؟ الكبار يجب ألا يهتموا بأنفسهم فقط بل بالأجيال التي تأتي. ونحن إذا لم نكن نأتي إلى هذه البلاد بتراثنا الأرثوذكسي فنحن لا شك مقصّرون تجاهها.

أريد أن أتعرف على الأجهزة التي تقوم بمهمة التعليم وسواه في الكنيسة المقدسة. كما أريد أن أعرف ما هي اتجاهاتنا المستقبلية فيما يخص الكنيسة هنا. عندي الشعور بأننا حتى الآن لم نعطِ العمل الكنسي في أميركا اللاتينية ما يجب أن يُعطى من الأهمية. عندي الشعور أن أبناءنا الأحباء، بتكرم منهم، بنوا النوادي والجمعيات وما إلى ذلك وكلها قويت ونمت ولم يبق ضعيفاً إلا الكنيسة بحد ذاتها. بكلام آخر بنينا كل شيء للإنسان ولكن لم نقوّ ما هو للرب. أتمنى أن تكون صفحتنا الجديدة اعتباراً من اليوم هي الاتجاه نحو الشيء الرئيسي الذي يجعل فعلياً اسمنا مسيحيين. في أنطاكية وفي منطقتنا دُعي المسيحيون لأول مرة مسيحيين. أنا لا أتمنى أن نحمل هذا الاسم دون أن يكون وراء هذا الاسم المسيح بالذات. خلال رحلتي واجهت الكثيرين ممن يخاصمون الآخرين من الجالية

* ريو دي جانيرو، البرازيل، الأربعاء ١٠/١٠/١٩٨٤

نفسها. نحن نتمنى أن تكون جاليتنا دائماً واحدة موحدة لأنه إذا انقسمت هنـــا أضرّت بنا هناك وإذا اجتمعت هنا أعطتنا قوة هناك. إني آمل خلال الأيام القليلة التي سأبقى فيها معكم أن تتكوّن عندنا رؤيا لكل هذه الأمور من أجل مستقبل أفضل. هذا يجعلكم تعرفون لماذا الناحية الاجتماعية من وجودي ليست مهمـــة بهذا المقدار. أنا أشكركم لأنكم تعذبتم لكي تســـتقبلوني وأشـــكركم لأنكـــم اجتمعتم في هذه الكنيسة المقدسة وأطلب إلى الله أن يباركم كباراً وصـــغاراً وأن يُنـــزل عليكم نعمته على الدوام.

✠ ✠ ✠

دينونة لبنان تراثه*

سعادة القنصل، أيها الأحباء،

بمزيد من الشكر أقول لجميع الذين تولوا شأن هذا الاجتماع، لقد أوليتموني فضلاً وهو عزيز عليّ جداً.

أنا أود أن أقول كلمة أيضاً في هذا الموضوع، وأنا لست وحدي، والحمد لله، القائل بأن لبنان ضرورة وبأنه يجب أن يبقى ولذلك فنحن نرى تضافر الجهود من الخارج أكثر من الداخل من أجل سلامة لبنان واستقراره. وكلما كبر الأمل زادت المطالب. أنا أطالب اللبنانيين بأكثر مما يطالبون هم أنفسهم به كما يبدو. دينونة اللبنانيين هو التراث الذي يحملونه. دينونة لبنان أنه كان يحمل في يد حضارة ليس أسمى منها وفي اليد الأخرى يصيب هذه الحضارة بأذى عميق.

من يحب لبنان يحبه بكامل أرضه وبكل ما فيه، ويكفينا ما نسمعه أن العلة في لبنان هي أنه يوجد مسيحيون ويوجد مسلمون ولولا ذلك لما تقاتل المسيحيون مع بعضهم وتاريخهم في هذا المجال طويل ولما تقاتل المسلمون مع بعضهم وتاريخهم في هذا المجال طويل أيضاً.

القصة في صدقنا نحو تراثنا. والمؤمن دينونته إيمانه وليس إيمان الآخرين. نرجوه تعالى أن يعطينا لنحب لبنان محبة صافية كما أسأل الحاضرين والمغتربين

* ريو دي جانيرو، البرازيل، الإثنين ١٩٨٤/١٠/١٥

أن يكونوا هم صورة عن المستقبل الذي نريده لأناس متنوعين ولكن متحابين.

أسأله تعالى، في الشرق عامة وفي لبنان خاصةً حيث أنه لـــيس عنـــدنا طائفة بدون إله، أن يرشدنا إلى الطريق الحقيقية في أرض كـــان كـــل النـــاس يحسدوننا على كل حبة تراب منها.

✞ ✞ ✞

التنظيم ضروري في كنيستنا*

آمل أن تكون هذه الزيارة منتجة لأنني بطبعي موجه نحو الأعمال ويهمني أن أرى الهيكليات التي تساعدنا على القيام برسالتنا الكنسية خير قيام.

المجالس الملية عندنا تكونت في القانون البطريركي الأخير على أساس أنها تعاون المطران في العمل الكنسي لأننا لم نعد نعتقد بالفصل بين ما هو زمني وما هو كنسي. الإنسان ليس شخصين الواحد جسدي والآخر روحي، يعيش كل منهما منفرداً. الإنسان واحد وله جسد وروح معاً. ولذلك أي تفريغ للعمل الروحي من الاهتمامات العملية هو تزوير لها، كما أن كل تفريغ للعمل الزمني من مضمونه الروحي يكون كذلك تزويراً له. إذاً هذه هي العقيدة التي بنينا عليها فكرة المجلس الملي. والبناء الذي نود إنشاءه في هذه الهيئات جميعها هو خلق الإنسان المتكامل جسداً وروحاً. لذلك نرى في صفات عضو المجلس الملي أن يكون صاحب اختبار روحي ليقدّر الشؤون المسؤول عنها. لا يمكن لإنسان أن يبني مكاناً دون أن يعرف الهدف. والعلم الحديث يدعم هذه النظرة، كما أن الإدارة ليست تعاملاً مع أشياء مادية بل هي مع القضايا الروحية.

هذا ما نحتاجه بصورة خاصة في أميركا اللاتينية، وأمامنا أمران:

١- أن نكون أناء للاسم الذي نحمله أي لا يجوز أن نحمل اسماً مؤلفاً من حروف ولكن دون مضمون.

* بوينس ايرس، الأرجنتين، الثلاثاء ١٦/١٠/١٩٨٤

٢- نحن آتون من الشرق ولدينا زاد روحي. ومن واجبنا أن نقدمه لمواطنينا في الأرجنتين وغيرها، وهذا يتطلب حتماً إدراكاً لمسؤولياتنا.

كنيستنا ضعيفة في أميركا اللاتينية في أمرين:

١- ليست هناك هيكلية كاملة للعمل.

٢- لماذا تكون القيادة الروحية عند غيرنا هي الموجهة وأما عندنا فأولادنا لا يغذّون كنيستهم؟ نحن نعرف أن الهجرة إلى الأرجنتين كان لها طابع إفرادي لا كنسياً. ولكننا نحتاج اليوم إلى روحانية جديدة كي لا نعطي وجودنا معنى محصوراً جداً أي نكون قد زدنا عدد السكان لا أكثر.

لي الثقة بأن الواجب يفرض تقوية مؤسساتنا الكنسية بحيث لا يجوز أن يقوى أي شيء على حساب الكنيسة. كنيستنا عاجزة عن تأدية الخدمات التي يحتاجها أولادكم وعائلاتكم. ولا حاجة للقول بأن فجوة كبيرة تقوم اليوم بين الآباء والأبناء مما لا يجوز التغاضي عنه. ونتساءل ما هو مصير أولادنا؟ ما هي المقاييس التي يتبنوها؟ ما هو تفكيرهم؟ وإذا سئلوا عن أرثوذكسيتهم فبماذا يجيبون؟

إننا أمام قضايا تحتاج إلى تنظيم كنيستنا. أكلمكم كأعضاء مجلس ملي وهذا طبيعي. رجائي أن نجتمع مرة ثانية للبحث في الطرق العملية لتقوية الكنيسة في هذه المنطقة. فلا بد من التخطيط من أجل أطفالنا وشبابنا وبيوتنا كعائلات، ومن أجل القيادات الروحية عندنا لأنه كفانا استعارة للقيادات من هنا وهناك وكيفما اتفق. هذا غير مقبول. أنتم شرفاء في أعمالكم فلماذا نستعطي قياداتنا الروحية. سنتعاون جميعاً بإذن الله في هذا الاتجاه ونوليه الأولية

الضرورية.

يقولون: إن من يهتم بكنيسته هو إنسان متعصب. فلماذا إذاً من يهتم بعائلته ليس متعصباً أو من يهتم بجمعية أو غيرها؟ هذا بالفعل شيء كاريكاتوري يبعدنا عن واجباتنا ويجب أن نتحرر من بعض ما أوجده الآخرون في نفوسنا.

ليس عيباً أن يعي الإنسان تراثاً عظيماً يحسدنا عليه الآخرون. وأتذكر هنا كلمة البابا عندما استقبلني حيث قال: «اليوم، الأول في الكنيسة الثانية التي أسسها بطرس وبولس، يستقبل الأول في الكنيسة الأولى التي أسسها بطرس وبولس». وكان ذلك أمام الألوف في الفاتيكان. إذاً لدينا أشياء كثيرة نفتخر بها في الكنيسة ولا عيب أن نفتخر بأصالتنا الروحية الأرثوذكسية.

أشكركم على هذا اللقاء التمهيدي راجياً أن يُتاح لنا الاجتماع مجدداً لنتكلم بطريقة منتظمة عن الأشياء والقضايا في الحقول التي ذكرت.

✞ ✞ ✞

لبنان في قلوبنا*

من الطبيعي جداً أن أقدّم الشكر بادئ ذي بدء لسيادة رئيس الجمهورية الذي تفضل واعتبرني ضيف شرف على بلاده والذي نأمل على يده وفي أيامه أن تعطى الكنيسة الأرثوذكسية الحقوق المعطاة لكل كنيسة أصيلة في هذه البلاد. وأشكر جميع الأخوة الحاضرين والذين تفضلوا بتكريمي من مختلف الأوساط الكهنوتية والسياسية والديبلوماسية. أيضاً أشكر جميع الهيئات الاجتماعية التي تفضلت إما بزيارتي واستقبالي وإما بدعوتي إليها. وإني لن أنسى الحفاوة التي قمتم بها، أيها الأحباء، والتي بها تستقبلوني. وإنه بودي أن أقول لكم جميعاً بأن قلبي قد تعزى برؤيتكم. وقد تعزى بالاجتماع بكم وتعزى بالاجتماع بهيئات كنيستنا المقدسة وفيها مجلسنا الملي الموقر وهيئة السيدات المحترمات ووجوه شبيبتنا الحلوة. وإني أدعو لكم دائماً وأدعو لهم بالصحة والعافية.

أذكر في هذا اليوم بصورة خاصة كلمة قالها النبي داود: «ليس أحلى من أن يجتمع الأخوة معاً». إن هذا يحبه الرب، هذا معناه، أيها الأحباء، أن وجودكم معاً لا يحقق فقط رغبة أرضية ولكنه يحقق رغبة إلهية. إننا نتطلع إليكم وأملنا عظيم لكي تكونوا هنا في هذا البلد المضياف الصورة الحقيقية لشعوب تبشر كلها بالمحبة ولكنها لم تتوصل بعد إلى مستوى المحبة الفعلية. نعم نحب أن نرى فيكم وجهنا المستقبلي الذي إليه نسعى. إن من يرتبط أصلاً بمنبع الديانات السماوية وأخص المسيحية والإسلام لهو يحمل مسؤولية عظمى أمام الدنيا

* بوينس ايرس، الأرجنتين، الخميس ١٨/١٠/١٩٨٤

بأسرها. لأن الكل يقولون بالمحبة ويجب أن تتجسد تلك المحبة. ونحن في شـــرقنا الطيب، في كثير من الأحيان، تغطي خطايانا حقائقنا ولكننا اليوم ننعم بهبـــات مباركة تظهر فيها المحبة ويظهر فيها التعاون في عدد من أوساطنا. تأكـــدوا أن الإخلاص يتجلى أكثر فأكثر في حلّ قضايانا. تأكدوا أن الجهود تُصرف مـــن أجل أن تكون قضايانا واصلة إلى نهاية قريبة. وتأكدوا أنه لم يكن، في وقت من الأوقات، الجهد منصرفاً في هذا الاتجاه مثلما هو اليوم منصرف. نحن نريد ونجهد إلى أقصى حد ممكن وبالرغم من مقاومات متعددة أن يستعيد المحروم من الحـــق حقه والمحروم من الوطن أن يعود إلى وطنه. الجهود مبذولة والحمـــد لله لكـــي تُستعاد الأراضي المحتلة ومعها الكرامة المسلوبة.

ويجب أن أذكر أننا اليوم من دمشق ننظر إلى لبنان العزيز النظرة التي ينظرها المحب الحقيقي حتى تكاد أن تكون المعركة اليوم، معركة سوريا الأسد، هي معركة لبنان. وقد رجوناه آملين أن يضع اليد لكي لا تكون يد غريبة في الساحة فكان ذلك. كذلك هنا، لبنان أمانة في قلوبكم. في لبنان التقى المتحاربون المتعددون. فيكم أنتم يجب أن تكون المصالحة المسبقة يجب أن تكون صورة المحبة الصادقة التي نتوخاها. لن نتنازل عن شبر أرض من لبنان ولن نتنازل عن مواطن واحد من لبنان وآمالنا كبيرة جداً بأن يأتي اليوم الذي فيه نشهد لبنان في السلامة والعافية. ليعلم الجميع أن لبنان هو لبنان التاريخ ولبنان الحضارة وأن شرقنا الأوسط العريق، لا يُصاب ولا يُزال بشطبة قلم. وأنتم، أيها الأحباء، رجائي وأملي، أن تساعدونا بطرق مختلفة لكن هذه الطريقة هي أفضل وأشرف ما يمكن أن تقدموه، حفظكم الله وأبقاكم على الدوام.

الخطيئة تجاهل الإنسان لخالقه*

الكنيسة الأرثوذكسية لم تأت من تلقاء ذاتها إلى هذه البلاد. وأذكّر هنا بحياة الرب يسوع والتضحية التي قدمها ومع ذلك لاقى مقاومة من أهله ومواطنيه والدولة ولكنه في النهاية مات. ولو لم يمت لما كانت القيامة. والمسيحية تختصر في أن هناك من يموتون ومن يحيون.

والمسيحيون الأوائل لم يكن لديهم شيء حتى ولا الكتاب المقدس ولا خدمة القداس ولا الكنائس بل كان لديهم فقط ما يدل على إيمانهم. كانوا يقولون بأن المسيح قام والعالم كله سيتجدد لا بالحجارة والأبنية وغيرها ولكن بالإنسان الجديد الذي ينظر إلى غد أنصع وأصفى.

من كان يقول هذه الأقوال؟ أناس تركوا بيوتهم وكل شيء وجالوا في العالم يتحملون ظلمه معتقدين أن الظلم سينتهي وسلطة الشيطان ستتحطم.

ثم قامت الكنيسة على أكتاف القديسين. والقديس ليس إنساناً بلا خطيئة بل إنسان يحمل المسيح في قلبه ويقدم له كل شيء وهو سيد حياته. ولو حاول الإنسان أن يفحص قلبه قليلاً ويتساءل: أنا لمن أخضع؟ وأين مركز المسيح في هذا العالم؟ المسيحي الحقيقي يعطي قلبه أولاً للمسيح وكل شيء يزاد له. أما الشيطان فيخدع الإنسان ليكون المسيح في المركز الثاني.

نحن نسعى نحو حاجاتنا التي نتوهم أنها ضرورية. والمسيحي يعتقد أن

* كوردوبا، الأرجنتين، الاثنين ٢٢/١٠/١٩٨٤

المسيح هو الأول ثم تأتي حاجاته هو. وحتى في القداس، كل شيء يعني أن المسيح هو في المكان الأول.

تجربة المغتربين هنا هي إغراء لسد حاجاتهم وعوزهم. فالكنيسة هنا غير موجودة والنشاط الروحي معدوم، لأن الحياة العادية سبقت الحياة الروحية وكان من الطبيعي أن تسير الحياة الروحية مع العادية. ولكن حصل عدم التوازن بينهما وما يزال قائماً حتى اليوم.

أعرف هيئات كثيرة للأشياء العادية، وقد أنتجنا رجالات لكل الميادين ولكن كنائسنا بقيت فقيرة وبالكاد توجد كنيسة صغيرة في كل مكان. لماذا كثرت النوادي لا الكنائس؟ لأن النوادي مدفوعة رسومها والكنائس مجانية. هناك لا مساواة وفي الكنيسة مساواة. إننا لم نخصص أحداً لتوجيه أولادنا ومساعدتنا في حياتنا العائلية وبناء شخصيتنا الداخلية. ولا يزال يوجد من هذه البقايا حتى اليوم.

ولذلك أول عمل يجب الإقدام عليه هو تحويل اهتمامنا من هذه المؤسسات إلى الكنيسة فوراً لأن الوقت مناسب. ولن تكون هنالك صعوبة في ذلك إذا أردنا ذلك. ولا شيء يمنع إلا إذا بقي قلبنا دون تحوّل إلى الكنيسة.

ننتقل إلى شيء آخر: الكل مجمع على أن الكنيسة وكأنها موجودة لجيل واحد وكأن من اغترب أراد أن يكمل حياته الروحية وأما أولادنا وشبابنا فقد تركنا تعليمهم للمدارس والأجواء السائدة في البلد. إننا نقبل بأن يعيشوا الجو العام في البلد لأن مصيرهم مرتبط بمصير هذا البلد ويضيرنا جداً أن يكونوا غرباء أو خونة. ولكن السؤال الوحيد هو كيف يمكنهم الوصول إلى أن يعيشوا حياة الكنيسة الجامعة الأرثوذكسية؟ هل هذا يعني أننا بعملنا هذا هيأناهم ليعيشوا

حياة الكنيسة الكاثوليكية؟ الطعام المقدم لهم كاثوليكي. ومن حق أي كان، إذا أراد، أن ينضم إلى الكنيسة الكاثوليكية، ولكن هل يجوز لنا أن لا نقدم لهم نحن طعام كنيستنا؟ هذا الطعام يمكن تقديمه في الكنيسة، في البيت، في المدرسة، في النوادي وفي الجمعيات. إلى أي مدى نستطيع أن نقول عن أنفسنا إننا أرثوذكس؟ وإذا لم نجب على هذا السؤال فإننا غائبون.

السؤال الموجه إلى كل الناس ابتداء من البطريرك والمطارنة والكهنة إلى الآباء والأمهات هو أين الأرثوذكسية من أجل أولادنا؟ ما هو الجواب؟ ما العمل لكي تصبح الأرثوذكسية باباً جديداً مفتوحاً أمام شبابنا ليختاروها؟ وكيف يختاروها إذا كانت غائبة؟

إني أحاول أن أسأل عن الوسائل المتبعة لتقديم الأرثوذكسية وتثبيتها في مدرستنا هنا. اسأل عن البرامج وواضعيها، عن الدورات التدريبية الروحية لأعضاء الهيئة التعليمية وعلاقة المرشد الروحي بها، عن كيفية التدرج من مرحلة إلى مرحلة. اسأل إذا كان ثمة اتصالات ومراسلات على سبيل التعاون مع مراكز أخرى عالمية. لا بد من التعاون لتوسيع الآفاق ونشر الأرثوذكسية.

عندكم في المدرسة هنا ١٥٠ تلميذاً. هل جميعهم من أولادنا؟ إذا كان غير ذلك فلماذا؟ إذا كان غيرنا أفضل منا لماذا لا نتشبّه به؟ إذا كنا نشكو من التعليم لماذا لا نحسّنه؟ إننا بهذه الطريقة نعمّر بيوت غيرنا، وهذا هو مرض الأرثوذكس، وكأن عندهم مركب نقص بأن كل غريب هو أفضل. لماذا لا نفكر بالنتائج؟

وأنتقل إلى الأطفال لأسأل الأهلين ماذا يفعلون من أجل نمو أولادهم روحياً. تمنينا أن يحوي كل بيت مكتبة صغيرة دينية وكتباً مقدسة وأيقونات

وصلباناً لتتعود أنظار أبنائنا عليها وفقاً للطريقة التعليمية الجديدة. وتمنينا أن يسمع هؤلاء من الوالدين كلمة المسيح. فالولد ليس فقط معدة نحشوها بالأطعمة بل هو أيضاً نفس نغذيها.

أشعر أحياناً أن الوالدين قد استعفوا من تربية أولادهم. فمن يربيهم إذن؟ المدرسة والشارع؟ أقول لا خطر على أولادنا من الموت جوعاً. الخطر أن يكون قلبهم صغيراً. وهذه المهمة أحيلها على الرعاة والجمعيات.

هذه قضية واسعة جداً وهي مرحلية وليست عملية حسابية لأن العمل مع الإنسان لا يكون دفعة واحدة.

المستقبل للشباب الذين منهم الزوج والزوجة والراهب والراهبة وكل إنسان. والمهم أن يكونوا على صورة الكنيسة التي لا يجوز خنقها بالصورة القديمة.

شبابنا يحتاج إلى أمكنة للاجتماع والتلاقي مع بعضهم ومع مرشدين ومحاضرين. يحتاج إلى القراءة والتعبير عن رأيه وسماع هذا الرأي دون احتقار. حكمة الكبار جيدة في عالم الكبار. ونعرف أن الاختلاف قائم دائماً في البيوت بين الأهل والأولاد ولكن المهم أن تبقى المحبة سائدة. وإذا كان ليس صحيحاً أن يكون كل منا صورة طبق الأصل عن أمه أو أبيه فلماذا يصح هذا في الكنيسة؟ والمعلم في الكنيسة لا يعلم من أجل نفسه لأن الرعاة ليسوا لذواتهم بل الكل من أجل الجماعة التي لا يمكن أن تعيش في الماضي فقط. وهذا صحيح بالنسبة إلى الطقوس أيضاً.

كثير من الأهل اعتقدوا أن المشكلة الأخلاقية هي مشكلة الجنس ولهم

الحق بهذا الشعور. ولكن هذه المشكلة هي اليوم موضوع التساؤل، وجوابنا أن العفة هي القاعدة الأخلاقية في المسيحية. ولا يكفي أن يستفيد الواحد من الشخص الآخر. فشبابنا مجربون ويسألون دائماً عن ماهية الخطيئة. الخطيئة ليست قضية الجنس فقط لأنها تكون أيضاً في التجارة وغيرها. الخطيئة هي في علاقة الإنسان مع ربه أي عندما يتصرف وكأن الله غير موجود، وأن يتجاهل خالقه.

هل هذا كله كلام فقط؟

ننظر إلى واقع العالم لنتحقق من هذا الكلام.

هل هذا العالم حسن بالنسبة لكل الناس؟ ما هي نسبة المحتاجين والمهددين بصحتهم وأموالهم وحياتهم؟ إحصائياً، عندنا ٦٠% من سكان العالم يجوعون. ما هو سبب وجود الجوع اليوم؟ المعتقلات في العالم ملأى، الآلاف فيها يتعذبون، والعلوم تساعد على التفنن في التعذيب. هل هذا هو العالم الكامل؟ نعرف الآن أن ثمة قوة ذرية تكفي لتفجر عشرين مثل الكرة الأرضية، ما الفائدة من وجودها؟ لا نغترنّ بأن لدينا سيارات وطائرات وكهرباء فيما الناس في عجز عن توفير معيشتهم رغم العمل المضني. أين كرامة الإنسان في استعمال المخدرات والمهلكات التي نوفرها؟ لِمَ الحروب؟ أول تجارة في العالم هي تجارة السلاح والثانية تجارة المخدرات يعني الشباب. فهل هذا العالم كامل؟ هذا ما نقصده بالخطيئة.

كثيراً ما يتصرف الإنسان ضد صحته وأخلاقه. هذه هي الخطيئة. وإذا لم نسعَ لمداواة ومعالجة هذه الأمور فما هو عملنا إذن؟ هذا يؤدي إلى تفكيك العائلات والبشر، فنأمل من شبابنا أن يعرفوا أن مجالات الخطيئة أوسع مما

يتصورون وأطلب من الكهنة بأن يكونوا على اتصال دائم بهم مـــن أجـــل أن يكونوا هم أسياد هذا العالم.

خطّطنا لمؤتمرات سنوية للشبيبة في أميركا اللاتينية يتمثل فيها المطارنـــة والكهنة والشبيبة لكي نلتقي ببعضنا ونتعلم مشاكل الشباب ونوطد العلاقـــات بينهم وبين الكنيسة ولدينا برامج متعددة من أجل الشباب لا بد من الاســـتفادة منها.

باستطاعة الكبار أن يحلّوا مشاكل الماضي لا المستقبل لأنهم لا يعرفـــون ولا يحسون بمشاكل المستقبل. ولذلك يجب أن يحل الشباب مكانهم لئلا يحدث فراغ بعد رحيل الكبار.

المهم هو الاستمرارية التي إليها نلفت نظر الجمعيات والهيئات الأخرى لأن العمل في الكنيسة ليس عملاً إدارياً فقط بل هو عمل ذو معنـــيين: مـــادي وروحي. ولذلك إذا لم تخصص في الميزانيات مبالغ للتعليم الديني تكون القضية كلها عملية حسابية، وهنا الخطر. يجب تـــأمين ميزانيـــات للكتـــب الدينيـــة للأيقونات والصلبان وإرسال وفود واستقبال وفود لتزيين وتجميل الكنائس وغير ذلك وأنا أشدد على السير في هذا الاتجاه. ولا عيـــب إطلاقـــاً في الاســـتعانة بأصحاب الاختصاص.

لا كنيسة بدون كهنة. يمكن تأليف حزب وتأسيس دولة أو أي شـــيء آخر بدون الكاهن أما الكنيسة فلا يمكن أن تقـــوم بـــدون كـــاهن. وكـــل الإمكانيات متوفرة حالياً لتخريج كهنة أصحاب كفاءات لاهوتية عاليـــة إن في معهد البلمند أو في أميركا أو باريس وعن قريب في سان بـــاولو. والكنيســـة تتحمل كل النفقات والتكاليف حتى إن طريقة الدراسة قد تكـــون بالمراســـلة. وكل هذه التسهيلات متوفرة لتأمين عدد الكهنة الضروري لخدمة النفوس.

العائلة المسيحية*

في الكتاب المقدس نجد التعابير العائلية مبثوثة من أوله وحتى آخره فنسمع كثيراً بكلمة أخ وكثيراً بكلمة ابن وكلمة أب وكأن الصورة العامة التي سنعطيها للمجتمع البشري هي الصورة التي تعطى عادة في الأسرة والتي يعتبر فيها كل عضو مرتبطاً بالآخر.

وفي أساس تفكيرنا بالأسرة نظرتنا إلى الله. فالله في نظرنا أب وابن وروح قدس. وألفت النظر بصورة خاصة إلى كلمة الأب وكلمة الابن. فمن ناحية نعبّر عن تعدديتهما ومن ناحية أخرى عن وحدهما. هذا يصح أيضاً عن الروح القدس. ولكن هذا ليس موضوعنا الآن. المقصود هو أن الواحد يستمد وجوده من الآخر وأن هذا الوجود غير مستمد اصطناعياً. إذن نحن ندل بكلمة الأب والابن على الوحدة العميقة التي تربط الواحد بالآخر.

الأسرة عندنا هي الوحدة الاجتماعية التي تتصف بأنها ليست فقط على سبيل الاتفاق ولكن على سبيل الحياة العضوية. من هنا، الشخص الذي يتزوج لا يتفق فقط مع شخص آخر ولكنه يعطي للشخص الآخر والشخص الآخر يعطيه ويصبح ممنوعا التكلم عن كل واحد بمفرده. الشخص الذي ينضم إلى الأسرة يصبح هو منها وهو لا يُميَّز عنها.

من هنا، الزواج ليس شيئاً خارجياً ولكنه أمر داخلي. وهذا هو الذي يجعل العائلة واحدة. وهذا مستقل عن فردية الشخص، مستقل عن مزاج كل

* كوردوبا، الأرجنتين، الثلاثاء ٢٣/١٠/١٩٨٤

شخص وفي النهاية مستقل حتى عن عاطفة كل شخص. الزواج إذن ليس قضية عاطفية. الحب هو الشعور العاطفي ولكن كما أن كل حب لا يؤدي حتماً إلى الزواج فإن الحب لا يرافق كل زواج مدى العمر.

والذي يثبِّت الزواج هو الوجود الإلهي بين الشخصين وإذا غاب العنصر الإلهي لم يبق شيء ثابتاً على الإطلاق في العائلة. لأنه لا شيء في الإنسان يبقى كما هو في كل الأعمار وفي كل الأطوار، ولهذا السبب نصرّ على وجود ثلاثة عناصر: الرجل، المرأة والكنيسة لأنه بدون الكنيسة يمكن للرجل والمرأة أن يعيشا حياة طويلة معا دون أن يكونا زوجين. ومن هذه الزاوية نحن لا نقبل الزواج المدني لأن العنصر الثالث فيه مفقود في نظرنا. وهذا يجعلنا نرى الخلافات العائلية تُحل على أساس الثلاثة معاً، لا على شيء يخص المرأة فقط ولا على شيء يخص الرجل فقط ولكن على شيء يخص الكنيسة والرجل والمرأة في آن. ومن هنا اهتمامنا بوجود الروح القدس بين الرجل والمرأة.

وكما قلت سابقاً، هذا هو العنصر الذي يجعل الحياة الزوجية دائمة. وإذا كنا نبشر العائلات بضرورة وجود العنصر الإلهي في المنزل وفي نفوسهم، فنحن إنما نبشرهم بالشيء الذي يثبّت الأسرة في بيوهم. ونحن نعرف أن الروح الإلهي كما جاء في العهد القديم يتصف أولاً بأنه عطاء وثانياً بأنه مجاني. العطاء المجاني هو الصفة التي أُعطيناها في عملية الفداء . في البيت، وفي العائلة، عندما يتغير الموقف بين الزوجين من العطاء المجاني إلى المحاسبة والمطالبة تبدأ المشاحنات لأنه بدل أن يريا أنفسهما يعملان من أجل التعاون يأخذ كل واحد في البحث عما له كفرد وليس كعضو في هذه العائلة وبالتالي لا يطيع الإرادة الإلهية التي ظهرت في العطاء المجاني. وفي هذه الناحية ليس من الضرورة أن يكون الشخص

الآخر مستحقاً حقوقياً أن نقدم له، لأن واجب العطاء في العائلة هو عطاء مطلق والغاية هي الأسرة وليس الشخص.

والآن لنلفت إلى الثالوث الأقدس. الآب يتجه نحو الابن، والابن يتجه نحو الخليقة. في العائلة يحدث الشيء ذاته. الأب والأم يتجهان نحو الابن. من هنا تصبح أربعة عناصر في العائلة: الكنيسة، الأب، الأم و الابن. وما هو خير للعائلة خير للعناصر الأربعة وليس لواحد فقط. ويصبح الخطر كبيراً عندما يستأثر الأشخاص ببعض الأمور ويتناسون الباقين. ونحن نفهم أن الأب والأم عندما يقبلان بالأبوّة والأمومة يفرغان ذاهما في الابن ويصبحان في خدمته وليس العكس، ويضحيان في سبيله وليس العكس، وتصبح غايتهما في العيش ليس إرضاء الواحد الآخر فقط ولكن إرضاء الشخص الذي هو ابنهما. إجمالاً عندما تبحث قضايا العائلة تبحث بين الرجل وزوجته ولا يؤخذ الأولاد كفاية بعين الاعتبار. نحن في الكنيسة نأخذ هذا الموضوع بعين الاعتبار ولا نقبل بأن يكون الأولاد ضحية البالغين ومزاجاهم.

هذه بعض الخطوط الكبرى التي جعلتنا ننظم قوانين الزواج من جديد في الكرسي الأنطاكي. ما يُطلب من المرأة يُطلب أيضا من الرجل من حيث الأمانة الشخصية والعفة الشخصية وتُتَّخذ نفس المقاييس للشخصين. كانت الأنظمة القديمة منذ عهد يوستينيان تضع ما هو للمرأة في صفحة وما هو للرجل في صفحة أخرى. ونحن، لكي نؤكد على المساواة في المسؤولية بين الرجل والمرأة، وضعنا الكل في صفحة واحدة كما قررنا أنه بعد الزواج يصبح كل شيء مشتركا بين الرجل والمرأة و الأولاد. وقلنا إن كل النتائج يجب أن تشمل كل أعضاء العائلة. ذلك لأننا نشعر في هذا العصر بأن البعض يتصرف وكأن

الدنيا كلها يجب أن تكون خاضعة لهم. هذا لا تحبذه الكنيسة. الكنيسة شركة والأسرة شركة مع الكل والكل مع الواحد. ولذلك لا نقبل الاتفاق بين رجل وامرأة من أجل فسخ الزواج لأننا نعتبر هذا مؤامرة على السر الإلهي لأهما يتناسيان أن العنصر الثالث الذي هو الكنيسة لم يؤخذ بعين الاعتبار. والكنيسة تحدث الزواج ولا تشهد عليه فقط ولهذا يجب أن تُسأل في هذه الحقل. هذا ينسجم كليا مع التراث الرسولي كما ورد في رسائل القديس أغناطيوس الأنطاكي ـــ وهو كما تعلمون توفي في أواخر القرن الثاني ـــ قال: يجب أن يفعل المؤمنون كل شيء أمام الأسقف وأن يفعلوا كل شيء من أجل المسيح. إذن أنتم ترون الوجه الجماعي للعائلة. وقال الآباء أيضا إن العائلة هي الكنيسة المصغّرة لأن فيها يرى الطفل خليقة الله، يراها في أمه وأبيه واخوته. وكل الناس يعرفون أن النواة الأولى لشخصية الطفل تنمو في العائلة. إذن هناك ينشأ إيمانه وكفره وكل شيء. هذا يجعل العائلة جماعة مسؤولة. وعندنا الشعور اليوم أن العائلات تستعفي شيئاً فشيئاً من مسؤولياها وصار عندنا التباس بين الاستعفاء من التدريس والاستعفاء من التربية وذلك بسبب وجود المدارس. المدارس وجدت أولا للتدريس وبعدئذ للتربية ولكن العائلة وجدت أصلاً للتربية بالدرجة الأولى.

يسعدنا أن المدارس أصبحت اليوم تعي ضرورة وجود الأهل. وأن التعاون بين المدرسة والأسرة هو تعاون ضروري. الواقع أنه على الأمهات والآباء أن يعرفوا أن أولادهم يلاحظون كل كلمة وكل حركة منهم. إهم يلاحظون حتى النظرة من الواحد للآخر، وهذه ناحية من النواحي التي تستدعي تضحية من الآباء والأمهات. أمام الأولاد فلا يمكنك أن تعيش لنفسك يجب أن تعيش لهم. ولكي تربي الأولاد يجب أن تربي نفسك قبل كل شيء.

أنتم إنجيل حي*

هذا اليوم عظيم في حياتنا لأننا نجتمع باسم الرب يسوع الذي باسمه نحن نعتمد واسمه نحمل. نجتمع لنتذكر اننا مسيحيون. كم من الناس يجتمعون في مناسبات متعددة ولكنهم قليلاً جداً ما يجتمعون باسم الرب، ومن أجل اسمه القدوس. العالم ينظر إلينا. العالم ينظر إلى هذه البلاد وإلى شعبنا المؤمن ليرى ماذا يفعل المؤمنون لكي يسلكوا طريقهم نحو الرب أو لكي يقولوا إن ديانتهم كلام بكلام.

كلام الرب اليوم موجه إلينا وهو يخاطب الفريسيين الذين تهمهم ظواهر الأمور أكثر من جوهرها. إن مشكلة الإنسان، أيها الأحباء، هي كيف يكون صادقاً ولا يكون ذا شخصيتين: الشخصية الأولى التي تظهر للناس والثانية التي تكون في داخله. الرب يسوع يطلب أن يكون الظاهر كالباطن. بكلام آخر، لا يمكنك أن تكون ممثلاً أمام الرب ولا يمكنك أن تكون ممثلاً أمام أعين البشر. الناس ينتظرون ماذا تعمل ليحبوا إلهك. ومن أعمالك وأقوالك وأفكارك يمكن للناس أن يروا الرب يسوع. كل واحد منكم إنجيل حي والكثيرون منا إنجيل لإله مجهول. وإلى متى لا نكون الإنجيل للإله الواحد الوحيد الذي هو ربنا يسوع المسيح؟

أيها الأحباء، نحن مدعوون لفحص ضميرنا اليوم. أنا أعرف أن الكثيرين عندهم الجرأة ليواجهوا جيشاً كبيراً ولكنهم لا يجرأون على مواجهة

* كوردوبا، الأرجنتين، الأربعاء ٢٤/١٠/١٩٨٤

ضمائرهم وأنفسهم.

الرب يساعدنا في سعينا إلى أن نكون مخلصين في إيماننا. ومهما ضج العالم وأغرانا فوجه الرب يبقى أحلى وجه وطعم الرب أشهى طعم، وهو حياتنا وآخرتنا أيضاً.

✞ ✞ ✞

بدون الحرية لا أخوّة صادقة*

أنا سعيد بلقائنا هذا المساء. وأتذكر اليوم بعض الأشياء بصورة استثنائية لا سيما زيارتي للجمعية الجعفرية في صافيتا حيث شعرت انني في بيتي وحيث قلت ما أشاء بحرية وانطلاق. وعندي ما يذكرني بهذا الأمر وهو حضور الاخوة وأحب أن أشدد على كلمة الاخوة. وأعتقد أنه يمكن تحقيق مضمون هذه الكلمة هنا أكثر من تحقيقه في بلادنا في هذه الظروف. فلا نزال نتهم في بلادنا بأن سبب كل علة هو وجود أديان مختلفة، وكأنه لم يحدث أي خصام في الشرق إلا على أساس الدين. ومن يعرف التاريخ يعرف ان هذا خطأ. فقايين وهابيل هما في كل بيت وكل ديانة. والمسلمون كسواهم من الناس يؤلفون دولاً ويتخاصمون فيما بينهم تماماً كما يفعل المسيحيون فيما بينهم أيضاً. والحروب العالمية الكبرى جرت عملياً بين فئات من دين معين.

نحاول في الشرق أن نبرر كل أعمالنا فلا نجد أفضل من الدين. اذهبوا إلى السجون تجدوا فيها اللصوص من كل الأديان، والذين يخالفون القانون هم من كل الأديان أيضاً. اذهبوا وانظروا المعذبين تجدوا أن المعذب والمعذبين من دين واحد.

إننا نحسدكم لأنكم هنا ولأننا نعتقد أن هذه البلاد جيدة. ولكن هذا لا يعني أننا لا نعتقد بأن بلادنا من أشرف البلدان. أنتم في وضع يؤهلكم لأن تكونوا أفضل منا. ليست عندكم المصالح التي عندنا هناك. ولذلك من أتفه ما

* توكومان، الأرجنتين، الجمعة ١٩٨٤/١٠/٢٦

يمكن أن يحدث هو أن تتخاصموا هنا على مصالح سواكم هناك. وأن تبرهنوا أن الشرق ينتج رجالاً يعرفون أن يزينوا الأمور ويعطوها قيمتها، وأن لا يكونـــوا دائماً أولئك الذين يفكر غيرهم عنهم ولا يكونون إلا تابعين لسواهم.

أتيتم تطلبون حرية العيش. أطلب إليكم أن تكونوا حقاً أحراراً. بدون الحرية الداخلية والخارجية لا يمكنكم أن تكونوا أخوة بالمعنى الحقيقي.

أيها الأحباء،

تخدموننا إذا كنتم أحراراً وأخوة بالفعل.

بارك الله بكم.

✠ ✠ ✠

مجلس الكنائس خادم للكنائس*

العمل المسكوني عمل جماعي يرتكز على اللقاء وعلى المحبة. وقد اختبرنا نحن بالفعل في مناطقنا هذه التجربة في مجال التعاون والمحبة. وستبقى الفرصة سانحة للاجتماع والتلاقي في أي وقت. وما يهمنا في الصميم هو الوجود المسيحي. فالمسيحيون عندنا قل عددهم بسبب الهجرة التي تعددت أسبابها ومن بينها أن الديانة السائدة هي غير المسيحية. ولأن الكنيسة بالذات لم تكن معروفة بالشكل الكافي حتى اعتقد البعض أن المسيحية مستوردة وليست ربيبة الشرق الذي ولدت فيه.

وفي التاريخ، تجاهل الصليبيون تماماً وجود المسيحية الشرقية بإيفادهم إرساليات إلى الشرق معتبرين أن المسيحية الحقيقية هي التي تأتي من خلال الإرساليات، وكأن ثمة تناسقاً بين العوامل الداخلية غير المسيحية والعوامل الخارجية المسيحية. والفكرة الثابتة في ذهن العالم الإسلامي ان المسيحية مستوردة لأن كلمة مسيحيين في الشرق تعني الفاتيكان، وكلمة عرب تعني الإسلام. ونحن نرفض بأن لا نكون مسيحيين عرباً أصيلين في شرقنا وكأن القرون الستة قبل الإسلام كانت فارغة من المسيحيين. وهذا خطأ.

ما يهمنا إذن هو التعاون المسيحي الحقيقي لأن المسلم لا يستطيع أن يفهم وجود طوائف مسيحية كثيرة تتحدث عن المسيح وهي ليست متفقة فيما بينها. ومن المؤسف جداً أنه يستحيل إعطاء الشهادة الحقيقية للمسيح في وطنه

* تشيلي، الثلاثاء ١٩٨٤/١١/٦

الأصلي.

أما فكرة الحركة المسكونية فانطلقت من اعتبار المسيحية ديانة التجسد مما يعني أن لها تاريخها الحقيقي وجغرافيتها اللذين لا يمكن تجاهلهما، ومن اعتبار التعاون والمحبة بين الطوائف المسيحية ذاتها ضرورة حتمية لدعم الوجود المسيحي. وهكذا تلاقت الكنائس الأرثوذكسية والكاثوليكية والكنائس الأخرى مع التشديد على إيقاف الحروب الصليبية في الشرق. وبدأنا نشعر بأننا نتكامل ونحتاج إلى وجود مسكوني بين الطوائف.

ولو عدنا إلى كلمة مسكونة لرأينا أنها عنت في وقت من الأوقات سكان الإمبراطورية ثم تعمم المعنى بالنسبة إلى سكان أوستراليا وأميركا. ولكننا نحن نشدد على أهمية الكنيسة المحلية لأن صفة «الجامعة» توجد في الكنيسة المحلية خلافاً لمنطق التعميم السائد في القرون الوسطى. «فالكنيسة» هي صفة نوعية وليست جغرافية لأنه حيث يكون المسيح هناك تكون الكنيسة.

لذلك نؤمن بأن العمل المسكوني يجب أن يظهر في الكنائس المحلية مما حدا بنا إلى تأسيس مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي تألف من كنائس القرون الأولى للمسيحية في الشرق وهو يسعى إلى إقامة حوار ثنائي بين الطوائف حتى مع الكنيسة الرومانية الكاثوليكية. وهذا المجلس يتدارس كل الأمور التي تشكل عثرة في وجه كل تقارب بين الكنائس وتتعمق في أسباب الانشقاق والخلافات القائمة سعياً وراء تسهيل وحدة المسيحيين التي هي حلم الشعب المسيحي بأسره ومن أجل تقديم شهادة واحدة للمسيح الواحد تجاه العالم الإسلامي.

وهنا، تجاه الوضع القائم في الشرق، أشير إلى أمر بالغ الأهمية نعاني من

خطره. أنتم هنا في العالم المسيحي تتصرفون أحياناً متجاهلين العالم الإسلامي فتوجهون بعض الانتقادات إلى الكتاب المقدس يتخذها الإسلام حجة ضد أصالة الكتاب وضد المسيحية نفسها جاعلاً إياها موضوع شك.

ونؤكد هنا أن كل خلاف مسيحي في الخارج ينعكس على مجتمعنا وكنائسنا في الشرق. هذا ما يجب أن يفهمه المسيحيون في العالم ويتأكدوا من مخاطره على المسيحيين في البلدان غير المسيحية.

وبالعودة إلى مجلس الكنائس العالمي أقول بأن ما يوجد من مجلس الكنائس هو مكتب للكنائس لأن جنيف ليس لها تعليم خاص عن الكنيسة. والمجلس ليس هيئة عليا، ومن فيه ليسوا باباوات بل جل قصدهم التعبير بطريقة تختلف عن الطرق المألوفة، لأن الكنيسة لا يمكن أن يحل مكانها شيء على الإطلاق.

أما ضعف مجلس الكنائس العالمي فبكونه لا يحاول التوفيق بين فئات الطائفة الواحدة. فطائفة الميتوديست في أوروبا مثلاً هي على خلاف مع الميتوديست في أميركا، والانكليكان على خلاف مع الميتوديست مما يعني أنه يبحث عن الأمور الصعبة ولا يعتني بالأمور السهلة الممكن حلها.

✞ ✞ ✞

لقاء تجمع المطارنة الأرثوذكس*

عندما نتكلم على الأرثوذكسية الشرقية، علينا أن نفسر كلمة "شرقية"، لكي لا تدل على منطقة جغرافية فحسب، بل على الروحانية المسيحية الحقيقة. على الأرثوذكسية أن تأتي في المقدمة قبل أي شيء آخر. على الأرثوذكسية أن تكون الشيء الوحيد المهم بالنسبة لنا.

على الكنيسة الأرثوذكسية أن تكتشف مجدداً كونيتها، لا من الناحية الحقوقية أو الإدارية، ولا من وجهة نظر اللغة أو الطقس فحسب، بل أن تكون لها أصالتها في كل مكان ولكل من يتعطش إلى الحقيقة.

خلال زيارتي السنة الماضية إلى الأبرشيات الإنطاكية في جنوب أميركا، لاحظت أن المؤمنين هناك يبذلون قصارى جهدهم ليعيشوا فعلاً كمسيحيين أرثوذكسيين، مع الحفاظ على انتمائهم الوطني إلى الأرجنتين أو البرازيل أو التشيلي.... ولاحظت الشيء نفسه بالنسبة للأرثوذكسيين هنا في أميركا الشمالية. نحن لا نستطيع أن نقدم لهم الكنيسة كما كانت في القديم أو كما هي الآن في أماكن أخرى، ولا يجب أن نفعل ذلك فالمؤمنون هنا هم أميركيون، وعلى الكنيسة بأن تكون جاهزة لتقبلهم كما هم في أصالتهم وصدقهم. إنني مغتبط للتعاون الحاصل بين مطارنة أميركا الأرثوذكسيين. على هذا التعاون أن يستمر ويتقوى، إنه ضرورة تعطينا الكثير من الأمل لمستقبل الأرثوذكسية في هذه الديار.

* كلمة البطريرك في تجمع المطارنة الأرثوذكس، أميركا، ١٩٨٥/٥/٢٩

الماضي حمل ثقيل*

أخي، إني على يقين بأننا كأرثوذكس لا نستطيع أن نحيا مكتفين بتكرار ما كان يحدث في الماضي.

هذا التفكير يصبح عائقاً حقيقياً بالنسبة للكنيسة في الشرق الأوسط، ويصبح كما شاهدت ذلك السنة الماضية، عائقاً أمام الكنيسة في أميركا اللاتينية.

إنني لا أؤكد سوى هذين المثلين لأنني أشعر أنكم، في أميركا الشمالية، واعون لوضعكم الحالي. أنا فخور لأني وجدت هنا أبرشية أنطاكية قوية لها رؤية مستقبلية تساعدها على وعي ما يحصل في أميركا اللاتينية وفي الشرق الأوسط لتأخذ منه العبر: لذلك ترى هذه الأبرشية حقيقة معينة وتعيشها ألا وهي الأرثوذكسية في شمالي أميركا.

إنه لمن الأساسي لنا أن نعلم ما ينتمي إلى تقليد الروح القدس والكنيسة الأرثوذكسية وما ينتمي أساسا إلى الظروف التاريخية والبيئات والتقاليد الثقافية. ليس صدفة أننا لا نستطيع تطبيق كل قوانينا ــ والأحرى أن نقول إننا لا نطبقها ــ ولا أعتقد أن هذا أمر طارئ. أعتقد أن تغييراً ما حدث للواقع وهذا التغيير يتطلب المزيد من الالتصاق بالديناميكية الأرثوذكسية عوض الالتصاق بنصوص قديمة مرتبطة بنظريات معينة وبعقلية معينة. علينا، بدون شك، أن نقوم بعمل ما في هذا المضمار، ولكن أحب أن أؤكد على أن هذا العمل مرتبط بهيكلية الكنيسة وهو يتطلب تأقلماً جديدا. إنه لمن المستحيل أن نتناسى أننا

* من جواب غبطة البطريرك اغناطيوس الرابع خلال زيارته لأميركا، ١٩٨٥/٥/٣٠

كأرثوذكسيين لم ندرس الأوضاع والظروف المتعددة التي تعرفها الأرثوذكسية اليوم. يسألوننا اليوم عن تصرف الإنسان وعن خلقيته، عن الحكمة الحقة في الإدارة الكنسية ولا نجد أجوبة عن ذلك. لست متأكدا من أن القياس هو الطريقة الصحيحة لإيجاد الأجوبة.

القياس يساعدنا ولكنه لا يعطينا مرجعاً أكيداً لوضع خاص. نلاحظ أننا نحن الأرثوذكس نتصرف وفي عدة مجالات كما لو أن الله تكلم مرة واحدة وصمت بعد ذلك. نتصرف وكأن الروح القدس قد نزل مرة واحدة على الكنيسة. وكل شيء بعدها امتداد لهذا الحدث الأوحد. أصبحت الأسرار مثلا بالنسبة للكثيرين تذكاراً لطريقة إقامة الأسرار في القرن الرابع. أعتقد أنه من الضروري أن نفعل شيئاً جدياً لنحقق شهادة كنيسة المسيح هنا والآن. نواجه في مسؤوليتنا مشكلة رعائية عندما نقول لسامعينا إن الكنيسة الأرثوذكسية، إذا ما نظرتم إلى البناء، فهي هذا البناء بالذات أو إذا ما تكلمتم عن سر ما فها هي طريقة إقامته بالذات. أو إذا ما تطلعتم إلى الكهنوت فهو هذا الإنسان بالذات، وإن عدم حبكم له هو عدم حبكم للكنيسة الأرثوذكسية كلها. إن الأسقفية الأرثوذكسية هي هذا الأسقف بالذات وإنه وحده يحمل في نفسه الروح القدس وسر الكهنوت والأسقفية. وراءنا ماض طويل، وعلينا الآن مواجهة المستقبل بالارتفاع إلى الأساس وعلى مستوى المطلق. إني مقتنع بأن كل هذه الأسئلة تتطلب دراسة دقيقة جداً. علينا أن نتمعن حتى في كلمة "مطلق" لكي نعي معناها اليوم. نحن بحاجة إلى دفع التقليد الحقيقي في قلب الكنيسة. هذا ما نعترف به كلما قلنا إن السيد حي في كنيسته وإنه حيث يوجد المسيح هناك تكون الكنيسة. نعتقد أن هذا سبب وجودنا. قلتها مرة بل مراراً، إن المسيح

أمامنا وليس وراءنا ولسنا بحاجة إلى الالتفات إلى الوراء لنراه. لذلك أقول إن خبرتكم هنا، خبرة الأرثوذكسية في هذه القارة، هي خبرة ثمينة جداً، نحن نعتبر الأرثوذكسية في هذه القارة أملنا. ربما كان قدرنا وفي قصد الله أن ننقص وأن تكثروا، وأنا أكيد أنكم متى عملتم وشهدتم فإنكم لا تفعلون ذلك من أجل أنفسكم فقط بل أيضا من أجل المناطق التي كانت مهد المسيحية.

أشكر لكم دعوتكم. إنني آمل أن يكون هذا الاجتماع بركة لنا جميعاً. إني كأنطاكي أصر على الاعتراف أمامكم كم أنا فخور بأبرشيتنا في شمالي أميركا التي يرئسها المتروبوليت فيليبس. إنني أؤكد أن روح التعاون الذي يتمتع به، وأمله في مستقبل مشترك يعكسان تماما موقفنا، موقف الكرسي الأنطاكي. ليساعدنا السيد في هذا الطريق لتكون الأرثوذكسية ليس فقط عنصراً في الواقع وفي التاريخ بل لتصبح عنصراً مكوناً للمستقبل.

✞ ✞ ✞

الإنسان هدف الخلاص*

إني ممتن جداً لأساتذة معهد القديس فلاديمير ولمجلس إدارته، الذين بدعوهم إياي أعطوني مجال مشاركتكم فرصة هذا الاحتفال الذي يختم السنة الجامعية السابعة والأربعين. أتذكر زيارتي الأولى لهذا الصرح السنة ١٩٦٣ وكنت أرافق حينها كاهناً شاباً أتى يتسجل هنا، أعني به فيليب صليبا وهو اليوم المتروبوليت فيليبس راعي الأبرشية الأنطاكية في أميركا الشمالية ونائب رئيس هذا المعهد.

عندما دخلت يومها هذا الصرح، كان قلبي مفعما بذكريات أيامي أنا كطالب في باريس في معهد القديس سرجيوس حيث عايشت عميدكم الراحل السعيد الذكر الأب ألكسندر شميمن، وعميدكم الحالي الأب جان مايندورف وأستاذكم القدير سرج فرهوفسكوي. الرباط القائم بين معهدي القديس سرجيوس والقديس فلاديمير ليس فقط رباط أفكار أو تصورات ولكنه رباط لحم ودم، عرق ودموع. أنا أفخر بكوني أشارك في هذه العلاقة بين المعهدين.

القيمة الأساسية لكوني درست في معهد القديس سرجيوس تكمن في أنها كانت بالنسبة لي نافذة للكرسي الأنطاكي مفتوحة على مجتمع غير أرثوذكسي، مجتمع حضارة ولغات غربية.

هناك، في معهد القديس سرجيوس، شعرت للمرة الأولى بأني كأرثوذكسي أنتمي إلى ما هو أبعد من المنطقة الجغرافية، وبأن كلمة "شرقي" لا

* معهد القديس فلاديمير اللاهوتي، نيويورك، حفل اختتام السنة الجامعية، ١٩٨٥/٥

تعني ولا يمكن أن تعني ما يخص فقط منطقة موجودة هناك في الشرق. اكتشفت عند ذاك أن الأرثوذكسية هي بعد مطلق في الفكر اللاهوتي، بعد ضروري لكل من يهتم بالتفتيش اللاهوتي بحيث أنه لا بد للآخرين (كاثوليك أو بروتستانت) من وقت يلتفتون فيه نحو الأرثوذكسية أو على الأقل يأخذونها بعين الاعتبار.

ولأنه كان علي أن أعيش في الغرب، في محيط من الكثلكة، فقد ساعدني على ذلك أني آتٍ من منطقة نحن فيها أقلية وأن هذا الواقع علمني أن لا يكون عندنا عقدة نقص بسبب العدد بل أن يقوى إيماننا بالحقيقة المعطاة لنا. أجبرتني الظروف أن أفسر إيماني وكنت أعلم أن هذا لن يكون على أساس المنطق والعقل وبمفردات فلسفية.

العلاقة الحميمة بالليتورجيا الأرثوذكسية المغذاة باللاهوت الفكري والانضباط الكهنوتي أغنيا حياتي مما جعلني أؤكد أن اللاهوت عامل تغيير وليس فقط مجموعة مفاهيم منطقية. اسمحوا لي أن أقول بصراحة إنني إذا كنت اليوم على ما أنا عليه فهذا نتيجة دراستي في معهد القديس سرجيوس ومشاركتي هناك لحياة الأساتذة والطلاب.

ترتكز أفكارنا اللاهوتية على قطبين:

القطب الأول أن الإنسان الأرثوذكسي وحدة متكاملة تغذيها الكنيسة. هذا يعني أن الحياة الرعائية لا تتوقف عند المستوى السطحي للخدمة بل تتعداه لتأخذ طابعاً وجودياً يذهب إلى أعماق حياة الإنسان. اكتشفت في هذا المجال أنه، طالما أن الإنسان هو هدف الخلاص، فاللاهوت تحديداً يجب أن يكون توجها رعائياً ضخماً.

اللاهوتي الحقيقي لا يكتفي بمطالعة الكتب. ليس صدفة أن الله لم يكتب كتباً، الله يكتب إنجيله، إنجيل الحب والمصالحة على وجه كل إنسان. لذا فاللاهوت الحقيقي يعرف كيف يقرأ وجه الإنسان ويدرسه ويكتشف الله فيه. الله الذي يكشف عن نفسه في هذا الوجه.

أذهب إلى ما هو أبعد من ذلك لأقول إن الهيكلية الكنسية نفسها مدعوة لتتجه نحو ملاقاة الآخرين ومحاورتهم، نحو إيصال كلمة الله لهم والاشتراك وإياهم بمواهب الروح القدس ونحو الطلب معهم للبركة الإلهية، لأن فيهم سيتم أصلاً تجلي الخليقة.

أما القطب الثاني في الفكر اللاهوتي فهو وعي أكمل وأعمق للقيامة التي هي باب مجيء المسيح الثاني. وعلينا أن نلج هذا الباب لنشارك فعلياً بمجيء السماء الجديدة والأرض الجديدة. ربما كان هذا من قبلي ردة فعل على كوننا نحن الأرثوذكسيين يجربنا دوماً الاهتمام بالتاريخ، بالماضي. أعترف بأنني غير محبذ لعبادة الماضي. الإنسان مدعو باستمرار ليرى، على ضوء القيامة، أن المسيح آت، وأنه أمامنا وليس وراءنا. لذا علينا أن نتجرأ ونفتش عنه أمامنا، منتظرين مجيئه الثاني حيث سيدين الأحياء والأموات.

هكذا نُظْهِر للعالم أن الأرثوذكسية كنيسة الحقيقة، كنيسة النور، كنيسة الظفر، كنيسة الفرح وأنها فرحة بمهمتها، فرحة بإيمانها القائم على أن الموت قد غُلِب بموت ربنا على الصليب. هكذا نظهر للعالم بأن الكنيسة هي مكان تأله الإنسان والكون بنعمته تعالى.

إنني مقتنع تماماً بأننا ندير ظهورنا للكنيسة عندما نركز على أنفسنا، عندما لا ننفتح على الآخرين. يجدر بنا أن نتذكر أن المسيح أتى من أجل الجميع

لا من أجل نفسه.

لذا فقد أعطيت لمعهد القديس فلاديمير، لأساتذته وطلابه وخاصة لفوج خريجيه للعام ١٩٨٥، مهمة الانفتاح على الآخرين هذه. جَذِّروها في قلوبكم لتتمكنوا، معاً، من إعطاء الأولوية للهم الذي كان للمسيح تجاه الآخرين. في عالمنا اليوم، عالم الفردية حيث لا يرى الواحد في قريبه إلا أداة إنتاج ضرورية له أَعْلِنوا للعالم، بإيمانكم وأعمالكم، وبوجودكم حتى، هذه الحقيقة الإلهية: إن الإنسان هو علة وسبب كل ما جرى وكل ما يحدث حتى الآن.

أعلنوا للعالم، خاصة في الأوقات الصعبة والمؤلمة التي نمر بها، رسالة المسيح الأزلية، معلنين أن الإنسان هو بالحقيقة "عالم مصغر" وهو من أجل ذلك هدف الخلاص. من أجله تجسد المسيح ومن أجله تقدست بيت لحم والناصرة والقدس وتقدس كل الشرق الأوسط. أعلنوا حتى بأنفاسكم وكل حين أن المسيح قام من بين الأموات وأنه وطئ الموت بالموت وأنه وهب الحياة للذين في القبور!

المسيح قام.

✠ ✠ ✠

القيم عضوية في تكوين شخصيتنا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

يا أحباء، ما أريد أن أركز عليه هو أننا نحن نعمل بطريقة خاصة، نعمل للسلام بطريقة خاصة. نحن نريد أن نوجد إنسان السلام ذاك الذي يشعر أنه غريب خارج السلام وأنه يعبر عن ضميره وعن روحه إذا كان يفكر من أجل السلام، ويعمل من أجل السلام.

إذا كنا نتكلم عن الأخلاق ونتكلم عن الإيمان فذلك لأنني أعتقد أننا في شرقنا هذا مدعوون إلى إيجاد إنسان السلام ليس فقط من الناحية التربوية الخارجية ولكن من الداخل أيضاً. يجب أن يبنى الإنسان من الداخل فإذا لم يكن في الإنسان رادع داخلي فالروادع الخارجية ستتعب كثيراً. لذا نريد أن يكون هنالك انسجام كامل بين الروادع الداخلية – على أساس الأخلاق والقيم والإيمان– والروادع الخارجية التي تتحمل مسؤولية الأمن وتتحمل مسؤولية حياة البشر. وبدون هذا يكون الواحد يهدم الآخر ونقضي الوقت ليس في البنيان ولكن في تصريف الوقت.

نحن نعمل في هذا الحقل ونؤمن أن الإنسان في الشرق الأوسط معرض الآن وأكثر من أي وقت مضى وينادى عليه في عالم الحضارة، في عالم المدنية أن عالم الحضارة، عالم المدنية أصبح عالم القتل، أصبح عالم التهديد، وأصبح عالم الأسلحة المتطورة، لذا أصبح عالم خطرٍ ماثلٍ علينا وعليكم في أي وقت كان.

* محردة، كلمة على مائدة الغداء، الجمعة ١٩٨٥/١١/١

وصحيح القول إنه يمكن تفجير الكرة الأرضية بأقل من دقيقة.

إذن، نحن أيها الأحباء، واجبنا هو أن نبني في الوطن الناحية الداخلية، الناحية الخلقية، الناحية الروحية. وفي عالمنا العربي كان الإنسان يتصرف حتى مع عدوه بشرف وكان يحارب بشرف ويقاتل بشرف فلا يطعن في الظهر مثلاً.

الإنسان العربي لم يفصل ذاته عن قيمه في أي وقت من الأوقات ونحن نلفت أبناءنا إلى أن هذه القيم عضوية في تكوين شخصيتنا. شكراً.

✞ ✞ ✞

الحرف يميت والروح يحيي*

أيها الأحباء، أود أن أعلن أمامكم جميعاً الثقة الكلية التي لنا بعميد المعهد معهد يوحنا الدمشقي وبأساتذته وبطلابه. إن لنا آمالاً كبارا بهم، نحن نسأل الله أن يوفقهم في الرسالة المهمة التي بمعونة الله تصبح سهلة. هذه الرسالة التي كلفتهم بها الكنيسة المقدسة كنيستنا الأنطاكية التي تتطلع إلى أن تقوم بخدمتها في هذا العالم وأن تقول كلمتها التي إن لم تقلها هي فسواها لن يقولها. إذاً أود أن أكرر أن ثقتنا قوية جداً ونحن فخورون بأبنائنا جميعاً: العميد، الأساتذة، الطلاب، وجميع الذين يعملون في معهدنا المبارك. على هذا الأساس بني هذا المعهد، على هذا الأساس يقام، وعلى هذا الأساس يسير.

آتي إلى بولس الرسول في رسالته الثانية إلى أهل كورنثوس في الإصحاحين الثاني والثالث، قال: «لسنا كالكثرة التي تتاجر بكلام الله، بل نتكلم في المسيح كلام رجال صادقين، كلام رسل الله في حضرة الله. أنتم رسالتنا كتبت في قلوبنا، يعرفها ويقرأها جميع الناس. أجل، قد اتضح أنكم رسالة المسيح أنشأناها و لم نكتبها بمداد بل بروح الله الحي لا في ألواح من حجر بل في ألواح من لحم ودم أي في قلوبكم. إن الله هو الذي مكننا من خدمة العهد الجديد عهد الروح لا عهد الحرف لأن الحرف يميت والروح يحيي».

هذا ما أحببت، أيها الأحباء، أن أقرأه لكم وكنت أظن أن عائلتنا ستكون محصورة وسيكون فقط أمامي أبناؤنا الطلاب ولكن، الحمد لله،

* البلمند، معهد اللاهوت، افتتاح السنة الدراسية، ١٩٨٩/١٠/٣

اكتشفت أكثر فأكثر أن عائلتنا هي أكبر وأوسع مما أتوقع. كنت أظن أنه يجب أن نركز اليوم على هذه النقطــة بالذات التي ذكرها بولس الرسول والتي قال شيئاً عنها الابن العزيز، العميد. ونحن قد ابتدأنا احتفالنا بالصلاة ـــ وهذه ليست محترمة كفاية عند فئة من الناس ـــ وبكلمة ـــ والبعض يظن أن ما ليس بكلمة فهو لا معنى به ـــ.

في الواقع بدأنا بالصلاة لأننا بالصلاة، بالعين، بالأذن، بالفم، بالجسم، بكل الحواس، نختبر مناخاً روحياً. ذاك الذي تحبه من بعيد، محبتك له ناقصة ولكن عندما تهز محبتك فرائصه، عندما تهز شخصيته، لحمه وعظمه، فعندئذ تكون محبتك له كاملة. نحن نريد الإنسان بكليته أن ينغمس في الحياة الروحية. إذاً لسنا نظريين. قصتنا في الكنيسة ليست قصة حَرْف، قصتنا في الكنيسة قصة حياة. ونحن أيها الأحبة، أنتم أبناؤنا، عندما تدخلون سنة جديدة وتدخلون هذا المكان المبارك الذي من أجله نصلي إنما تدخلون إليه كما نتمنى. ونحن نرى أنكم تدخلون إليه باليدين والرجلين والعينين والجسد كله وبكل الشخصية. أنتم في هذا البيت بكاملكم لستم أجراء لستم ضيوفاً لستم ملصقين إلصاقاً، أنتم أهل البيت. الأهل بالمعنى الحقيقي للكلمة والبيت الذي لا أهل له فهو كما تعرفون معد للخراب وليس للبنيان. أنتم أولئك الأهل لذلك أطلب إليكم أن تكونوا في هذا المنـــزل بكليتكم. لتكن، عيونكم، آذانكم، وكل حواسكم، وكل قواكم موجودة ومرتاحة، فهذا المنـــزل منـــزلكم وأنتم هنا في بيتكم ولكن لا يكفي أن نكون من الناحية الحسية في البيت يجب أن نكون في قلوبنا.

بولس الرسول عندما كان يكتب هذه الرسالة إلى أهل كورنثوس كان يكتبها وكأنه لا يعترف بما كتبه فيها. كان يقول لهم ولو كانت أمامكم

نصوص على الورق مكتوبة بالمداد فنحن لم نكتب فيكم هذا، نحن كتبنا على ألواح قلوبكم وليس على الورق.

من أخطر ما يكون أن نظن أن كلمة الله هي كلمة على الورق. لن تكون كلمة الله إلا إذا كتبت على ألواح قلوبنا، على ألواح قلوبكم. ألم تعتمدوا وتولدوا من جديد؟ هذا هو الشيء الجديد الذي يضاف إلى حياة المؤمن. ليس من طريق الصدفة أن بولس الرسول كان يخاطب أهل كورنثوس ليحذرهم من الحرف، أي حرف الناموس، أي حرف النص الذي قصد به ما كُتِب على اللوحين وأعطي لموسى على جبل حوريب. كان يحذرهم حتى من هذا النص، من حرفه لكي يقول لهم إن ما وراء الحرف هو أهم من الحرف بكثير.

أنا أسأل نفسي: متى نصل إلى وقت تكون فيه المسيرة الروحية لطلابنا متماشية مع المسيرة الأكاديمية؟ بكلام آخر متى نجد أنه في السنة الثانية هناك في العمق ازدياد أكثر مما كان عليه في السنة الأولى؟ ومتى يكون من هو في السنة الرابعة القدوة الغنية والروحية لمن أتى إليه وهو يسير خطوة أقل منه؟

هل نكبر أكاديمياً؟ ما معنى هذه اللغة؟ إني أقصد وأسأل الله أن يحقق ذلك بقوته فيكم جميعاً. أقصد أن تكون كل كلمة تدخل في أي درس من الدروس، كلمة إغناء لمجد الله وقدرة الله فيكم. إن الكلام الذي لا يقوي الله فيكم ولا يزيدكم إيماناً ولا يزيدكم نوراً كما صلينا، كله باطل كائناً ما كان موضوعه. هذا كله يعني، لا سمح الله، أن نرى في وقت من الأوقات الكثيرين ممن أعينهم تلعب بالكلمات عن ربهم، عن كنيستهم دون أن يخفق قلبهم لا لربهم ولا لكنيستهم.

هنالك إذاً برنامجان، البرنامج الأول هو ما نقرأه على الورق، والبرنامج

الثاني هو امتحان للأول، وهو الذي يخفق له قلبنا وهو الذي يساعد في صياغة إنساننا المستقبلي في كنيسة إنطاكية الأرثوذكسية.

أقول ذلك للأستاذ كما أقوله للطالب. أيها الأستاذ: بعد سنوات من تعاطيك ما هو لله وما هو للرب يسوع، ماذا كانت الحصيلة فيك؟ الحصيلة الطبيعية أن تزداد قداسة. الحصيلة الطبيعية أن تزداد سمواً وقوة في الروح.

هل الأمر هكذا أم أن الكلمات تأتي بالكلمات والكلمات كلها في النهاية تدهور الإنسان إلى عقلية من نوع معين لا علاقة للإيمان بها.

أنا أفتقد الإيمان في تعليمنا اللاهوتي. أنا لا أعتقد أن هنالك رباطاً عضوياً بين ما نتعلمه وبين زرع الإيمان في قلوبنا. والغاية الأولى والأخيرة من أي لاهوت ومن أي تعليم في الكنيسة أن يكون الإنسان المتجدد إنساناً متجدداً روحياً. إذا لم نصل إلى هذا فنحن وصلنا إلى طريق مسدود.

أيها الأحبة، وعدتكم أن لا أطيل ولكن أود أن أقول لكم إنني أتطلع من كل قلبي وأسأل الله الذي وحده يستر الخطايا أن يستر خطايانا بأن يعطي لشبابنا وأن يعطي لمعلمينا ذلك القلب، لا القلب الحجري كما قال أشعيا ولكن القلب اللين الذي ينبض به في النهاية.

الكنيسة، أيها الأحباء، ليس فيها كلمة. الكنيسة تكلمت: «آمنت لذلك قالت».

بارك الله هذه السنة وبارككم جميعاً ووفقكم ووفق الكنيسة بكم.

آمين.

البعد الروحي يكمل الإنسان*

وأنا أيضاً أود أن أبدأ برفع الأنخاب على صحة صاحب السعادة وبكل تأكيد على صحة صاحب القداسة، وصحتكم جميعاً، أتمنى لكم منذ الآن عيد ميلاد سعيداً، ميلاد حقيقياً، ليبارككم الله جميعاً، وليباركنا جميعاً.

صاحب السعادة، في كلمتكم التي وجهتم، أثـرتم مسـائل عديـدة وطرحتم أسئلة كثيرة. من البديهي أننا لسنا معنيين بالإجابة على كل الأسـئلة هذه، ولا يسعنا إلا أن نصوغ بعض التأكيدات.

ألا نعتقد أولاً نحن بالذات بجزم أن للإنسان بعداً روحياً لازماً لبنيتـه الإنسانية، وأنه إذا حرم من هذا البعد الروحي، يتوقف عن أن يكـون إنسـاناً بالمعنى الكامل للكلمة؟ هذا شيء لازم لازب، بشكل مطلق. ونحن لنا ملء الحق بالقول، بهذا الصدد، إنه على كوننا ممثلين لاتجاه ديني، لديانة في هذه المنطقـة، فإننا نمثل شيئاً حياً، فيه كل الحقيقة، كل الأهمية، شيئاً لم يتجاهله أحـد عـبر الحقب التاريخية، إذ ما وجد الإنسان قط دون أن يكون له اتجاه ديني إزاء ألوهية ما. بكل تأكيد فإن ألوهيتنا هي التي نعتقد بها بجزم طالما أننا نعتقد أنها الصحيحة بالتأكيد أيضاً.

من جهة ثانية، نعتقد أن الإنسان لا يمكنه أن يكون مسيحياً أو مسلماً

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، رد البطريرك اغناطيوس الرابع على سـفير قبـرص، عيـد القـديس اغناطيوس، ٢٠/١٢/١٩٩١

أو معتنقاً لأي دين آخر، دون أن يتمتع بإمكانية التعبير. لا يـــأتي الـــدين مـــن الخارج. ما يأتي من الخارج لا يمكن أن يؤلّه. فالمشاعر الدينية تنبع من الداخل، إذن لديها إمكانية رد جميع الأفكار التي من شأنها أن تعترضها. هذا على جانب كبير من الأهمية أيضاً بالنسبة لنا.

الأمر الثالث: أود أن أقول إنه لحسن الحظ أو لسوئه ــ لا أعلـــم ــ ومن المحتمل أن يكون لحسن الحظ ولسوئه في الوقت ذاته، فإن صـــيغة الفكـــر الحديث موجهة نحو العدد. حتى حين نفكر بعبارات الديمقراطية، نفكر بالأفراد: واحد، اثنين، ثلاثة... الخ تصويت وانتخاب... لا أعلم ماذا أيضاً. لذلك إلى جانب مفهوم الديمقراطية، لا بد من مفهوم للأقلية. بينما، في مجال النوعية، يـــا صاحب السعادة، ليست هناك أقلية، وفي مجال النوعية أيضاً لا توجد أكثريـــة: فالحقيقة، والصحيح، والأصالة، والجدية تستطيع كلها أن تأتي من شخص واحد يستطيع قولبة التاريخ أكثر بكثير من أشخاص عديدين، وعلى جانب كبير من الأهمية عددياً، بينما يفتقرون إلى الكثير ليتمتعوا بالأهمية من حيث النـــوع. إذن نريد في منطقتنا حيث أساس وجودنا بالذات روحي، مهما كانت الظـــروف، ورغم كل شيء، فإن الإنسان الشرق الأوسطي يُدرَك روحانيـــاً... فالشـــرق الأوسط هو منطقةٌ بزغَ الفكر فيها في مادة الدين بديهياً: الإسلام، المســـيحية، واليهودية.

كيف يكون بهذه السهولة عدم الاكتراث بكل هذه التقاليـــد الألفيـــة حتماً، والتي هي كونت البنية نفسها للشخصية الإنسانية في الشرق الأوســـط. كيف نهمل هذا المهم لإحلال شيء آخر مكانه؟ هذا يعني جهل التاريخ وجهل الكائن البشري.

صاحب السعادة! كيف نشكركم على خلق هذا الجـــو والمبـــادرة إلى جمعنا مع من نراهم أمامنا ونحن نعتز بهم كلياً؟ إنني أشكرهم لسبب بسيط وهو أنهم جاءوا على الرغم أن المناسبة تتصل بشخصي وباسمي. شكراً لكل هـــذا. واسمحوا لي أن أكون مديناً لصاحب السعادة سفير قبرص، واعترافـــاً بالجميـــل وتعبيراً عن حبنا لبلاده، لشعبه ولإيمان هذا الشعب، اسمحوا لي أن أقلّده وســـام القديسين بطرس وبولس اللذين هما رئيسا الرسل ورئيسا الكرسي الانطاكي.

✞ ✞ ✞

لا عداوة في المسيحية*

بادئ ذي بدء، أيها الأحباء، يجب أن نشكر الله الذي باسمه نجتمع وباسم ربنا يسوع المسيح. نشكره على هذا الجو الرائع الذي نعيشه في هذه الهنيهات الطيبة في هذه الكنيسة المباركة. وبصورة خاصة أود أن أشكر الذين تكرموا بذكرنا في القداس الإلهي. فإن هذا يضع اسمنا دائماً في ذاكرة الله لكي يشفق علينا ويرحمنا. قال: اغفر لي أنا الخاطئ، اغفر لنا خطايانا. في الواقع، أيها الأحباء، الوضع الكنسي الذي نحن فيه والذي هو على غير ما نشتهي هو بسبب خطايانا تماماً. من قال إنه بلا خطيئة ارتكب أكبر خطيئة. الكل مسؤولون عن الوضع الذي نحن نشكو منه.

وكما سمعتم في المقطع من الرسالة الذي تلي على مسامعنا اليوم، كيف أنه منذ القرن الأول المسيحي كان بولس الرسول يتذمر من أن المؤمنين تركوا المسيح وصاروا يتبعون الرسول الفلاني والرسول الفلاني وكأن وجه المسيح الواحد قد غاب من أمام عيونهم لكي تنتصب الكثرة من بين الرسل أمام أعينهم. أيها الأحباء، في الواقع يجب أن نعود مجدداً إلى أن المسيح واحد إلى أنه لم ينقسم إلى أنه غير منقسم. أما إذا رأيتم انقساماً ففتشوا عن سبب آخر غير المسيح. فالأسباب التي تؤدي إلى الانقسام هي خارج ابن الله الوحيد الذي تجسد من أجلنا نحن الخطأة. الانقسام يهمنا جداً كمشكلة. ولكن لا ندّعين نحن، ونحن أقلية عددية في هذا المشرق، أننا سنصلح العالم. الله وحده هو

* كنيسة السريان الكاثوليك، دمشق، أسبوع الصلاة من أجل الوحدة المسيحية، ١٩٩٢/١/٢٤

المصلح. والله عنده طريقته للعمل في كل مكان من أماكن هذه الأرض. ولكن الذي نجد أنه أمانة بأيدينا من الله تعالى، ومن الرب يسوع المسيح رئيس الكنيسة فهو هذا الكرسي الانطاكي المقدس الذي إليه ننتمي. هذه مسؤوليتنا. عبثاً نضع المسؤوليات على فلان أو فلان هنا أو هنالك. المسؤولية هنا حصراً مسؤوليتنا ونحن المسؤولون عن وضع الكرسي الانطاكي المقدس. الكرسي الانطاكي المقدس، أيها الأحباء، هو المقسوم بالمعنى الحقيقي للكلمة. روما ليست مقسومة، القسطنطينية ليست مقسومة. نحن المنقسمون. إذن العلة هنا. ويجب أن تعالج هنا، ويجب أن تعالج من هنا.

بطرس الرسول هو مؤسس الكرسي الانطاكي. ليس من مكان في العالم إلا روما يمكنها أن تقول إنها تأسست مباشرة على يد بطرس الرسول. وحدها انطاكية ووحدها روما يمكنهما أن تقولا إنهما أسستا على يد هامة الرسل بطرس. فلماذا إذاً عندنا نحن هذه الانقسامات؟ متى صارت؟ في أي تاريخ؟ لماذا صارت! من أجل إصلاح أي شيء؟ هل انقسم المسيح في وقت من الأوقات؟

أيها الأحباء، الانقسام الوحيد تقريباً الذي حصل في المسيحية في كل تاريخها هو الانقسام الذي حصل حول شخصية المسيح، هو ما حصل بيننا وبين الأخوة في الكنائس الشرقية أعني السريان والأقباط والأرمن. الخلاف الوحيد على شخصية المسيح كان ذلك الخلاف عندما كان البعض يقولون إن للمسيح طبيعتين فيفهم الآخرون أن هؤلاء يجزأون المسيح، ويقسمونه لا سمح الله. من يقبل من المسيحيين أن يجزأ المسيح؟ وفي الطرف الثاني الذين يقولون إن للمسيح طبيعة واحدة كان المقصود إما أن يكون الإله فيه امتص الإنسان أو الإنسان امتص الإله.

الوقت الوحيد الذي انقسم فيه المسيحيون على أساس عقيدة مرتبطة مباشرة بالرب يسوع المسيح كان ذلك الوقت. وأتت الأيام ــ الله يسمح بالتاريخ لكي يتعلم الناس من التاريخ لا لكي يكدّسوا حدثاً فوق حدث ويبقى كل شيء كما كان ــ لقد أتى الوقت الذي فيه جلسنا معاً وقلنا يا أخي لماذا أسأل ذاك الغائب الذي انتقل؟ لماذا لا أسألك أنت وتسألني أنا؟ إن كنيسة الله لم تمت عندك ولا عندي. إذاً فلنجرِ الحوار ولنتحدّث بماذا تؤمن؟ فيا أخي هل تؤمن بأن ابن الله الإله الإنسان هو إنسان تام وإله تام لم تختلط فيه الألوهة بالإنسانية ولا العكس. هل تؤمن بذلك فكان جوابنا جميعاً نعم هذا إيماننا.

فقلنا: إذا كان القاموس في وقت من الأوقات يفهم الكلمات على هواه وحسب مرحلة معينة في التاريخ فأنت الآن أمامي أسألك وأنت مسؤول أمام الله وأمام الشعب. إذا كنت تجيب هكذا وأنا أجيبك بالطريقة ذاتها. فأين إذاً الخلاف؟ التاريخ، أيها الأحباء، ليس فقط ما مضى. كل شيء يمضي، منذ ساعة كان تاريخ والآن يحدث التاريخ. نحن نحدث التاريخ، نحدثه الآن إذا شئنا نحدثه الآن لأن إرادة الله التي سمحت بأن نعيش في هذا الوقت هي بالذات تطلب إلينا أن نحدث تاريخاً. فجلسنا. الكنيسة الشرقية الكنيسة الأخت، الأخت بالمعنى العميق للكلمة. جلسنا معاً وقلنا: إيمان واحد يجب أن يعبر عنه بواقع واحد.

ومنذ الآن لن ترى أن بين الكنيسة الأخت السريانية وبين كنيستنا الأرثوذكسية أيضاً ما يدعو إلى أي نوع من الانقسام أو كما ذكرت الصلاة من العداء. كيف؟ كيف يسمح بعداء في مسيحية تقول: أحبوا أعداءكم. إن هنالك في المسيحيين من يعادي الآخرين. على الأقل عفى الله عما مضى، غفر الله لمن كانوا أعداء باسم المسيح، غفر الله لمن اغتصبوا الواحد الآخر باسم المسيح، غفر

الله لتاريخ لسنا فخورين بكل ما فيه. صحيح أن فيه نعمة الله ولكـــن صـــحيح أيضاً أن خطيئتنا مسجلة فيه إلى أبد الدهور. أقول هذا اليوم لأقـــول لكـــم إن نضية الكنائس لن تبقى كلاماً فقط. أنا كلّمتكم عن واقـــع، كلمـــتكم عـــن حدث... لم يعد هذا خطاباً و لم يعد هذا كلاماً.

وأنتقل أيضاً إلينا. من يريد أن يأكل الآخر؟ سامح الله الذين صوروا أنه يحصل في الكرسي الأنطاكي كرسي الشهداء، كرسي الشهداء للمسيح، كرسي الأقلية التي تقدم شهداء في كل يوم، شهداء الصمت وشهداء الســكوت عـــن الإيمان. الشهداء الذين في كل يوم يقدّمون من نفوسهم لربهم ويشعرون بـــأنهم وحدهم. صوروا أنه كلما رأيت كاهناً من كنيسة أخرى فهو عدو لي. أســـأل الله أن يغفر لي هذا الذنب إذا كنت أشعر به. الكثيرون لا يزالون يشعرون هذا الشعور عندما يرونني أو عندما يرى جماعة من كنيستنا كاهناً آخر من كنيســـة أخرى. حرام، حرام أسأنا إلى المسيح في أرض المسيح. كل واحد أساء في هذه المنطقة إلى المسيح في أرض المسيح.

والحق والواجب على كل مسيحي لا أن يصوب السهام إلى الكنيســـة الشقيقة في الكرسي الأنطاكي التي هي أمام عينيه وتعاني ما يعاني بل أن يقـــول أعطني يا الله قوة لكي يظهر وجهك على وجهي ولكي تظهـــر وصـــاياك في أعمالي إذ ذاك عندما يراك الغريب يعرف أنك أنت بالفعل أرسلت إليه نعمة لا نقمة.

أيها الأحباء: علينا الكثير الكثير وحتى الآن لم نصل إلى القليـــل بعـــد. والقليل لا علاقة له بعقيدة ولا علاقة له بإيمان ولا علاقة له بأي شيء. وأفضل الوجوه التي تظهر للمسيحية في المشرق هي تلك التي نكـــون فيهـــا في حالـــة

اجتماع، تلك التي نكون فيها الواحد مع الآخر فيما عدا ذلك نجد التشرذم هنا وهناك ولا أحد يقدره أو يعطيه قيمته؟ ألم نتعلم من التاريخ بعد! ماذا ننتظـــر؟ إننا في أرض المسيح، إن أصوات المسيح إلى كرسي بطرس الكرسي الانطـــاكي المقدس أول كرسي أسسه بطرس الرسول لربنا يسوع المسيح وليس له بالذات. أين هذا كله؟

لن يرتاح ضميرنا إلا عندما نعرف أننا مسؤولون عن الوضـــع الـــذي نفكر فيه وأننا في الأصل لسنا شراذم من المسيحيين. لسنا فئات من هنا وهناك. واسألوا التاريخ. الأصل فينا أننا عائلة واحدة تقف بصلابة من أجل إيمانها مـــن أجل الذي ولد في بيت لحم، الذي صلب وقام من القبر في اليوم الثالث من أجل خلاصنا. من نقاتل من أجل المسيح في الكرسي الانطاكي؟ الكل تقاتلوا لـــيس من أجل المسيح. هذا هو الوقت الذي فيه يسأل كل واحد منا الرب أن يغفر له ذنوبه. الناس يرون ذنوبنا ولا يرون وجه المسيح على وجوهنا. ربي اغفر لنـــا. آمين.

✞ ✞ ✞

وجهنا واضح وقراءته سهلة*

كل عيد وأنتم جميعاً بخير، نحن اليوم شديدو السعادة أن نعيّد مع شبيبتنا. أن نرى هذه الوجوه، أن نرى نتيجة هذه الجهود الفنية والأدبية والروحية التي نقتطف من ثمارها في اجتماعنا هذا.

أنا لم يبق لي الكثير لكي أقوله لكم في هذه الأمسية بعد أن تأخر الوقت. وبعد أن سمعنا الشيء الكثير من كل الخطباء. وقد قالوا أشياء في غاية الأهمية. عندي شيء واحد أقوله وهو أن مَن يقرأ نص المبادئ التي سميناها منذ العام ١٩٤٥ بـ«المبادئ». يجد أنه هناك كلمة غائبة لم ترد لا من قريب ولا من بعيد، هذه الكلمة هي السياسة.

أيها الأحباء،

عندما نشأ الفكر النهضوي كان همه الكنيسة، والكنيسة بالمعنى الصافي للكلمة، كان هناك التباس عند الكثيرين في قلب الكنيسة، عند العلمانيين وعند الاكليريكيين، كان هناك التباس بين ما هو كنيسة وبين ما هو سياسة باسم الكنيسة. بالطبع هذا الجو كان موجوداً في لبنان. ولبنان أنتم تعرفون أن تكوينه مبني سياسياً على أساس الطائفية. إذاً كان النائب يعتقد أنه يقوم بخدمة للكنيسة، وهذا صحيح بمعنى. والموظف كذلك الأمر يقوم بخدمة للكنيسة إذا أخلص، وهذا صحيح أيضاً بمعنى، كان كل واحد يظن أنه هو في قلب الكنيسة دون أن

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، عيد مدارس الأحد، الأحد ١٩٩٢/٣/٢٢

يعرف أن الكنيسة كنيسة قبل كل شيء.

وقد وصل الأمر في وقت من الأوقات أنه في إحدى السنوات ظنت الطائفة الأرثوذكسية أنها تلحق بركب الحضارة في لبنان إذا شكلت حزباً سياسياً وتألف الحزب السياسي وتسمى باسم حزب الغساسنة ولكنه كان ككل شيء غريب عن جسم الكنيسة فلم يعش.

نحن قمنا، أيها الأحباء ـ لنواجه هذا التطور السياسي في الكنيسة. وكنا ضد ذلك الاتجاه، لذلك فإن توجهنا ـ كما قلت ـ ليس فيه كلمة واحدة عن السياسة. نعم فيه عن الثقافة. فيه عن الروحية، فيه عن التعليم، فيه عن الكنيسة، عن الصلاة، عن اللاهوت. كل ما تشاؤون ما عدا كلمة سياسة.

ومن هنا صار لنا الحق أن نتكلم بعد خمسين سنة لأن الوجوه لا يمكن أن تتخبأ. خلال خمسين سنة من تاريخها لم يبرز سياسي واحد من شبيبتنا. لأن هذا العنصر كان دائماً في رأينا متروكاً لجماعة الاختصاص. وكنا نحن نقول: إن جماعة الاختصاص يقومون برسالتهم السياسية أما نحن فلم يقم بيننا سياسي واحد.

أذكر مرة واحدة أن أحد شبابنا قال في نفسه: «لماذا لا أرشح نفسي للنيابة في لبنان، ما دام يمكن أن يحبني الناس وينتخبوني» أذكر ذلك وكنت مسؤولاً. وعندما قرأت في الجريدة أن فلاناً ينوي ترشيح نفسه، أجبت في الجريدة نحن من يرشح نفسه لا يمكن أن يحمل اسمنا لأننا لسنا هيئة سياسية، لسنا حزباً. لسنا تنظيماً بالمعنى الحديث لكلمة تنظيم.

ألا فليعلم ذلك كل مَن يريد أن يعلم ماذا تعني شبيبتنا وإلى أي شيء

هي مدعوة منذ خمسين سنة وهي تسير في هذا الخط فهل يجوز بعد أن يخلط اسمها بأسماء أخرى وأن يقال عن نشاطها إنه هو غطاء لأي شيء آخر؟ خمسون سنة والشيء واضح وضوح الشمس. السياسة بعيدة عنا، لكننا لسنا بعيدين عن أخلاق السياسة. إننا إذا كنا نتجه إلى الشخص فلكي يكون إما معلماً أو تاجراً أو تلميذاً أو سياسياً أو أي شيء كان وأن يكون مستقيم الخلق.

ونحن نعتقد أن استقامة الخلق في أساس كل عمل. إن استقامة الخلق في أساس كل تقويم لأي اعوجاج إن في المجتمع أو في العائلة أو في أية هيئة من الهيئات التي نحن نعيش فيها.

نحن إذا اتجهنا إلى الشيء الأساسي. اتجهنا إلى تقويم الإنسان. الكذاب سيكون كذاباً حيثما تضعه، الغشاش سيكون غشاشاً حيثما تضعه، وإذا شئت أن تعالج الغش والكذب والرشاوى وما إلى ذلك فعليك أن تعالجها في الإنسان وليس في أي شيء آخر.

لذلك فإن كنيستنا والحمد لله لم تخرِّج خونة لبلد. ولم تنشئ جيلاً منافقاً أو جيلاً مراوغاً أو جيلاً مستغلاً أو جيلاً يغطي الحقيقة الحقيقية بحقيقة كاذبة. نحن لسنا مزدوجي الشخصية إن وجهنا هو هذا الذي يراه كل الناس، وفي كل مكان وخلال خمسين سنة نحن نقف وجهاً لوجه أمام الناس لكي يرونا ولا يبقى مَن يشك فينا إلا مَن يخاف من نفسه فيشك بأحسن الناس ويشك بكل الناس. هذه الناحية لم يتكلم عنها أحد. أنا أتكلم عنها.

وفي هذا اليوم المبارك يسرني، أيها الأحباء، أن أقول لكم: يهمنا أن يكون الأرثوذكسي، وخاصة من شبيبتنا. الشخص المستقيم. الشخص المؤمن، الشخص الذي يعرف أن الله هو عين ترقبه وترصده وتراه في كل وقت. هذا

الإنسان لا يكون ملحداً لا بتصرف ولا بقول ولا بمسلك في أي حقل من الحقول.

هذا الإنسان هو الذي نحن نقصده عندما نقول له تعلّم الإنجيل. اقرأ الإنجيل تعرف أن ربك أتى إليك حباً بك، اقرأ الإنجيل تتعلم كيف تحب أخاك الذي قال عنه الرب إنه أخوك لذلك فإنك تقدم نفسك ضحية من أجله فلا تستغله وتنهشه في كل ساعة. لهذا، أيها الأحباء، أحببت في هذه الأمسية أن أقول ما أقول. نحن لسنا كذّابين نحن جماعة صريحة. لا بل شجاعة في صراحتها. ونحن نعتز بأن يكون لنا وجه واحد ولسان واحد وقلب واحد لكي نقول الحق. لا تصدق أنك تحب أحداً إذا كنت لا تقول له الحق. المحبة دائماً مبنية على تبادل كلمة الحق بين المتخاطبين. فإن فقدت في الأسرة تقوضت الأسرة وإن فقدت في المجتمع فقد تقوض المجتمع. إن فقدت في الدنيا أصبحت الدنيا كما ترون.

إن شاء الله إلى سنين عديدة وإلى شبيبتنا البركة بأن يحفظهم الله، ويحفظكم جميعاً، كل واحد يمر في طور الشبيبة أيضاً ولكن أتمنى أن تخالط روح كل واحد روح شبابية، روح شابة لكي تبقى دائماً عنده القوة التي أعطانا الرب يسوع وأعطيناها بنعمة الروح القدس. وإلى سنين عديدة.

✠ ✠ ✠

الإعلام العالمي لا ينصفنا*

أيها الأحباء،

أذكر كلمة سمعتها من بطريرك صربيا في هذا الاجتماع الذي عقد في اسطنبول والذي اشترك فيه كل بطاركة الكنيسة الأرثوذكسية ورؤساء الكنائس الأرثوذكسية المستقلة في العالم. وكما قُلت لبعضكم في مناسبة سابقة إنها المرة الأولى التي يتم فيها اجتماع كهذا الاجتماع.

أذكر كلمة بطريرك صربيا «بولس» عندما كنا نبحث في ما يحدث الآن في أوروبا الشرقية. ففي يوغوسلافيا القتال قائم والناس يتحدثون عن طرف واحد. يتحدثون عن الكرواتيين ولا يذكرون كلمة واحدة عن الصربيين وهم الأكثرية الأرثوذكسية.

أنتم من خلال الإعلام تعرفون ماذا يفعله الكرواتيون ولا تعرفون شيئاً عن الصربيين كما لو كانت هنالك كلمة سر أن الأرثوذكسي يجب أن لا يتكلم عنه أحد.

في مولدافيا في رومانيا القسم الذي على حدود روسيا ورومانيا، اعتداءات عديدة جداً، ليس من كلمة واحدة تقال عن هذا الأمر. في أوكرانيا، في روسيا البيضاء، في بولونيا تقلص أرثوذكسي أصبحت الرعية فقط ٥٠٠٠ أرثوذكسي. لم يقل أحد كلمة واحدة في هذا الموضوع.

* كنيسة الصليب المقدس، دمشق، الأحد الثالث للصوم، ١٩٩٢/٣/٢٩

كنا، أيها الأحباء، نجتمع بسبب هذه الأحوال الضيقة التي تمر بها كنيستنا المقدسة.

قال البطريرك الصربي بولس: أتساءل وأنا بين إخوتي رؤساء الكنائس والبطاركة الأجلاء، أتساءل إذا كان عندنا شيء أكثر من أن نرفع الصليب ونقول: حظنا في هذا العالم هو هذا الصليب وليس سواه، ليس عندنا دول تقاتل عنا، ليس عندنا أسلحة لنقاتل بها. أينما كنا نجد القوى الغنية بالوسائل تشتري أولادنا، تفتح لهم المدارس، ترغّبهم، تقدِّم لهم الهدايا وتغريهم بكل وسائل الإغراء. وأما نحن فنحن بين شعبنا نكون مثله لا أكثر. نحن لا نمتلك الطائرات ولا الأملاك الواسعة. نحن لا يمكننا أن نقاوم سوانا إلا بالصليب وبصلابة الإيمان. الإنجيل المقدس قال: «من أراد أن يتبعني فليكفر بنفسه ويحمل صليبه ويتبعني». الذي يريد أن يتبع المسيح في هذا العالم يجب عليه ذلك الآن. والكنيسة المقدسة الآن يجب أن تحمل الصليب وأن تنظر دائماً إليه فهو وحده يعطيها القوة دائماً.

أيها الأحباء،

اجتمعنا في اسطنبول في البطريركية المسكونية وكان قد سبق هذا الاجتماع اجتماع تحضيري يُحضّر للاجتماعات المهمة مسبقاً. اجتمعنا في اسطنبول وكنا، كما قلت، بطاركة ورؤساء الكنائس الأرثوذكسية المستقلة في العالم بغياب رئيس أساقفة قبرص لأنه لا يمكنه أن يذهب إلى تركيا بسبب القضية القبرصية والخلاف بين قبرص والأتراك وبغياب بطريرك جيورجيا إيليا لأن الوضع عنده محرج للغاية والحالة شديدة الضيق.

فلو أنصفنا لقلنا إن هذا الاجتماع ولكي نحضره كان يجب على كل

واحد منا أن ينسحب من فم الأسد ليصل إلى اسطنبول ولكن الكل أتوا. لماذا؟ كلنا نشعر بأن للأرثوذكسية صوتاً في هذا العالم وبأن هذا الصوت يجب أن يُسمع أكثر مما هو في الواقع. الإعلام في العالم لا يتكلم عن كنيستنا وكنيستنا الأرثوذكسية يعتنقها أكثر من ٣٥٠ مليون خليقة على وجه الأرض. هؤلاء لا يهتم أحد بما يفكرون وبما يقولون ويتساءل لماذا هم يحملون هذا الإيمان الأصيل. ليس من واحد في الدنيا يقول إن إيماننا غير أصيل وليس من واحد يمكنه أن يعلو علينا بالقيمة إن من حيث الحياة الروحية أو من حيث الإيمان الحقيقي بالرب يسوع المسيح. ولكن أين وسائل الإعلام في هذا العالم؟ لا يُسمع الصوت الأرثوذكسي. ليس هنالك من منشور واحد يمكن أن يعطي الأخبار عنا! ليس من منشور واحد يمكنه أن يقول إننا يوم الجمعة ويوم الأحد في كنيسة الصليب، نجتمع بالمئات لا بل بالآلاف كي نمجد اسم الرب. ليس من واحد يقول هذا القول. أما ما يقال فعن حفنات من البشر لا يتجاوز عدد الحفنة الخمسين شخصاً يجتمعون فتتكلم عنهم الدنيا وتطبل. غير أننا نحن نفتش فقط عن أن يسمع الله صوتنا وهذا يكفينا ويرضينا. إذا كان البشر لا يسمعون صوتنا، فهم لا يسمعون حتى صوت الله. لذلك نحن نتعزى بأن نرفع أصواتنا إلى الله تعالى ويقوى واحدنا بأخيه.

اجتمعنا هناك كما نجتمع نحن الآن. وأنا قوي بكم، وكل واحد منكم قوي بأخيه بأخته التي يراها في الكنيسة. هنا نشعر أننا أسرة واحدة متماسكة تسعى دائماً إلى الخير والإيمان بربنا وهي التي تجمعنا هناك على بعد المسافات وعلى تباعد اللغات بروح الأخوّة ووحدة الانتماء.

بالطبع كان هنالك مترجمون وكنا نتبادل الحديث دائماً بصوت واحد

وبنغمة واحدة اتجهنا إلى الكنائس الأخرى وقلنا لها: «هل يجوز أن نُستغَل كون كنائسنا خضعت للاضطهاد، خضعتِ للضغوط للسجون وللاعتقالات التي تناولت المؤمنين والكهنة والمطارنة بدون استثناء؟ هل يجوز أنه بعد أن تحمل هؤلاء خلال أكثر من ٧٠ سنة الاضطهاد العنيف أن تأتوا أنتم لكي تستغلوا الوجع والألم وتفتشوا عن مصالح شخصية، وأن تُقدموا على إغراء أبناء هذه الكنيسة المضطَّهَدة؟

هل يجوز لك أن تستغل تعب أخيك لكي تشتريه؟ هل يجوز إذا كان جارك تعباً أن تستغل تعبه لكي تغريه، لكي تأخذه إلى حيث تريد أنت؟

قلنا لأخوتنا: ما هكذا تكون الأخوّة، ما هكذا تكون المحبة ما هكذا قال السيد المسيح!

وهو لم يقل اغتنم الفرصة عندما يضعف أخوك لكي تنقضّ عليه وتغزوه وتفترسه. ما هكذا قال المسيح!!

بصوت واحد قلناها. الأرثوذكسية الواحدة الوحيدة رفعت صوتها وقالت هذا القول خلال الإعلام الوافر. كانت حولنا وسائل إعلام عالمية متعددة. كلها أخذت هذا القول ونشرته وظهر في الإذاعات والتلفزيونات، في أوروبا وأميركا وفي كل أقاصي الأرض. والتفتنا، أيها الأحباء، إلى هذا العالم. نسمع بالحروب هنا وهناك، نسمع بالصومال بالسودان. ونرى هنا وهناك. والسؤال: ترى من أين تأتي الأسلحة لهذه الشعوب الفقيرة، من أين؟ من يصنعها؟ من يبيعها؟ يبدو، أيها الأحباء، أن وراء كل حرب تجارة سلاح بالمليارات تؤدي لأصحابها الربح بالمليارات ومن الدول ذاتها التي تقول بأنها تحافظ على حقوق الإنسان وكرامته.

الدول الكبرى، نعم الدول الكبرى وحدها تصنع الأسلحة وهي تغذيك من جهة لكي تشتري وتقبض دراهمك وبعدئذ تقول لك، لا يجوز أن تقوم بالحرب.

إذا أردتني ألا أحارب، لِمَ تسلّحني، وتأخذ دراهمي؟ ونحن نسمع في كل يوم بالموت جوعاً في الحبشة والصومال وفي أماكن متعددة ونُقُود الدول لا تذهب طعاماً إلى أفواه الناس، إنما تذهب إلى جيوب صانعي السلاح. فتشوا عنهم في أوروبا وفي أميركا أولئك الذين يتكلمون بالفضائل ولا يريدون الفضائل! هؤلاء أيها الأحباء خاطبناهم أيضاً وقلنا لهم خافوا الله، كفى استغلالاً، كفاكم تضليلاً وكفاكم تغليفاً للفضيلة كما تدّعون وليس عندكم منها ذرّة واحدة. لم نعد نعرف من هو الإنسان الذي تحاولون أن تستخدموه. هنالك أطفال يباعون بالدراهم وبالدولار وهنالك جماعة تشتري! عدنا إلى عصر التقدم بل إلى عصر التقدم نحو التأخر. هذا العصر هو عصر الهوة التي نحن نعيش فيها. خاطبنا هذا العالم لنقول له (مخافة الله هي بدء كل حكمة) أما الإنسان عندما يؤله نفسه وعندما يعتبر ذاته المرجع الوحيد لكل قيمة ولكل فضيلة عندئذ يدمر كل شيء بيده. إنسان يكون مرجعاً لإنسان، هذا لا نفهمه (بالخطايا ولدتني أمي، بالخطايا ولدتك أمك) ليس من إنسان يصح أن يكون مرجعاً ومعلماً للآخرين. الله وحده هو الذي نعتبره مرجعنا. لذلك نحن في الكنيسة نعود دوماً إلى الله. «مبارك أنت يا رب علمني وصاياك» وليس وصايا زيد أو عمرو من البشر.

نحن خاطبنا أنفسنا. والناس إجمالاً يسهل عليهم أن ينتقدوا الآخرين ولكنهم لا ينتقدون أنفسهم. نحن انتقدنا أنفسنا وقلنا إننا مقصِّرون مع شعبنا،

إننا مقصِّرون في التعليم. مقصِّرون في التربية وفي التوجيه. في الخدمة. نحن لا نخدم كفاية ولكن أيها الأحباء، وهذا قول مني، لا يمكننا نحن أن نفعل شيئاً بدونكم لأن رصيد الكنيسة هو الشعب. والكنائس يبنيها الشعب. من نحن حتى يتكل الإنسان علينا كأفراد؟ نحن ما نسبتنا إليكم؟ لا نعد واحداً بالألف. ماذا يمكننا أن نفعل بدون غيرتكم؟ بدون حميَّتكم، بدون محبتكم، بدون تماسككم؟

الكنيسة الإلهية كنيستكم والذين شيدوا هذه الكنيسة ماتوا. المهم الذين يستخدمونها. أولادكم يستخدمونها. أحفادكم سيستخدمونها. كل ما في الكنيسة هو لكم.

الكأس المقدسة ليست للكاهن إنها لكم أنتم لتقدم لكم القربان المقدس.

قلنا في هذا الاجتماع يجب أن نلتفت إلى شعبنا أكثر مما نفعل. من يدري فقد تكون خطايانا هي التي يريد الله أن يجعلها أمام أعيننا (خطيئتي أمامي في كل حين) من يدري لعل الله يوبخنا جميعاً لأننا لا نقوم بواجباتنا حق القيام.

وأخيراً في يوم أحد الأرثوذكسية وكان الواجب أن أكون بينكم هنا لنطوف بالأيقونات كما تذكرون. هناك في اسطنبول ولأول مرة في التاريخ كلنا كنا معاً، كلنا كنا معاً في القداس الإلهي، كل البطاركة، كل رؤساء الكهنة، والكل يلبسون بالطريقة ذاتها أثناء الخدمة الإلهية (لأن الكل متساوون) عندنا ليس من صنف أعلى من الصنف الآخر ـــ كنسياً ـــ كما عند اخوتنا الكاثوليك مثلاً فالبابا عندهم هو من نوع آخر بالنسبة للمطارنة والبطاركة وما إلى ذلك. نحن ليس عندنا مثل هذا الأمر لذلك كنتم ترون البطاركة ورؤساء الكنائس يلبسون نفس اللباس ويحملون العكاز إشارة إلى السلطة، يلبسون التاج إشارة إلى بهاء الأرثوذكسية فوق رؤوسهم، قدَّسنا وكان ذلك القداس أمراً

ملفتاً بالفعل. وقد شعرنا بذلك أكثر من أي وقت كان.

كم يغلط من يظن أن الكنيسة الأرثوذكسية مجموعة كنائس! كل واحدة تقع إلى جانب الكنائس الأرثوذكسية الأخرى. الواقع أن كنائسنا واحدة ولكنهن أخوات في أرثوذكسية وحيدة واحدة.

كان شيئاً رائعاً أحببت أن أنقله إليكم، أيها الأحباء.

أود أن أقول كلمة أخيرة: صدقوا أن كرسيكم الأنطاكي المقدس وهو يأتي بالنسبة إلى كل هذه الكنائس الثالث بعد اسطنبول والإسكندرية وتليه القدس ثم موسكو ثم كل كنائس أوروبا. نعم فأنطاكية (كنيسة أنطاكية العظمى) حيث دعي المسيحيون مسيحيين للمرة الأولى، أؤكد لكم أنه كان يُنظر إلينا كحملة للتراث الأرثوذكسي الأصيل. وكل كلمة كنا نقولها كانت مستحبة ومقبولة من الجميع. كرسيكم الأنطاكي شيء عظيم جداً، يا أحباء. كرسيكم مظلوم فقط لأننا نحن نمثله، ونحن من يسبب ضعفه. أما الكرسي الأنطاكي المقدس فهو أعظم بكثير مما نحن نظن، إنها نعمة أن ننتمي إلى الكرسي الأنطاكي المقدس.

أيها الأحباء،

في هذا اليوم المبارك أبثكم هذه البشرى وأؤكد لكم أنكم كلما وقفتم في الكنيسة وقف معكم أكثر من ٣٥٠ مليون أرثوذكسي قائلاً (أؤمن بإله واحد) كما تتلونها ويصلي كما تصلون. لستم وحدكم في الساحة.

إنكم من عائلة عظمى تحبكم وتقدركم جداً. بارك الله بكم وجعل هذا الصوم المبارك على الأرثوذكسية جمعاء نعمة وعلى الكرسي الأنطاكي بصورة خاصة بوجودكم، بهمتكم، بغيرتكم وبحرارتكم في الإيمان.

الغرق في الماضي يقتل المستقبل*

أيها الأحباء،

اسمحوا لي أن أغتنم هذه الفرصة السعيدة لأقول لكم أنا يهمني الماضي لأنه مهم جداً لكن إن بقينا في عقليته فلن يكون لنا مستقبل. ما يهمني هو هل سيكون لهذه الزيارة معنى يدفعنا لأن نخطط لشيء من أجل مستقبل هذه الكنيسة وهذه الرعية. فإن تحقق هذا نكون قد وصلنا إلى الهدف وإلا فلن يكون لزيارتنا هذه إلا معنى ضئيل جداً لا يفيد.

إذن ما أظنه سيتحقق مستقبلاً هو العمل.

السؤال: ماذا يمكننا أن نعمل لهذا الجيل الصاعد؟ أسأل الكهنة والجمعيات والهيئات الكنسية هذا السؤال. فالكنيسة بالنسبة لنا تعني البشر وليس المال أو الأشياء. أماكن كثيرة كانت خالدة وبدون البشر أصبحت بائدة، أصبحت مجرد آثار لا تعني شيئاً. ونحن لا نريد أن تصير كنيسة الرسولين بطرس وبولس مركز الكرسي الانطاكي العظيم من قبيل الذكرى.

أنا لا أفتخر بأي شيء إلا برأسمال الإنسان البشري وهو أثمن ما صنعه الله في هذا الكون. لذلك في كنيستنا يجب أن نفكر بهذا الرصيد قبل كل شيء. وآمل يا سيدنا الياس (يوسف) أنه برعايتكم وبما يمكن تقديمه من الإسهامات ولا أقول المساعدات لأنكم لستم قاصرين مادياً ولله الحمد. ولكن قد نحتاج إلى

* فندق انطاكية، حفل غداء، ١٩٩٢/٦/٢٥

التعاون من أجل أبنائنا، أي أبنائكم. ومن أجل كنيستنا. نحن مستعدون يا سيدنا الياس وملتزمون بأنطاكية وبالكرسي الانطاكي وأطلب من كهنتنا أن يكونوا كهنة الله العلي في كنيسته المقدسة لأنه بدونهم ليس لنا كنيسة وبهم تقوى.

أما الجمعيات فإننا نقول لها (وعلى سبيل المثال) لو قام شاب أو صبية بخدمة الكنيسة فإن هذه الخدمة لا يمكن أن تساويها النقود لأننا نكون أغنياء بالبشر وليس بالمال ومهما قدمتم من طعام في هذا الغداء (مثلاً) لا يمكننا أن نأكل أكثر من كمية محدودة نشبع بها. علينا أن نبذل كل الجهود من أجل أبنائنا وهذا ما أحببت طرحه معكم جميعاً في هذه الساعة الأولى التي نلتقي بها.

أنا آت لنتعاون جميعاً من أجل أن يبارككم الرب الإله ومن أجل أن تربحوا أبناءكم ونربحهم نحن بالتالي في الإيمان والهوية الأرثوذكسية.

لا تذكروا التقصير لأنه بمجرد وجودكم اكتمل كل شيء ولله الحمد، لا تذكروا التقصير لأنه لا يهمني، أنا ممتن جداً وسأكون شاكراً أكثر إن فكّرنا كيف سنعمل لأني قادم لهذه الغاية بالإضافة إلى رغبتي في أن أشاهدكم وهذا فرح عظيم بالنسبة لي إذ ليس أجمل من أن يشاهد الإنسان هذه الوجوه التي باركها الله ومسحها.

✠ ✠ ✠

كِبَرُنا هو بالاسم الذي نحمله*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

أشكر الله أن كنيستنا المقدسة الأرثوذكسية ذات الرأي المستقيم كانت دوما وعبر تاريخها الطويل تعلم الناس محبة بعضهم بعضاً فعلاً لأن الأرثوذكسي الحقيقي هو من يحب الآخرين بدون غش ولا رياء ولا استغلال بقصد المنفعة. وكنيستكم، الكنيسة الأرثوذكسية المؤسسة منذ وجدت المسيحية قبل ألفي عام كان صوتها دوماً يعلو مطالباً بالمحبة الحقيقية لا النظرية للآخرين. والتاريخ المسيحي يشهد على ذلك. لذلك وبحمد الله نسمع عن أبنائنا في أي مكان بأن التعامل معهم جيد ومريح لأن كلمتهم صادقة.

كذلك كان انتماؤهم للأوطان التي يعيشون فيها صادقاً و لم نعرف عن أي منهم أنه كان خائناً لبلده. منذ ألفي سنة والكنيسة الأرثوذكسية في الامتحان بدءاً من المخلص له المجد إلى حضور القديسين الرسولين بطرس وبولس إلى إنطاكية العظمى (أي أنتم). ومن إنطاكية تعلم العالم كله من هو المسيح الذي أحب الكل بدون رياء وقدم لهم كل شيء ولم يأخذ منهم أي شيء إطلاقاً لا بل قدم لهم ذاته على الصليب. أما ما قُدِّم له وهو على الصليب فلم يتعد دموع بضعة أشخاص التفوا حولـــه ولا شيء سوى الدموع. يسوع لم يكن يملك أي شيء لا بيتاً ولا أملاكاً أو أموالاً. كان لا يملك سوى ذاته التي قدمها على الصليب فداء عن الكل وليس لفئة دون أخرى حتى أنه لم يميز بين

* انطاكية، مغارة القديس بطرس، رداً على الأب يوسف ديكار، ٢٩/٦/١٩٩٢

الناس الذين اشتهروا بالفضيلة والجودة، والآخرين الذين اشتهروا بعكس الفضيلة. وعندما قيل له: كيف تذهب إلى أولئك السيئين؟ قال لهم: «لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى». لذلك كان دائماً موجوداً بين الناس الذين هم بحاجة إلى محبة. والذين كان المجتمع يرفضهم كان دائماً معهم ليقول لهم إن لم يحببكم أحد في هذا العالم فأنا أحبكم. وإذا لم يسامحكم أحد ويغفر خطاياكم فأنا أسامحكم. ثم قدم حياته للجميع بدون استثناء .

ونحن في هذه المنطقة المباركة، أيها الأحباء، نحمل هذا التراث ونعبد هذا الإله المحب الذي أعطى ويعطي ولا يأخذ. وهو الإله الذي قدم نفسه لنا.

قديماً كانت الذبائح تقدم للآلهة ومن هذه الذبائح كثيراً ما قدم البشر الأقدمون أولادهم إرضاء لهذه الآلهة. وهذا كله رفضه المسيح والمسيحية.

الله يطلب منا أمراً واحداً فقط وهو أن تكون قلوبنا دوماً معه. وكل المظاهر الأخرى لا يحفل الله بها. فهو يعرف بواطن الأمور ويعرف أن الكثيرين من الناس يبدون جيدين بمظهرهم في حين أن قلوبهم على عكس ذلك. كثيراً ما كانت المظاهر غاشة بينما الرب يسوع يعرف كل شيء فإن أعطيته قلبك تكون قد أعطيته كل شيء وهو لا يريد أكثر من ذلك. «يا بني أعطني قلبك».

يا أحباء نحن لسنا كباراً بشخصيتنا، نحن لا شيء، كلنا لا شيء ومن ثم ليس من كبير في هذا العالم، وبالتالي فمساحة القبر واحدة للجميع للكبير والصغير ولأي كان وفي أي مكان في هذا العالم. نحن كبار فقط بهذا الاسم الذي نحمله (الاسم المسيحي) لأنه هو الكبير ولسنا نحن الكبار لذلك نتمسك به لنكبر به.

ثم أود أن أقول لكم بفرح عن أمر مهم سرني بعدما لفت انتباهي إليه.
هذا الأمر هو أن الهيئة المسؤولة منكم عن إدارة الكنيسة فيها روح الشباب كما أشاهد بجانبي. ووجه الشباب دوماً يوحي بالأمل والرجاء في المستقبل. هذا لا يعني أن القدامى مثلنا ليسوا جيدين، ولكن ليس جيداً أن يُغلق أحد الباب في وجه غيره. والكنيسة ليست لجيل واحد بل لكل الأجيال لذلك يجب أن يكون في هيئتها من الكبار ومن الشباب والصبايا أيضاً، ونحن لسنا دعاة تفرقة بين الجنسين إذ لكل عمله وهذا ما أراده الله ورتبه ونحن لسنا أفهم من الله تعالى لذلك وجب على كل واحد منا القيام بمسؤوليته وبعمله على أفضل وجه. وهنا أطلب من هذه الهيئة ذات الوجه الشاب أن تهتم بأمر هو في غاية الأهمية. أطلب منها أن تؤمن لكل بيت رمزاً مقدساً (صليب – أيقونة) بالإضافة إلى الإنجيل الشريف وهي من مسؤولياتكم ومن ميزانيتكم ويجب أن تزوروا كل البيوت بصحبة أبينا يوسف وتعرفوا هذه النواقص لتأمينها ونحن نتشدد ونتبارك ونتقدس إذا كانت هذه الرموز المقدسة تزيّن بيوتنا ونحن بدورنا جاهزون لتأمين كل ذلك وكله متوفر. فمن غير الطبيعي وليس جميلاً أن نضع على جدران بيوتنا صورة لزيد أو عمرو من الناس وليس عليها صليب أو أيقونة. يجب أن لا تكون بيوتنا ملحدة. وأنا أكون ممتناً إن أعطينا كنيسة الرب ما تعطينا إياه لأن الشعب عندها يصبح شعب الرب نفسه. يجب أن لا نهتم فقط بالمفروشات والتجهيزات لأنه إن انصب اهتمامنا على هذه المفروشات دون رموزنا الشريفة في بيوتنا كان الله غير موجود فيها ولذلك لكي يكون الرب موجوداً معكم أرجو هيئة الكنيسة أن تهتم بهذه الأمور الضرورية ونحن جاهزون لسد أي نقص فيها لأنني أريد أن يكون الصليب في كل شيء في حياتنا وليس على صدورنا فقط لا بل يكون اسم المسيح المصلوب في قلوبنا. وأريد من سيداتنا الفاضلات أن يعلمن

أولادهن ذلك ويذكرن لهم اسم المسيح. ولا يتعلم الإنسان إلا من أهله في البيت أولاً. لكن أيضاً هناك من لا يسمع من أهله أية كلمة من هذا النوع، يجب على الأهل الذين تكللوا ببركة الرب أن يقولوا لأولادهم: إنكم أبناؤنا ببركة الرب وسميتكم كذا تيمناً باسم القديس الفلاني وتحملون في قلوبكم وصدوركم الصليب الذي يعني كذا. ولذلك يجب تعليم الأولاد شيئاً عن الإنجيل وشيئاً عن الأيقونات والصليب. ونحن بدورنا نستطيع تأمين نسخ الإنجيل بكل اللغات العالمية ومنها اللغة التركية.

نشكركم جداً على استقبالكم ونحن ممتنون جداً وآمل أن تنتبهوا إلى كلامي الذي خاطبتكم به فهو ليس مجرد خطاب تسمعونه وتستحسنونه ثم تديرون ظهوركم فكلامي هو عبارة عن مطالب أتمنى أن تتحقق في البيوت والكنيسة وأنا واثق من النجاح لأن نواياكم وقلوبكم طيبة. الله معكم ووفقكم كباراً وصغاراً ورجالاً ونساء في كل حياتكم العملية والوطنية. وفقكم الله بكل شيء وأنا ممتن جداً لاستقبالكم.

✞ ✞ ✞

بطرس هو بطرس ليس إلا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

صاحب السيادة، سيادة الأسقف المحلي:

إنه لمن دواعي تأثري أن أكون هنا وفي هذه اللحظة مجتمعا بكم في هذا المكان. هذا الصباح كنا في كاتدرائية القديسين بطرس وبولس. وقد أقمنا قداساً احتفالياً بمناسبة عيد الكرسي الأنطاكي المقدس، عيد مؤسسيه بطرس وبولس.

وكان علينا أن نشير خلال وجودنا في الكاتدرائية إلى حضور كل من القديسين بطرس وبولس إلى أنطاكية وأثرهما الفاعل فيها. ونحن نعلم تاريخياً أن القديس بطرس لم يكن موجوداً في إحدى زوايا أنطاكية أكثر منه في زاوية أخرى من أنطاكية نفسها. وما كنت أنتظر وجوداً له يكون متميزاً أو محصوراً أو مؤثراً في أية نقطة خاصة كهذه (المغارة) بل في أنطاكية كلها لتعم بركته على جميع مسيحيي المنطقة. الأرثوذكس هنا رعية كبيرة وهي الأكثر عدداً بين الرعايا المسيحية في أنطاكية وقد قاموا في هذا الصباح بالصلاة بحرارة كي يبقى اسم القديس بطرس الذي بدأ بالتبشير في أنطاكية ومنها انطلق لاحقاً، اسماً كريماً محفوظاً ومحوطاً باحترام وقداسة وفقاً لما يعنيه هذا الاسم بالذات للكنيسة الأرثوذكسية المقدسة.

والقديس بطرس في الأرثوذكسية هو القديس بطرس لا أكثر ولا أقل.

* أنطاكية، مغارة القديس بطرس، الرد على السفير البابوي، ١٩٩٢/٦/٢٩

وأنا آمل أن يكون احتفالنا في العام القادم شاهداً على تقاربنا مع كنيسة سيادتكم أكثر مما هو الآن وأن لا يكون التعييد من طرف واحد فقط.

نحن فخورون اليوم أن نأتي إلى هنا. نعم وشرف كبير أن نزور هذه البقعة لأنها محطة على درب الوحدة التي أرادها الرب. ومن يمضِ متقدماً في هذا السبيل يحققْ ويجسدْ إرادة الرب يسوع.

شكراً جزيلاً لهذه الدعوة، شكراً لهذه الهنيهة التي نحياها معاً في هذا المكان المبارك.

أيها الأحباء،

لتكـــن أنطاكية كلها للقديس بطرس، ولتصبح أنطاكية كلها مكاناً للحج وليس فقط مجرد زاوية فيها مكرسة له.

نريد أن يكون العالم مكرساً للقديس بطرس لأنه الاسم الذي نتمسك به في تقليدنا الأرثوذكسي الشرقي.

هنا بدأت المسيحية ومن هنا انطلقت إلى العوالم الأخرى ومن بينها أوروبا والعالم اللاتيني. ومن هنا من أنطاكية بالذات بدأت البشارة المسيحية إلى كل العالم.

نحن فخورون بانتمائنا إلى الكرسي الأنطاكي المقدس، فخورون أن نتلمس كل حجر لمسه القديس بطرس. ونرغب من المسيحية الآتية اليوم من روما أن تعبر عن نفسها بطرسياً وأنها من هنا، أي أن تكون كما كانت مسيحية القديس بطرس.

في هذا الصباح قلت لرعيتنا الأرثوذكسية في أنطاكية، إنه عندما

استقبلني قداسته قال لي:

«إنني أستقبل الأول في أول كنيسة أسسها القديس بطرس". وأضاف: "ويستقبلكم الأول في ثاني كنيسة أنشأها القديس بطرس».

وكان هذا الكلام لفتة صحيحة في غاية الأخوة من قبل قداسته ومبادرة لا يمكن نسيانها إطلاقاً.

أشكركم مرة أخرى وأشكر الله الذي أعطاني نعمة وجودي في أنطاكية في هذا العيد، إنها المرة الأولى لي هنا. إنها لنعمة كبيرة، وكما هي رغبتكم يا صاحب السيادة بأن نحقق الآن في هذه الأمسية ما لم يتم تحقيقه هذا الصباح.

فلنصلِّ الآن ما علمنا إلهنا المتجسد أن نقوله:

"أبانا الذي في السماوات...

✞ ✞ ✞

ما أعظم أعمالك يا رب*

يا أحباء، يسعدني جداً وأنا في هذا المكان الجميل حيث أشم فيه الهواء النقي وأحسست فيه بأننا وإياكم واحد بمجد الله الذي صنع لنا هذه الدنيا الجميلة التي من حولنا والتي يبكي الناس كي يشاهدوا قسماً منها ووجهاً من وجوهها.

إن غايتنا في النهاية من زيارتنا هذه أن نُعوض عن التقصير لذلك كنا لا نريد أن نسميها الأولى لو لم يكن هناك في تخطيطنا للمستقبل زيارة ثانية وثالثة. وما أرجوه في زيارتي الثانية إن شاء الله أن أجدكم وأنتم في أحسن الأحوال.

في إيماننا المسيحي نتعلم بأن نُحب الجميع كما علمنا الرب يسوع لذلك ليس لك الحق في أن لا تحب من أحبهم المسيح. الكنيسة المسيحية ليست كنيسة حقد أو كره لأنها مدرسة محبة والذي لا يحب لا يقدر أن يكون مسيحياً.

أشكر الله الذي أتاح لي الظرف لأزوركم وقد استفدت جداً من زيارتي هذه وشاهدت وجوهكم الجميلة والوجوه الإنسانية هي أجمل ما صنعه ربنا، سمعنا أحبابنا يهزجون ويرتلون وقد تأكدنا بأن قلوبهم المحبة كانت وراء كل هذا الفرح بنا وبزيارتنا.

ثم أقول لكم وأنتم جماعة إيمان. إن جماعة الإيمان مسؤولون عن نشر

* السويدية، انطاكية، منزل السيد ميخائيل هيلان، ١٩٩٢/٧/١

الإيمان لأن وعي المؤمن لا ينام، ولأن ضميره وأخلاقه وحسن تعاونه تشير إليه. لذلك عليكم لأنكم جماعة الإيمان أن تكون قلوبكم ساهرة متيقظة لنشره.

أنا، يا أحباء، لولا وجودي في هذا المكان الجميل لما خطرت في بالي هذه الكلمات التي أقولها. اشكروا الله الذي صنع هذه الدنيا الجميلة التي من حولنا والتي هي من أجمل ما يمكن للإنسان أن يشاهده في حياته. ولا يستطيع أحد أن يزاود علينا في ما صنعه الله من أجلنا. لكني أرجو أن تسمحوا لنا بمشاهدة مصب العاصي، فالعاصي له أكبر الأثر في نفسي، فيه تعلمت السباحة وهو الذي كنا في بلدتنا نستقي منه عندما تَشحُّ المياه. رجائي لكم بأنكم كلما نظرتم إلى العاصي أن تذكروا ما له من أثر في نفسي. أكرر شكري لكم جميعاً ولممثلي السلطة التي نأمل أن ترد الأوقاف للكنائس ونحن مستعدون لأن نتبع الوسائل الشرعية والقانونية في سبيل ذلك لكننا لسنا غرباء كي نلجأ إلى هذه الوسائل لأن ابن البلد عندما يتسلم مقدرات بلده فسيحمي هذه المقدرات لأنها مقدراته أولاً ومقدرات بلده.

✞ ✞ ✞

أسوأ سياسةٍ تكديسُ الأموال*

ليس من شك بأن من الضروري في ختام زيارتنا هذه أن نجتمع ونتحدث معاً ولكن قبل ذلك أود أن أُعبر عن شكري لصاحب القداسة البطريرك برثلماوس الذي هو أخ عزيز ومحبوب لدينا جداً. وقد تنامى في هذه الفترة شعورنا بأن الأرثوذكسية هي ملك لكل المؤمنين بها.

قداسته حديث السن نسبياً لكنه في غاية النضوج ويتمتع بثقافة واسعة ومعلومات وافرة. ونحن نفخر بأن البطريرك المسكوني من هذا النوع المتميز.

وأنا ممتن منه جداً لأنه كلف السيدين فيليبس وكيرلس بمرافقتنا ونأمل بأن لا نكون قصرنا نحوهما بأي شيء.

أما الشيء الثاني الذي أرغب أن يكون واضحاً جداً أنه من المستحيل أن يبدأ عمل ما دون أن يقوم به أحد. ومن الطبيعي والضروري وجود هذا الشخص الذي سيبدأ بهذا العمل. لذلك أقول لكم بأن فكرة هذه الزيارة كانت قد بدأت ونحن في اسطنبول في آذار الماضي وكنا نشارك آنئذٍ بالمؤتمر الأرثوذكسي وقد كان هناك بعض الموجودين الآن بينكم وقد شاءوا أن أتعرف بهم فزاروني مرحبين بي وأنا أشكرهم لذلك جداً وقد تكلموا معي بشأن هذه المنطقة وبشأنكم وهم من هذه المنطقة ومنكم ولم يطلبوا مني زيارة بيوتهم بل طلبوا أن أزوركم في هذه المنطقة وأنا وجدت أن طلبهم جيد وممدوح لذلك وتوضيحاً لما يقال ولأني أرغب بأن يكون كل شيء في مكانه أقول إننا لم نزر

* انطاكية، منتزه الحربيات، ١٩٩٢/٧/٢

بيت أحد منهم في اسطنبول ولا أكلنا طعاماً في بيته. وأنا لو كنت اكتفيت بهؤلاء السادة الثلاثة لما كنت بينكم الآن.

وهنا أود أن أكرر امتناني وشكري لكل واحد منكم وفي كل مكان زرته. وأنا أشكرهم مع الآباء الكهنة الذين آمل أن يسلكوا مع الرعية سلوك الآباء الحقيقيين كل بمقدار ما يعطيه الله وكذلك أعضاء الجمعيات الذين أطلب منهم قائلاً: أنتم مسؤولون عن كنيسة وليس عن شيء آخر والكنيسة بحاجة إلى العناية ببنائها بتجهيزاتها المقدسة وبأن يكون فيها قندلفت ومرتل وكاهن للمستقبل وكتب للتعليم مع أدوات تعليمية من أنواع متعددة فإذا لم تهتم الجمعيات بذلك فلا يكون عملها لمصلحة الكنيسة بل لمؤسسة من نوع آخر.

وأضيف قائلاً بأن أسوأ سياسة يتبعها الإنسان هي تكديس المال وأحسن سياسة أن يستفيد منه بعمل مفيد. وكذلك من حق الكنيسة ومن واجبها أن تستفيد من مالها. علينا، يا أحباء، أن نفكر بالمستقبل، إن عدم إنجاب الأطفال يصفه العديدون بأنه مصيبة لذلك أنا أرجو أن تنجبوا أطفالاً لأننا بحاجة لهم في المستقبل. نريد شبيبة مسيحية أرثوذكسية ونريد لهم أن يتعلموا ما هي أرثوذكسيتهم لا أن تكون مجرد كلمة في الهواء. وليس جيداً أن لا يعرف الإنسان انتماءه وإلا سيفقد تقديره عند الناس لذلك يجب على الكل أن يتعلموا. وأشدد هنا على العلم والدرس فيجب أن ينصرفوا للعلم وأنتم بوصفكم جمعيات تعمل للكنيسة لذلك عليكم البذل من أجل هذا العلم وتوفير أدواته حتى يتضح لكم في المستقبل سبب تمسكهم بكنيستهم أو عدم تمسكهم. إذ من العيب أن يتمسك المرء أو لا يتمسك بهذه المسألة أو تلك عن جهل.

أما شبيبتنا المباركة فأنا أشكرهم أيضاً فقد استمتعت بوجوههم الحلوة

المبشرة بالخير وهذه الجوقة المكونة منهم والتي سمعناها والتي يجب شكرها وقد أعطت لصلاتنا بعداً أجمل ونأمل أن يتم الاتصال بينها وبين جوقتنا في دمشق ويجب أن يتم هذا الاتصال بالتالي لتبادل الخبرات وأشرطة التسجيل وكل ما يلزم لتطوير أدائها الواعد.

نحن بإذن الله لن يطول غيابنا لأن الواجب أن نعود وليس جيداً الاستمرار هكذا. فالصورة التي كونتها قبل الزيارة وأثناءها يجب أن لا تستمر فهناك ضعف في الرعاية وفي التواصل مع الرعية فلا الكهنة يجتمعون ولا الجمعيات تجتمع وكذلك الحال بالنسبة لبسمة المستقبل «شبيبتنا» لذلك يجب تغيير هذا الواقع لأنه لا يحق لأحد منكم أن يعيش في دنيا مستقلة أو بمعزل عن الآخرين وما سنفعله هو أن نفتش عن هذه الروابط التي تجمع الكل إن شاء الله وستكون بفضله تعالى على أحسن ما يمكن.

ثم أنتقل إلى سيداتنا وأوجه سؤالي لهن: ماذا تفعلن؟ وأنا أعرف أن بعضاً منكن شكلن جمعيات نسائية للاهتمام بأمر الفقير والمسكين والتلميذ المحتاج وما إلى ذلك وهذا جيد جداً إذن لماذا لا تعم هذه التجربة الخيرة كل كنائسنا ورعايانا هنا.

ماذا تعمل سيداتنا؟ المرأة، يا أحباء، تستطيع القيام بما يعجز عنه الرجل في هذا الحقل فهي تستطيع زيارة جارها في أغلب الأوقات والجلوس معها ومساعدتها حتى في المطبخ وتستطيع في هذه الحالة أن تتكلم معها ببعض الآيات الإنجيلية للاستفادة الروحية لا أن يكون الحديث محصوراً بثرثرات عن الموضة وعن فلانة وفلان...علماً بأن الرجال أيضاً يتكلمون بأمور مماثلة أيضاً.

أتمنى أن تعمم ظاهرة الأخويات النسائية في كل مكان وأن تبادر

جمعيات الكنيسة لتسهيل دور هذه الأخويات إذ يجب الوقوف إلى جانبها وتوفير ما يلزمها من مال وإلا نحن مقصرون.

فيما يخصني أنا: ليس عندي وقت للسياحة والنــزهة والوقت الذي خصصته لكم، أيها الأحباء، مقتطع من اهتمامات على مستوى عالمي إذ لدينا اتصالاتنا بكل الكنائس والمؤسسات العالمية ونجتمع معها. وأنا أقول لكم ذلك لأنني شعرت بوجوب مشاهدتكم رغم كل هذه الاهتمامات ولكن في المرات القادمة بإذنه تعالى يجب أن تكون الاحتفالات فيها أقل من هذه المرة فيما تكون لقاءات العمل أكثر مع الكهنة لأجل الرعاية ومع الجمعيات في أعمالهم ويجب أن نتذاكر لأن الإنسان لا يأتي من بطن أمه متعلماً.

وهناك شؤون أخرى سنهتم بها لأن مصلحة الكنيسة فوق كل المصالح الشخصية.

بارك الله فيكم ووفقكم داعياً لكم وعوضكم بالخيرات. أكرر امتناني لكم.

✠ ✠ ✠

دعاء*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

أيها السيد الرب يسوع المسيح إلهنا، يا كلمة الآب الأزلي الحاوي جميع كنوز العلم والحكمة، يا من أوصى تلاميذه بأن يعلّموا جميع الأمم ويرشدوهم إلى طريق الخلاص، أنت أيها السيد المحب البشر بارك دارنا هذه المُعدّة لنشر المعارف والعلوم وخدمة الطلبة وتثقيف عقولهم ونفوسهم. بارك إدارتها وأساتذتها وسائر الذين يعلّمون ويرشدون ويعملون فيها. وأنعم على الطلاب بأنوارك وبأَيدِك السماوي ليكتسبوا فيها العلم والمعرفة والفضيلة ويتأهلوا لخوض معترك الحياة. اجعل من هذه الجامعة منارة سنية الضياء تشع منها أنوارك الإلهية وتهدي إلى صراطك القويم وتذيع بك بين جميع الناس. لأنك أنت نورنا وهدينا أيها المسيح إلهنا، وإليك نرفع التمجيد وإلى أبيك الأزلي وروحك القدوس الآن وكل آن وإلى الأبد. آمين.

إلى الرب نطلب:

أيها الرب القدوس إلهنا، يا مبدع الكائنات كلها من العدم، وخالق المياه وضابطها بحكمة قدرتك، أنت بارك هذا الماء وقدسه بقوة روحك القدوس الصالح والمحيي وبفعله وحلوله، واجعله صوناً لعبيدك من كل ضرر، مبيداً ثورات الغضب، معيذاً من الأوهام ومن كل خدعة وغش، اجعله يا رب شفاء للأمراض وغفراناً للخطايا وتنقيةً للنفوس والأجساد وتقديساً للمنازل. وأنعم

* البلمند، تدشين جامعة البلمند، ١٩٩٢

على عبيدك بالتقديس والبركة والعافية، لكي يتمجد بذلك اسمك القدوس أيها الآب والابن والروح القدس الآن وفي كل آن وإلى الأبد. آمين.

فخامة الرئيس، أيها الأخوة والأبناء الأعزاء.

صلينا على الماء ليتبارك بحلول الروح بغية تقديس عدد من مباني الجامعة لأننا في كل شؤوننا البلمندية نسأل البركة والرضوان والتقديس للإنسان البلمندي والأرض البلمندية والمداميك البلمندية. ولا يغفل عنا دقيقة واحدة أن كل شيء يتم على هذه الهضبة إنما يتم في ظل والدة الإله عذراء البلمند وبشفاعاتها.

ويحلو لي أن أذكر أمامكم المباني التي تُكَرس اليوم والتي سبق تكريسها في مناسبات سالفة:

١. مبنى سعد قازان للفنون والعمارة وقد تبرع به ولدنا الروحي وليم قازان.
٢. مبنى عصام فارس لكلية الآداب والعلوم الإنسانية تبرع به عزيزنا السيد عصام فارس.
٣. مبنى العائدي للعلوم إحياءً لذكرى المرحوم الدكتور منيف عثمان العائدي وقد تبرع به صديقنا الدكتور عثمان العائدي.
٤. مبنى عاطف دانيال لمكتبة الجامعة ويقام تخليداً لذكره بعد الوفاة.

وما هو آت ليس مدعاة للشكر والاعتزاز بأقل مما سلف. لأننا في مرحلة لاحقة سنفرح بتدشين مباني أخرى ألا وهي:

١. قاعة المحاضرات الكبرى والقاعة المسقوفة للرياضة (ونحن فيها الآن) وسواها

وذلك تخليداً لذكرى المرحوم حسام الدين رفيق الحريري، وكلها تبرع سخي من صاحب الدولة الرئيس الشيخ رفيق الحريري الأكرم.

٢. ثم مبنى العلوم التكنولوجية وهو تبرع من عزيزنا معالي الوزير الأستاذ ميشال المر.

٣. وقد تبرع بمبنى إدارة الأعمال الصديق الوجيه حسيب الصباغ تخليداً لذكرى المرحومة ديانا تماري الصباغ.

٤. أما مبنى العلوم المعلوماتية فقد قدمه ابننا الروحي سعيد الخوري تخليداً لذكرى والده المرحوم توفيق أسعد الخوري.

نعم يا فخامة الرئيس ويا أيها الاخوة والأبناء: إنه على جدران جامعة البلمند تخلد أسماء المحسنين وتبقى في عيون أجيالنا الصاعدة شهادة حية لكل منهم لا تقوى على محوها الأيام.

وكيف لا أذكر في هذا الصدد أخانا المتروبوليت فيليب رئيس أساقفة نيويورك وتوابعها الذي فاق سلفه المطران أنطونيوس بشير فتبرع مع أبرشيته المباركة بالقرية الأنطاكية الكاملة لسكنى الأساتذة والطلبة وهي في طريقها إلى رؤية النور. وكان المطران بشير قد تبرع بمبنى كلية اللاهوت باسم القديس يوحنا الدمشقي.

وإن الحقيقة والعاطفة والوفاء تدفعني في هذا المقام المهيب إلى أن أقول قولاً خاصاً فيمن كنت وإياه توأماً وحيداً في أبرشية بيروت سنين طويلة أعني به سيادة الأخ الأسقف غفرئيل الصليبي المعتمد البطريركي وساعدي الأيمن في أوروبا والداعم الدائم لمشروعاتنا كافة. الأخ الأسقف غفرئيل فضله كبير

وعميم على كل ما تشهدون اليوم كافأه الله وأجزل عليه نعمه الإلهية.

وما دمنا نقطف الثمار ونزهو بها وجب علينا أن نذكر الشجرة التي تثمر. وهنا نرمي أمامكم وفي فضاء البلمند أسماء بعض من أغنوها بعطر أعمالهم. وأذكر الأبناء: جان أميوني، جورج عسيلي، طوني عسيلي، رمزي جريج، أندره جحا، رجا صيداوي، كمال الشاعر، سليم نصار، جوزف عبده خوري، سمير حنا، جوزيف غرّه، سمير مقبل، أسعد نجار، طوني صايغ، طلال الزين، ألبير أبيلا.

وما لي أقصر عن ذكر المهندس الياس أبو شاهين الذي حقق كل مدماك من مداميك هذه الجامعة المباركة، مرافقاً نشوءها بالقلب والفكر ومجنداً أسرته لتعمل جاهدة إلى جانب العمال المخلصين، العمال الذين بتعبهم وعرقهم قامت الجامعة البلمندية بسرعة لا تُسبق وحلاوة تفرح العين وتبهج القلب.

إني أدعو العزيز الياس أبو شاهين إلى هنا ليُقلَّد عن استحقاق وسام الرسولين بطرس وبولس من درجة الكومندور الكبير لخدماته الجلى التي قدمها ويقدمها للكرسي الأنطاكي كرسي الرسولين بطرس وبولس.

وأخيراً — ودوري على وشك الانتهاء — تُقَصِّر كلماتي عن التعبير عما في قلبي لرفيق صبا ودراسة، لمن قال له عني أبوه رحمه الله عندما التقاني في منـــزله في أيامنا الجامعية الأولى: «يا غسان هذا أخ جديد لك». ومن بعد ذلك لم تتمكن الأحداث على تنوعها وتضاربها من أن تحدث أي خلل في هذه الأخوّة. إن غسان هذا هو معالي السفير الأستاذ غسان جبران تويني رئيس جامعة البلمند الأرثوذكسية الماثل أمامكم مع رهط أولاده ومعاونيه وهو يحمل هذه الجامعة ويُعيرها لمعانها وألقابها وروحها، ويأخذ مما له ويعطيها بدون

حساب وبدون تردد. فكان أنه قد حلّ حلولاً عضوياً في أولى الصفحات العلمية الحديثة في تاريخ كرسينا الأنطاكي المقدس، والجامعة هي هذه الصفحة الفريدة الخالدة.

عزيزي غسان. إنني فخور بأن أقلدك باسم الكرسي الانطاكي المقدس الوشاح الأكبر لوسام الرسولين بطرس وبولس وأقول: ثلاثاً مستحق.

فخامة الرئيس،

أذكر يوماً أنني ــ في حديث لي مع فخامتكم ــ قلت إن لبنان دولة ولا شك في ذلك، لكنه بصورة خاصة منــزل لعائلة متعددة لبنانية لا يكون فيها الحاكم مجرد مُحاكم بل أباً حتى في نطاق القانون. وتتالت لقاءاتنا تزيدني قناعة بأن روح الأبوة ما زالت متأججة في قلبكم وإن رؤيتكم للبنان لبنانية حقاً أي أُسْروية تأبى أن يتحول لبنان المنــزل إلى مكان يهجره أبناؤه إلى حيث ينشدون رائحة الحرية والكرامة. ولم أحدثكم مرة إلا وشعرت أن ذكر الله وكنيسته لديكم ذكر يعني في الوطن محبة شاملة ووفاقاً واتفاقاً. لذلك يسعدني الآن، في ظل السيدة عذراء البلمند شفيعة هذا المكان، وتعبيراً عن شكري العميق وأدعيتنا الصادقة لكم ولأسرتكم ولصحبكم الكرام، يسعدني أن تقبلوا هذه الأيقونة المقدسة لتكون بركة في منــزلكم وإشارة إلى أن لله مقاماً أعلى في أعلى مقام في لبنان.

✠ ✠ ✠

حول لقاء اسطنبول*

إن أسباب عقد الاجتماع للبطاركة ولرؤساء الكنائس الأرثوذكسية لا شك متعددة وما ذكرتم أعتقد أنه صحيح. لا شك أن مناسبة انتخاب البطريرك المسكوني الجديد كانت مناسبة جيدة جداً لعقد مثل هذا الاجتماع. فالبطريرك الجديد بطريرك حديث السن نسبياً فهو في الثانية والخمسين من عمره ويتمتع بعقلية تواجه الأحداث في هذا العالم مواجهة مباشرة. إنه مثقف ثقافة واسعة، وهو معروف في الأوساط المسكونية معرفة تامة، لذلك كان من الطبيعي أن تأتي الدعوة عن يده، وكان هو المناسبة التي جعلت هذا الاجتماع ممكناً.

وهنا أشير إلى أن مثل هذا الاجتماع لم يعقد منذ مئات السنين في الكنيسة الأرثوذكسية وهذا لا شك يجعلنا نشعر أكثر فأكثر بأن هنالك فراغاً يجب أن يملأه أحد وهو بالضبط البطاركة رؤساء الكنائس ومن يمثلون المجامع المقدسة فيها. نحن في الكنيسة الأرثوذكسية معروفون ككنائس محلية. ككراسٍ محلية. ولكن لا يعرف تماماً بالضبط أين هو المكان والموقع الذي منه نتكلم كلنا معاً، من أين يخرج الرأي الأرثوذكسي الذي يولد بعد مشاورة، ولكنه يقال على لسان معين في وقت معين لكي يتبناه العالم ويتبناه أبناؤنا في الكنيسة الأرثوذكسية تبنياً موثوقاً على أنه هو الكلام الرسمي الذي تقوله الكنيسة الأرثوذكسية اليوم.

نحن نشعر أنه في عالم الاتصالات لم يعد يجوز ألا يكون للأرثوذكسية

* الاجتماع الأرثوذكسي، اسطنبول ١٩٩٢

صوت متميز. لا يجوز أن نبقى صامتين. لا يجوز أن ينظر إلينا كأننا مجموعة من الكنائس ونحن القائلون بكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية. النقطة هي كيف نعبر عن هذه الوحدة؟ أعتقد أن وراء هذا الاجتماع الشعور بأن علينا أن نجد صيغة من الصيغ المناسبة للاهوتنا ولتراثنا ولتقليدنا لكي نعبر فيه عن أن الكنيسة الأرثوذكسية في العالم هي كنيسة واحدة.

وسبب رئيسي آخر وهو الأحداث التي حدثت في أوروبا الشرقية وفي معظمها تمس العالم الأرثوذكسي. ففي روسيا وفي بلغاريا وتشيكوسلوفاكيا ورومانيا ويوغوسلافيا حدث تغيير جذري في الوضع فانتقلت فيه الكنائس الأرثوذكسية من كنائس مكبوتة مقموعة محارَبة مهانة إلى كنائس تتمتع بحريتها. ولم يكن أي شيء إيجابياً في حياتها أكثر من صمود المؤمنين على إيمانهم وخصوصاً الشهداء منهم الذين قدموا دماءهم في سبيل إيمانهم وهم لا يمكن حصرهم.

هذه أوضاع ما كان يمكن إلا أن يحس الأرثوذكسي بأنها تهمه حيثما وجد. ولذلك كان يجب التنادي من كل الكراسي الرسولية، وهذا التنادي لكي يأتي الكل ويعبر عن الآلام في الكنيسة حيثما وجدت. يضاف إلى ذلك أنه لأسباب متعددة بعد أن مررنا في فترة كان فيها بعض من المسيحيين في أوكرانيا مقموعاً على يد ستالين وعلى اليد الشيوعية وأنه كان مرغماً على الالتحاق بالكنيسة الأرثوذكسية. هذه الفئة شعرت بأنه أطلق سراحها وصار لها الحق أن تعود إلى كنيستها الموحدة مع كرسي روما. الكنيسة ذات التراث الشرقي التي هي مفصولة عن الكنيسة الشرقية والتي هي ملتحقة بكنيسة روما. هذه الكنيسة بالواقع انفصلت ليس انفصالاً سهلاً لأن الذي فصلوا هم الجيل الذي قمع.

ولكن الجيل الذي لم يقمع لم يجد مبرراً أن يترك الكنيسة التي فيها تعمد والتي فيها صلى والتي فيها هو يواجه ربه وإلهه. إذاً هذه الحالة الصعبة التي صارت وبنتيجتها حصل عنف قوي من جهة المؤمنين. وأنا أعتقد أنه لا بد في مثل هذه الفورة من حصول شيء من العنف. وهذا سبَّب الكثير من الارتباك للكنيسة الروسية من جهة ولكنيسة روما من جهة ثانية. لا بل نحن نعرف أن هنالك لجنة أنشئت من الكنيستين لكي تبحث في قضية أوكرانيا. ولكن الواقع أن أوكرانيا تجاور هذه اللجنة و لم يسمع لها كلام. إذاً هذا سبب أيضاً رئيسي جعل الكنائس تجتمع. وما جعلها تجتمع أننا حريصون ككنائس أرثوذكسية على التيار الذي سلكناه حتى الآن. التيار الوحدوي. ولا نريد أن تعود الكنائس إلى حالة خصومة كما كانت هي الحال خلال قرون مضت. عندما شعرت الكنائس الأرثوذكسية بأن هنالك تعابير وبأن هنالك خططاً قد تعني أنه قد حدث فراغ في أوروبا الشرقية يجب أن نملأه. وعليه يجب أن تجند الكنيسة الكاثوليكية والكنائس البروتستانتية كل قواها لكي تجتاح هذه المنطقة. عندما شعرنا ذلك، شعرنا أنه يجب أن تقال الحقيقة، وهي أنه إذا كانت الدولة في روسيا وفي سواها ملحدة وكان التعليم ملحداً، فهذا لا يعني أن المؤمنين كانوا ملحدين، وهذا لا يعني أن الألوف لا بل عشرات الألوف لا بل الملايين كانوا يعمدون دائماً ولكن بالسر. وخصوصاً كنا لا نريد أن نعود إلى نوع من الخصومات كما سبق مع الكنائس المسيحية الأخرى، وحرصاً على أن نوضح موقفنا وبالحوار الصادق، والصدق شيء مهم جداً. في الحوار يجب أن يقول الإنسان الحقيقة، وعندما يخفيها لا يكون محاوراً حقيقياً. في هذا الظرف كما قلت، شعرنا أنه يجب أن نقول الحق للكنيسة الكاثوليكية وأن نقوله أيضاً للكنائس الأخرى. وهذا كان من دواعي الاجتماع في اسطنبول.

وكان من أهم الأسباب أيضاً الحاجة إلى أن يكون هنالك تعبير عن أن شيئاً يجمع الكنائس التي تسمى كل باسمها الخاص. وأن التعددية الواقعية ليست بالفعل تعددية في الحياة الروحية وليست تعددية في الأسرة الواحدة الأرثوذكسية في العالم. لذلك كان يجب أن نجتمع وكانت مناسبة اجتماعنا في أحد الأرثوذكسية لكي نقيم القداس الإلهي معاً ونشترك بجسد الرب ودمه معاً وأن نظهر للناس معاً وأن نقول كلمة واحدة.

هذا كله كان ذا معنى غزير وعميق جداً وخصوصاً بالنسبة للمؤمنين الأرثوذكسيين في كل أقطار العالم. غير أن بعض الأصداء التي ظهرت في أوروبا كانت على شيء من التخوف من أن تكون الكنيسة الأرثوذكسية في هذا الاجتماع وضمن هذه الظروف الحرجة التي تجتازها أوروبا مجبرة في أن تتخذ موقفاً سلبياً من الحوار المسكوني. هنا يهمني القول إن الكنيسة الأرثوذكسية مدركة تمام الإدراك أن العالم الذي نعيش فيه هو عالم تواصل. العالم هو عالم راديو وتلفزيون والخ... وأنه لا يجوز بصورة من الصور أن نكون نحن وكأننا غير متحسسين لما في هذا العالم من تطور في قضايا الاتصال. لذلك نحن ما كان يمكن أن نتصور أنفسنا جهة سلبية، لأن السلبي في هذا العالم مرغم على الصمت والصامت هو بمثابة الميت في الواقع. إذاً كنا جميعاً إيجابيين نتذمر مما يتذمر منه ولكننا نبقى في حالة حوار مع الكنائس الأخرى وخصوصاً الكنيسة الكاثوليكية، لكي تقول لنا ما تظن هي أيضاً. إنه بدون التبادل لا يمكن أن يعرف واحد حقيقة أخيه الآخر.

هنالك نقاط عديدة أود أن أذكر منها واحدة على الأقل، وهو أنه في الحوار الكاثوليكي الأرثوذكسي الرسمي وفي المستوى العالمي كانت هنالك أفكار

نحن ظنناها أفكاراً تأتي من الكنائس الكاثوليكية جمعاء وليس من مجرد لجنة.

مثلاً، القول إنه يجب التوقف عن الاقتناص بأية صورة من الصور. والابتعاد عن كامل طرق الإغراءات التي كانت تستعمل في الماضي وقد تستعمل في الوقت الحاضر. كنا في الحوار قد وصلنا إلى وقت ظننا فيه أن طريقة فصل فئات من الكنيسة الشرقية لكي تتحد بكنيسة روما مع الحفاظ على طابعها الشرقي لا يفيد أحداً لأنه لا يساعد الكنيسة الشرقية بأن يقربها من كنيسة روما. ولا يفيد كنيسة روما بتقريب هذه الفئات منها. إذاً كانت عندنا نصوص واضحة بأن الخطة التي كانت مرسومة بهذا الاتجاه هي خطة لا تؤدي إلى نتيجة إيجابية.

ولكن لماذا نتأمل النتائج الإيجابية؟ ذلك لأننا في الحوار أيضاً. كان هنالك تعبير قد تبنته لجنة إعداد الحوار المسكونية من الكاثوليك ومن الأرثوذكس. إن كل كنيسة تعتبر الكنيسة الأخرى أختاً لها وشقيقة. وإنه يجب أن تعامل معاملة الأخت والشقيقة. لذلك فنحن انطلاقاً من هاتين النقطتين ظننا أنه يمكننا بروح أخوية أيضاً أن نقول الحق ولو ظهر للبعض جارحاً، إننا لا نقصد أن نجرح، ولكننا نتصور أن يظهر الحق بكامل وجهه وأن يتألق. ولم نبغ الإساءة إلى أي إنسان على وجه الأرض.

وليكن واضحاً لدى الجميع أن الكنائس الأرثوذكسية لم توقف حوارها مع الكنيسة الكاثوليكية. وليكن واضحاً لدى الجميع أننا مؤمنون بأنه في الحوار يمكننا أن نكون دائماً إلى جانب الحق وأن نقول ما نعتقده بكل إخلاص وبكل صفاء. وأود هنا وقد سبق لي وأعلنت ذلك من قبل، أنني عندما زرت قداسة البابا مؤخراً شعرت بحرية كاملة كي أقول له ما سبق أن قلت في هذا الحديث،

عن عتبنا من ناحية وقلقنا من ناحية أخرى، وتمنياتنا في ألا تقع الكنيسة الكاثوليكية في فخ الاقتناص مجدداً. وفي الوقت ذاته عندما سئلت في روما عن إمكانية اجتماع اللجنة المسكونية، لجنة الحوار العالمية بين الكنيسة الأرثوذكسية وبين الكنيسة الكاثوليكية رحبت تماماً بالاقتراح الذي أعطي من هذه اللجنة في اجتماع سابق، وهو أن تجتمع في دير البلمند عندنا نحن، وسيراها الناس كلهم إن شاء الله خلال أسابيع مجتمعة لدينا. وهذا لا يعني رفضا للحوار، بالعكس، هذا يعني ترحيباً بالحوار من كل نواحيه. وأنا متأكد أن الناس سيرون أن كل الأحاديث ستكون أحاديث بين أخوة وأصدقاء وإن تعددت الآراء واختلفت المذاهب.

✞ ✞ ✞

الكرسي الانطاكي ظُلِم لجهلنا إياه*

أيها الأحباء،

يُسعدنا اليوم أن نجتمع ولو لم يكن في تراثنا حتى اليوم أن يتم مثل هذا الاجتماع. في هذا اليوم، أرى وجهاً حقيقياً من وجوه الكرسي الانطاكي المقدس ما كانت لِتُظْهر حقيقتَه أيةُ منطقة لوحدها. وما كان لأية بقعة من البقاع التي يوجد فيها أبناؤنا بمفردها ما يمكّنها من أن تُظهر الوجه الحقيقي لكرسينا الإنطاكي المقدس الذي أصبح منتشراً في كل الكرة الأرضية.

ولماذا كان يجب أن نظهر هذا الوجه؟

كان يجب أن نظهر هذا الوجه لأننا كنا — حتى اليوم أيها الأحباء — نظن جميعاً بأن الكرسي الإنطاكي هو أنا، هو نحن في مكان ما. ولم يكن الواحد منا يشعر أن الكرسي الإنطاكي هو في أخيه حيثما وُجد أخوه، وأن الكرسي الإنطاكي ليس بعثرةً هنا وهناك، وإنما هو عائلة انتشرت، لكنها حيثما حلت فهي تنشر الروح الواحد الذي يعطي المواهب المتعددة دون أن يُقسِّم الموهوبين إلى فئاتٍ متعددة.

لقد ظُلم الكرسي الإنطاكي كثيراً من قِبل بنيه أنفسهم، عندما ظنوه ينحصر في منطقة واحدة أو في أبرشية واحدة أو في قارة واحدة. ظُلم عندما

---

*البلمند، كلمة البطريرك في افتتاح دورة المجمع الانطاكي الموسع، الاثنين ١٩٩٣/١٠/٤

ظنوه بكليته محدوداً فصارت كل قضاياه تُبحَث على أساس أنه محدود وعلى أساس أن الكرسي الإنطاكي مجموعة أجزاء وليس كلاً لكل الأجزاء.

يكفينا أن الكرسي الإنطاكي ظُلم في تاريخه من أبنائه. من يعرف من في الكرسي الإنطاكي؟ وكيف يعرف الإنسان من لا يراه؟ كيف يعرف من لا يلقاه. وكيف يُحب من لا يعرفه؟ والكنيسة محبة، هي كنيسة محبة.

أنا متأكد اعتماداً على اختبار شخصي أننا كثيراً ما ظننا في الكرسي الإنطاكي ما لم يكن هو عليه في شيء.

من قال إنه لم تكن عندنا مدارس؟ من يقول إن عندنا اليوم مدارس أكثر مما كان عندنا في زمن غير بعيد؟ من قال إنه لم يكن عندنا رهبان ؟ ومن يقول إن عندنا اليوم رهباناً أكثر مما كان في أديرتنا؟

من قال إنه لم يكن عندنا إيمان في كهنتنا؟ فيما كانوا ينقلون البركة والقداسة. ولم ينقطع هذا النقل يوماً من الأيام إلى شعبنا، وبالتالي فإن شعبنا لم يعش يوماً من الأيام محروماً من البركة والنعمة.

من قال إن حاضرنا بطبيعته أفضل مما كان عليه؟ هذا غير صحيح.

ما هي المؤسسات الكبرى التي أسست اليوم مثلاً لكي تضاهي ما أسس منذ زمن؟

إنني أنظر- اسمحوا لي بجولة قصيرة – إلى أميركا الشمالية فيحضرني اسم مجيد هو اسم الأسقف رافائيل هواويني. هذا الاسم الذي تنافسنا في تكريمه، في تطوبيه، وفي تقديسه، مع الكنيسة الروسية.

ولا بأس أن أذكر - إذا ذكرت في كندا وفي أماكن أخرى - الأب

خرباوي. هؤلاء كانوا يسعون بجد وتعب لكي يواصلوا "الرسالة الإنطاكية" وهناك "رسالة إنطاكية" كانوا يسعون لكي يوصلوها إلى من تركوا بلادهم وذهبوا إلى محيط يختلف كل الاختلاف عما ألفوه وعما عاشوه.

فعلى يد المطران رافائيل هواويني رسم في المكسيك سمعان عيسى الخوري كاهناً. انتبهوا كم مرة سأردد اسم الخوري سمعان عيسى. يذهب الخوري سمعان إلى المكسيك فماذا يتوقع أن يرى؟ ماذا يتوقع أن يحدث؟ ماذا يتوقع أن يؤسس؟ ثم يذهب أيضاً إلى الجنوب في الأرجنتين.

وأذكر اسماً خالداً لا يذكره الكثيرون هو الأرشمندريت «اغناطيوس أبو الروس». كان يذهب مشياً على الأقدام ليبشر وقد أسس كنيسة هناك. هذا الذي أذكره كان ــ في آخر أيامه في بيروت ــ يبيع آخر كتبه للصلاة لكي يعيش ومات و لم تبق له السواعية (كتاب السواعي) بعد سنين من الجهاد.

وأنتقل إلى هنا فأذهب إلى ضهور الشوير. هناك الخوري حنا مجاعص مؤسس المدرسة وهناك المعلمون الذين نشأوا من هناك: الأستاذ المعلم جرجس همام وقد عرفنا من بعده ابنه الدكتور همام. وضاهر خير الله وأمين ضاهر خير الله هؤلاء نشأوا هناك حول دير مار الياس والدكتور أسد رستم عاش في نفس الموضع الذي كانوا فيه ولكنه كذلك كان من تلك المنطقة. أين عليَّ أن أعرج أيضاً؟ اسمحوا لي أن أمر بدمشق:

في دمشق نحن نطلب منذ الآن شفاعات الخوري يوسف مهنا الحداد هذا الذي عرفته دمشق وعرفه البلمند وعرفته بيروت معلماً مجاهداً مات مقطعاً. وسَيطلب إليكم مجمعُكم المقدس بعد أن يقول الروح القدس كلمته فيه

أن تضعوه في لائحة القديسين الإنطاكيين. وستسمعون ذلك يوم السبت القادم.

وفي دمشق، لماذا لا نذكر الذي كلما قرأتم أنتم في كتاب الميناون إنما تقرأون كلمة طيبة حلوة علمية من الأسقف سرجيوس سمنة. لقد علّم الكثيرين من الإكليريكيين، ويا ليت كتاب "المعزي" وكتاب "التريودي" هما باللغة ذاتها التي كتب بها الميناون الشريف.

كما أذكر المطران كليلة. من يعرف أن المطران كليلة كان من أول من ترجم تعليم الرسل الاثني عشر، وما زال المخطوط قابعاً في مكتبتنا حتى اليوم. أما ملاتيوس قطيني وقد دفع من أتعابه لإنشاء ميتم ومات في مأوى الموارنة بفرن الشباك أو بالحازمية (لست أدري). مات هناك ولست أدري إذا كان إلى جانبه كاهن أرثوذكسي في ساعاته الأخيرة.

ولنذهب إلى "حماة" فهناك المطران غريغوريوس جبارة المعروف بقداسته وعلمه.

وهناك الخوري يوسف عويشق الذي بنى دير مار جرجس في بلدة كفربهم. حتى اليوم يعرفه الألوف من الأشخاص بأنه الدير الذي بني بسعي إنسان واحد مات بالسرطان عند أحد أصدقائه في مدينة حماة.

إن الذين عندهم أمثال هؤلاء، فإن كنيستهم لا تكون عائشة في الظلام خلال القرن التاسع عشر. لكن الذي ينقص هو معلوماتنا نحن عنهم ، نحن نجهل حقيقة كنيستنا. ومن يدري إذا كنا قد أُخذنا بمظاهر لم تكن عندنا فقلنا: حيث توجد مظاهر براقة يكون الروح قد تجلى.

أعود فأقول: إننا باجتماعنا اليوم نظهر وجهاً للكرسي الإنطاكي لم يكن ليظهر بدون أن نلتقي في هذا اللقاء.

أيها الأحباء:

هذا اللقاء تبرره إراداتكم جميعاً. ولقد كان لي الحظ الكبير بأن ألتقي الإخوة جميعهم في كل الأبرشيات المتاحة لي فكانوا كلهم صوتاً واحداً: يجب أن لا نكتفي بأن يكون الواحد منا موازياً للآخر. الحياة المسيحية ليست توازياً. يجب أن يلتقي الواحد منا الآخر. فالحياة المسيحية شركة تداخل روحي بين الواحد والآخر، وليس أحلى من أن تقف في كل وقت أمام أخيك الذي وضعه الله أمامك لكي تقول وإياه: "أبانا الذي في السماوات، ليتقدس اسمك".

أيها الأحباء:

أهلاً بكم، لن توجد كلمة تعبر عن الفرح الذي تسببونه أنتم اليوم، وأتمنى أن يرافقكم هذا الفرح لكي يُنقل إلى حيث توجدون. إن الكرسي الإنطاكي بحاجة إلى أن يفرح، إلى أن يعتز بإيمانه بأصالته، بأرثوذكسيته، التي لم تتزعزع في أي ظرف من الظروف.

لماذا يحبنا الناس؟ لماذا تحبنا الكنائس؟ لشيء واحد هو أن الإيمان الإنطاكي الأرثوذكسي هو هكذا، وليس إلا هكذا.

وهو هكذا بأدعيتكم أيها السادة، أيها الأحباء. هو هكذا بصلواتكم. فالبركة تأتي إلى شعبنا على أيديكم، وكلمة الخلاص تأتي إلى شعبنا على شفاهكم.

إنني أسأل الله أن يجعل هذه الفترة التي نجتمع فيها في هذا المكان المبارك فترة مباركة بوجودكم، بصلواتكم، بأدعيتكم، حفظكم الله إلى سنين عديدة آمين.

المسيحيون العرب خدام لبلدانهم*

نحن الذين التأم عِقدُنا في المجمع الأرثوذكسي الإنطاكي الموسع في دير سيدة البلمند والآتين إلى رحاب لبنان من كل أرجائه، ومن كل المدِّ الإنطاكي في العالم، أحببنا أن نقول اليوم حبنا للبنان الذي استضافنا في رحابه.

نحن الأرثوذكسيين نحمل لبنان في أدعيتنا، وقد اصطفيناه موضعاً لتأمُّلاتنا فيما نتطلع إلى تجدُّدِ كنيستنا في إخلاصها للمسيح ولهذا المشرق الذي تأصلت فيه جماعتنا الروحية المقيمة والمغتربة لغةً وتراثاً ومصيرَ إنسان. لقد أخذنا معنا التراث الإنطاكي الكبير وترجمناه عبادةً ونُسكاً ولاهوتاً لتصير هذه كلُّها خميرةَ فكرنا وعملنا حيثما حللنا. وأخذنا معه آلام العُربِ وتطلُّعَهم إلى الحرية والعدالة.

وفي الأزمات التي نعانيها جميعاً على اختلاف الطوائف أحببنا أن نرجو لشعوبنا نهوضاً يرفعها الى الصف الأول من الإنسانية الساعية إلى كرامتها والإبداع. قد تعبُر شعوبُنا نَفَقاً مظلماً، وهذا يتطلب منا سعياً موصولاً، في الصبر كما في الشجاعة، فلا تيأسُ بلادُنا ولا يتفتّتُ واحد منها ولا يكبو. إن الحياة الروحيةَ الكبرى إذا تنزَّلت علينا برضاءِ الله وحنانه ورأفتِه ستتشبّع فكراً خلاّقاً و إِحياءً للتراث الشرقي الذي لا بد وأن يبعَثَ نَفَحاته في جسم الإنسانية كلها.

وقلوبُنا في هذه النهضة ناظرة إلى الفقراء وحرياتِهم وحقوقِهم ليغدوَ

*تدشين المطرانية الجديدة لأبرشية طرابلس، الأحد ١٠/١٠/١٩٩٣

الجميعُ في معارج الحضارةِ، المتحررة من وطأةِ المادية لكنها عاملة فاعلة ترنو إلى استعمالٍ عادلٍ لثروةِ الأرض في بيئةٍ نحفظُها نقية، خَلقاً لله ومكاناً لتمجيده.

أنظارُنا جميعاً تتجه إلى لبنان، الخارجِ إلى الأمن والقيامة، ليبقى موئلاً للحرية. الشرق إما أن يبقى مَوطناً للسلام والحرية أو أن يفقدَ كلَّ خصوصيةٍ له، ولبنانُ خصوصية داخل هذه الخصوصية. مداهُ الحضاريُّ دنيا العربِ أولاً والعالمُ كلُّه ثانياً. لذلك نسعى مع العائلات الروحية كلّها إلى بقاءِ لبنانَ حراً وسيداً، يجدّدُ دائماً استقلالَه ويؤمن به ويوطده، في تحالفٍ وتضامنٍ مع جاراته ولا سيما سوريا التي احتضنت الإنجيل منذ بزوغه، بعد أن جاءها من القدس، التي كانت منطلق الخلاص إلى العالم.

القدس وفلسطينها معراجنا جميعاً إلى السماء. وهي بعضٌ من إحساسنا بالملكوت. وكنا دائماً نصرُّ على أن القدس وفلسطين بشرٌ لا حجرٌ. نحن لسنا نواجه مشكلة الحفاظ على الأماكن المقدسة وحسب، ولكننا نواجه مسؤوليتنا في الحفاظ على سوريا ولبنان وفلسطين وسواها من أرض العرب في المشرق. إن عزة هذه الأرض وسكانها جزءٌ من رسالتنا قبل اليوم الأخير، ولن نضحي بشبرٍ من هذه الأرض الحبيبة إلى الله وشهوده حتى يَحُلَّ السلام العادل الشامل في ربوعنا.

هذا يفرض استعادة لبنان كامل ترابه، ليحيا الجنوب حراً في أرض الوطن. وحرصنا واحد على الجولان، ينتعش بسوريا الواحدة، وتنتعش هي به فيكونا في قلب المصير العربي.

وابتغاء هذه المسيرة إلى السلام، يبقى للمسيحيين العرب، بما حل عليهم من بركات، دورٌ مميزٌ في خدمة أوطانهم بحيث لا يكونون في ضمير الأمم نسياً

منسياً. إن الرسالة التي جعلها الله في أعناقهم شهادةٌ وحقٌ، ما أوتوها حكـراً، فإن طاقاتهم مبذولة لأهل الشرق كافة. ولن يكون الشرق كذلك إلا ومناطقـه موحدة تتفاعل فيما بينها وتتشارك في بناء الإنسان القائم على العـدل، غـير المتشنج ولا المتقوقع، بل المنفتح في تباينٍ وتنوعٍ شرعيٍ خصيب.

لذلك تَفرِضُ عودة المهجرين نفسها على لبنان في استعادته وحدةً لـه كاملة. ذلك أن استمرار أهلنا في التهجير إقرارٌ بلونٍ من ألوان التقسيم، وبعجزِ لبنان عن أن يكون وطناً، مؤتَلِفَةٌ جماعاته الروحية ومتفاعلةٌ مناطقـه فيـه. أن يسكنَ الإنسان في أرضه ويعيش مع كل مواطنيه، لهوَ رمزُ توبـةِ اللبنـانيين إلى وجه الله ورمزُ وتوبةُ بعضهم إلى بعض ورمزُ وعزمُ القضاء على التشـريد، وأن يقررَ أحدنا وحده مصير الآخر.

إننا نعلن هنا اعتبار قضية المهجرين أولية في صلاتنا وفي عطائنا، فندعو جميع إخوتنا في كل الوطن والمهاجر، ولاسيما الميسورين منهم إلى وضع كـل إمكاناتهم وطاقاتهم في هذا السبيل.

وكم نتمنى على الأمم جميعاً وبخاصةٍ على العرب أن يمدّوا يد العون إلى لبنان ليحقق إعماره فيذوق السلام والعدل فيما هو يتطلع إلى خدمتهِ، لدنيا العرب والعالم.

✠ ✠ ✠

المجمع المقدس الموسع*

أيها الأحباء، إن السبب الدافع لهذا الاجتماع اليوم هو توضيح ما تم فعله في دورة المجمع الانطاكي المقدس الذي عقد في البلمند في تشرين الأول لهذه السنة.

أيها الأحباء، إن كنيستنا الأرثوذكسية الانطاكية لا تقتصر على بعض المؤمنين الذين نشاهدهم دوماً. الواقع أن في كرسينا الإنطاكي لدينا أخوة لكم بالإيمان كثر وعددهم أكبر بكثير مما تتصورون. وهم يوجدون في كل بقاع الأرض. وعودة إلى التاريخ وفي أيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤-١٩١٨) كانت حالة هذه المنطقة وسكانها صعبة جداً. كان الطعام قليلاً والمجاعة تحصد الناس بالمئات يومياً حتى الأشجار التي يعاد تشجير مناطقها الآن كانت قد قُطعت لتُستعمل أخشابها في القطارات الحربية. وأمام هذه الحالة رحل الناس بكثرة وحدثت الهجرة من أولادنا من هذه المنطقة وغيرها بالإضافة إلى بعض المناطق الداخلية /وادي النصارى، حمص، حماه/ وهاجر الناس بعد العام ١٩١٨ إلى أميركا الجنوبية وتعاقب منهم ستة أجيال هم الآن هناك من ذوي الأصل الانطاكي ويقدر عددهم بما يزيد على أربعة ملايين نسمة وعددهم هناك يفوق عددنا هنا بعشرة أمثال. هؤلاء من منا يعرفهم. ثم حدثت هجرات جديدة إلى أمكنة جديدة إلى أميركا الشمالية فالوسطى فالجزر، من يعرف الجغرافيا يعرف أين تقع هذه الجزر) ثم إلى أوروبا (فرنسا، ألمانيا، أنكلترا...)

*حديث ألقي في قاعة كنيسة النبي الياس الطبالة، دمشق، ١٩٩٣/١٠/٢٧

هناك كهنة أيضاً وكنائس كما الحال في أوستراليا. والكثيرون ينسون أن لدينا اخوة في إنطاكية وتركيا. وليس من الجائز أن لا يعرف الإنسان عائلته ومن هم جماعته في الإيمان الواحد.

جميع من تكلمت عنهم ولله الحمد يعملون بكد وشرف وأمانة ونحن نفتخر بهم، لذلك كان من الضروري جداً أن نعقد اجتماعاً موسعاً يحضره ممثلون عن كل هذه الرعايا في تلك المناطق التي ذكرتها ليتم التعارف فنحن هنا لسنا كل الكرسي الإنطاكي، نحن مجرد بقعة من بقاعه التي تشمل الدنيا بأسرها.

اجتمع في هذا المجمع اكليريكيون وعلمانيون بحيث كانت الوفود تضم مطارنة وكهنة ورهباناً وراهبات وعلمانين (شبيبة، كباراً، سيدات) أما الراهبات فكن من أديرتنا في الوطن ومن ديرنا في باريس وكانت الوفود من أميركا الجنوبية: (تشيلي، الأرجنتين، ريو دوجانيرو، سان باولو، البرازيل، المكسيك)، ومن أميركا الشمالية وأوروبا وأوستراليا وسورية ولبنان والخليج والعراق.

أما دير البلمند الذي اجتمعت به كل هذه الوفود فلا بد من إلقاء الضوء عليه:

نحن لسنا أبناء الأمس في هذه المنطقة العزيزة و لم نأتها من مناطق أخرى. نحن سكانها الأصلاء، مسيحنا منها وليس من الغرب أو من الشرق أو الشمال أو الجنوب. نحن من هذه المنطقة ومنذ أكثر من ألفي سنة.

كان حاضراً في هذا الافتتاح المسؤولون الرسميون في لبنان (رئيس الجمهورية، رئيس الوزراء والوزراء والنواب) وهناك يحضر الجميع سيما إذا كانت الاحتفالات ذات صبغة علمية كافتتاح العام الدراسي في جامعتنا (البلمند).

وكانت الإذاعات ذات الصفة الجماهيرية تنقل بشكل حي وقائع الاحتفال وهذه هي طبيعة الأمور هناك.

في ذاك اليوم الذي كان يوماً مشهوداً للكرسي الانطاكي المقدس حضر اكثر من ١٢٥ شخصاً من الانطاكيين المتغربين والمقيمين ليشاهدوا واقعنا حالياً وكيف نحن ننهض بقوة إذ لسنا بعد مائتين. لأن ربنا له المجد سيسألنا في يوم الدينونة عما فعلنا نحن. ويجب أن لا نتغنى دوماً بتراث الآباء والأجداد.

كان اجتماعنا رفيع الشأن وهو أشبه بالأمم المتحدة، لغات مختلفة، ولكن الجميع يفهم الإيمان الأرثوذكسي والانتماء الانطاكي الأصيل، من انطاكية العظمى انطلقت المسيحية إلى كل العالم.

كانت اجتماعاتنا رفيعة المستوى وتبعث الاعتزاز بالنفوس، لذا أنا أحدثكم الآن بها لكي تكون قلوبكم قوية ولأجل أن يتشدد أصحاب المواقف الرخوة والفاترة كما أسمع عن كثيرين.

أنا اجتمع وأتحدث معكم في هذه المؤسسة المتكاملة (الكنيسة - القاعة - دار الطالبات) التي يجب أن تشهد مواقفكم الشجاعة في سبيل الإيمان الأرثوذكسي لكي تتقووا. فنحن أصلٌ متين الجذور ولسنا فرعاً لأي أصل كان.

ما هي المواضيع المثارة ؟ إنها تطويب قديس انطاكي جديد.

لماذا لم نكن كلنا حاضرين؟ الجواب لا نستطيع كلنا أن نحضر، لأن الذين حضروا من بعيد كانت وفودهم كبيرة، لكن إن شاء الله يستطيع أكبر عدد منكم حضور هذه الاجتماعات في المستقبل. وقد حدث شيء مهم جداً في هذا المجمع المقدس لم يحصل مثيله منذ ألف سنة ونيف وقبل أن أتكلم عنه أسأل:

ما هي الكنيسة؟ هل هي بعدد أبنائها؟ نحن ولله الحمد عددنا جيد، ولكـن إذا أردت أن تقرأ عن الكنيسة يجب أن تقرأ عن قديسيها وليس عـن أشـخاص سياسيين مع حفظ مقامات كل منهم. إن كنيسة بدون قديسين ليس فيها الروح القدس، وهي بالتالي ليست كنيسة. كان أبناؤنا لا يستطيعون الإجابة عن سؤال محدد ألا وهو أليس عندكم قديسون في الوقت الحاضر. إنكم تتغنون بمار الياس ومار جرجس... أليس عندكم مَن أنعم عليه الله بنعمته الإلهية عداهم.

نحن منذ مدة نفتح أعيننا. وقد سبق لي أن تكلمت في هذه الكنيسة منذ زمن وقلت إن الروح القدس يحل علينا دوماً في حياتنا وفي قداسنا الإلهـي وفي الزواج ويجعل منا كهنة ونستطيع أن نقيم الأسرار المقدسة لكم.

فهل كان الروح القدس غائباً في هذه الكنيسة أم أن عيوننا هي الـتي كانت مغمضة وعلينا أن نفتحها؟

صرنا نقرأ عن شخصياتنا، نحن عددنا كبير وعندنا شـهداء كانـت مواقفهم قوية بحق من يتقول على السيد والسيدة ويرفضـون الانسـياق ولـو بالتهديد، بالقتل ويقولون أنا إنسان مسيحي على «سن الرمح». الكثيرون مـن الذين لا يتكلمون كانوا يحافظون على الأخلاق الجيدة وعلى بيوت نظيفة ليس فيها غش وزنى.

طيبون هم آباؤكم وأجدادكم وهم أحسن منا. ونحن نعتبر الآن أن من باب الحذاقة والشطارة أن نبلف ونكذب ونسوف. ليس الكاذب مَن أكـذب عليه بل أنا الكاذب.

الروح القدس هو الذي يتكلم معنا وفي كل الحالات لكن في النهايـة

نحن الذين نتكلم.

ستتعرف وإياكم على كنيستكم وأشخاصها وسوف لا نتكلم عن الأشخاص إلا بعد الممات. ما الفائدة في ذلك؟ إن خطة الكنيسة تقوم على البحث عن هؤلاء الأشخاص بعد مماهم حتى يصار إلى تطويبهم.

منذ أكثر من ألف سنة لم نطوب قديساً، في هذا المجمع طوبنا قديساً طاهراً من دمشق كان قد استشهد منذ اكثر من مئة عام وكان آخر شيء عمله أنه أخذ القربان المقدس بورع وتناوله وهو في لحظات النزاع الأخير.

أضيف إلى قديسينا إذاً القديس الجديد الشهيد الخوري يوسف مهنا الحداد وكان حاضراً تطويبه وإعلان قداسته فريق من أهله وستسمعون عن قديسين غيره سيتم تطويبهم قريباً وستعلمون كم هي خصبة كنيستكم المقدسة بهؤلاء الشهداء والله لم يوقف نعمته عنا في وقت من الأوقات.

لقد حددنا تذكاراً لهذا القديس الشهيد يوم ١٠ تموز من كل عام وهو اليوم الذي يصادف ذكرى استشهاده.

أمر آخر:

نحن لم نجلب الناس من بعيد من آلاف الكيلومترات للتسلية، نحن في هذا الاجتماع سألنا أولئك الأبناء عن مسؤولياهم تجاه الكنيسة وما الذي يعملونه من أجل الرعية؟

هذا السؤال يُطرح علينا جميعاً حاضرين كنا أم غائبين:

نحن اعتدنا أن نضع الهم على أكتافنا كما نضعه على غيرنا، كيف تربون أطفالكم؟ وما هو السلوك الذي به تتعاملون مع أزواجكم في البيت أمام

الأطفال؟ هل علاقتكم تقوم على المحبة لأنه في حالة العكس فإنهم بلا شك سيكرهون الحياة الروحية وهذا نتيجة منطقية لأجواء أُسروية مشحونة بالنزاعات والخلافات وبدون محبة. هل ترددون في بيوتكم مع أطفالكم "أبانا الذي في السموات...".

بعضكم يقولها في الكنيسة ولكن معظمكم لا يتلوها في الكنائس لأنه لا يعرفها وأنا أقرأ وأشاهد ذلك على الشفاه. أنا لا أعرف ماذا تفعلون وتعملون في بيوتكم؟ هل تتعلمون وتعلمون كيف يتم الأكل فقط؟ لمن تتركون أبناءكم إذن؟ فالمسؤولية تقع عليكم في البيت وخصوصاً على سيداتنا الأمهات. أسمع عن بعض الانحرافات التي تحصل في بيوتنا وربما كان ذلك بتشجيع وبدون ممانعة من الأمهات والحال ذاته مع الآباء" ويل لنا إذا القينا أولادنا إلى عالم الشر".

قال ابن سيراخ النبي:

«لا تمدح إنساناً في حياته، امدح إنساناً بعد وفاته لأن الإنسان يُعرف في أولاده».

الشجرة التي تحت يدك من يسقيها إن لم تسقها أنت، وبيتك مَن يبنيه إن لم تبنه أنت، وأية شجرة غيرها ستسقي وأي بيت غيره ستبني؟

نحن نعيش بنعمة الله في هذه البلاد وهذا ما يميز بلادنا لذلك وُلد المسيح له المجد فيها وليس في الصين أو ألاسكا لأنه يريد تمجيد اسمه فيها.

هنا أسأل سؤالاً مهماً: ماذا يجمعني مع أخ انطاكي في أوستراليا؟

يجمعني به إيمان كنيستي الأرثوذكسية وانتمائي للكرسي الانطاكي. وكل ما يختلف هو اللغة. إنها في كثير من الأحيان لا تجمع بمفردها. في نهاية

المطاف ما يجمع رغم عدم المعرفة الشخصية هو الإيمان الواحد وهو ما يجب تنميته. وهذا يبدأ في البيت. ثم أُظهر بالتالي تقصيرنا نحن أيضاً بعد الآباء والأمهات وسنبقى مقصرين إلى الأبد ولا نستحق كلمة يعطيكم العافية ولكن علينا أن لا ندخل في سبات أبدي وأن لا نُكتّف أيدينا، نحن جميعاً في هذا السلوك نسير وهو أفضل من لا شيء.

كل واحد يقوم بشكل محدد بواجبه، الكنيسة ليست شخصاً أو اثنين. الكنيسة عائلة: أم، أب، وأولاد يعيشون بكرامةٍ عندها تكون العائلة متكاملة.

إذن كنا في اجتماعنا هذا في البلمند نشدد على التعليم ودور الأسرة ودور الكنيسة فيه.

إن لم تزرع لا تحصد لذلك قررنا أن نفتح معاهد لتخريج كهنة في الأماكن التي تحدثتُ عنها في كرسينا الإنطاكي وفي مغترباته. غيرنا ليس أفضل منا ونحن يجب أن نسعى للكمال.

آخر شيء بحثنا فيه هناك وكان لأجله السرور يعتمر الوجوه التي كانت مشاركة في هذا المجمع ألا وهو قرارنا (ببناء قرية جامعية في جامعة البلمند). وقد وضعنا حجر الأساس لها بفرح غامر وهدفنا في ذلك إيجاد أمكنة لإيواء المنتسبين إلى جامعة البلمند التي تتوسع تدريجياً وبشكل مدروس.

يا أحباء، في ختام لقائي معكم لا أستطيع أن أصف لكم مجريات ودقائق هذا الأسبوع لأن ذلك صعب، أنا أعطيتكم بعضاً من الجو العام لكي تفتخروا بكنيستكم. وليس لأحد الفخر إنما الفخر دوماً موجه لله عز وجل.

أقول إن بناء جامعتنا البلمند تم بأموالنا الذاتية من إخوة لكم من أبناء

كنيستكم ومن إخوة لنا من كنائس شقيقة وأديان أخرى.

وهنا أقول باعتزاز إننا دفعنا من صندوق الكنيسة مبلغ سبعة ملايين ليرة سورية ثمناً لأرض الكنيسة في جرمانا وقريباً ستقام هذه الكنيسة. نحن وحدنا نقوم بكل مطالب الكنيسة وعلينا جميعاً المساهمة في أمثال هذه المشاريع سواء كنا من المستفيدين منها أو لا. مثلها مثل هذه الكنيسة التي بنيت هنا من أموال أشخاص من أمكنة أخرى ولا يُصلون فيها فيما أنتم تصلون فيها. طبعاً نحن في الختام عائلة واحدة كما كنا في اجتماع مجمعنا المقدس الذي تكلمت عنه، وبعد ثلاث سنين سنعقد اجتماعاً موسعاً ويكون أكبر من الذي تحدثنا عنه وسيحضره ممثلون عن كل العالم الانطاكي الأرثوذكسي.

أعود إلى التعليم فعليكم أنتم في بيوتكم المهمة الأولى في هذا الصدد. والسيدات هن من يعمِّرن البيوت لذلك عليكنَّ أن تحملن كلمة الله إلى أولادكن وهكذا فليكن الرجال.

وأود أن أختم حديثي بقولي إننا عندما نصلي في جلسات المجمع كنا نصلي لكم جميعاً وأتمنى أن تشملنا جميعاً شفاعات القديسين الجدد وأخصهم الخوري يوسف لكي يزوّد هذه العائلة الأرثوذكسية بشفاعاته. كونوا ذوي قلوب قوية فالأرثوذكسية ليست ابنة الأمس وليست مستوردة.

✞ ✞ ✞

الله ليس كمثله أحد*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

لم يبق لي الكثير لكي أقوله. كنت أحب أن أذكر أمرين فقط بإيجاز: الأمر الأول هو أننا في هذه الجامعة نمر من مرحلة التأسيس إلى مرحلة التركيز والترسيخ، لذلك ما سمعتموه من عزيزنا الأستاذ غسان يأتي ضمن هذا الإطار. ونحن سعداء جداً أن ننعم بالقوى التي تنضم إلينا منذ الآن، هذه القوى تتمثل بأن لدينا عنصراً جديداً هو رئيس الجامعة الجديد الدكتور ايلي سالم. الأستاذ غسان تكلم وكأنه يبرح هذا المكان، أو يبرح الجامعة. هذا غير صحيح. سيكون غسان تويني هو النائب التنفيذي لرئيس مجلس الأمناء في هذه الجامعة، بكلام آخر سيبقى.

الأمر الثاني الذي أود قوله إن هذه الجامعة، أيها الأحباء، قامت على بذل جهود كثيرة ولا تزال تقوم على جهود كثيرة أيضاً. ونحن نذكر اسماً أيضاً مباركاً، كلما ذكرنا هذا المكان وهو اسم يوحنا الدمشقي. ذلك أن يوحنا الدمشقي من منطقتنا هذه وكان صاحب كلمة، كان يعرف أن يشكر الله وأن يسبحه، كان يعرف أن ينطق ويقول بأننا كلما رسمنا أيقونة فنحن لا نمثل الله، الله ليس كمثله أحد وليس كمثله شيء. إذا كنا نصور المسيح فلأنه في عقيدتنا أتخذ طبيعتنا البشرية.

يوحنا الدمشقي يقول لنا التقليد إن يده قُطعت لأنها كانت ممتدة، وظن

*تدشين كلية العلوم الإنسانية في جامعة البلمند، ١٩٩٤

البعض أنها ممتدة أكثر من اللازم. أذكر ذلك لكي أُذكّر بهذه المناسبة يداً امتدت الى هذه الجامعة ولا تزال تمتد أعني بها يد العزيز عصام فارس. إننا نسأل الله أن يجعل من يد عزيزنا عصام دائماً قوة إلى الخير. وقد ذكر الأستاذ غسان قبلي الكثير مما أعرفه ومما لا أعرفه عن الحسنات التي يصنعها. لكنني أعرف شيئاً واحداً أنه إذا كان البناء المادي هنا يقوم على أعمدة ترونها فإن بناء هذه الجامعة أيضاً يقوم على مثل هذا العمود، عصام فارس. من هنا يسعدني باسم كنيستنا وباسم هذه الجامعة المباركة أن أقلده وشاح القديس يوحنا الدمشقي.

✞ ✞ ✞

تكريم الدكتور قسطنطين زريق*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين.

جميع الأحباء الحاضرين هنا، إخوتي المطارنة

حديثي خاص وسيكون موجزاً لا لشيء إلا لأن الموضوع لا يمكن أن تستوعبه كلمات. وأخاف من أن تقاس كلمتي بعدد الكلمات التي سأحاول أن أقولها.

موضوعي هو الدكتور قسطنطين زريق. الدكتور قسطنطين زريق واحد أحد، أما أنا فواحد من التلاميذ عند الدكتور قسطنطين زريق، عرفناه معلماً في الدرجة الأولى إلى جانب العلم الواسع المعترف به لا محلياً فقط ولكن عالمياً، أنتم تعرفون انه عندما اختيرت لجنة عالمية لكتابة التاريخ اختير واحد من لبنان من أجل أن يكون عضواً فيها هو الدكتور قسطنطين زريق. وعرفناه أباً لتلاميذه، أذكر دائماً اللهجة الحنونة التي كان يستعملها دائماً وليس عنده سواها لأن اللهجة إجمالاً تصدر عن القلب وقلبه لم يكن يوماً للطلاب إلا قلب الأهل، لذلك كان دائماً حنوناً. أعرف من فضائله الشيء الذي ذكره بولس الرسول "العلم وحده ينفخ" يجعل الإنسان يتكبر.

المحبة وحدها تبني لأنه يمكنك بالعلم أن تهدم الناس وكثير من المتعلمين يهدمون الناس بعلمهم أما إذا لم يُحب الإنسان فهو لن يتوصل إلى البناء، العلم

*السبت ١٦/٧/١٩٩٤

وحده ينفخ والمحبة تبني.

معلمي الدكتور قسطنطين هو الذي بنى الكثيرين من طلابه كأمثالي ودون بنيانه أين كنا؟ كان يمكنني أن أكون شيئاً آخر. الدكتور قسطنطين لم يتنكر يوماً لكنيسته وللكرسي الانطاكي المقدس، إن في الخفية أو في العلانية وإقراره بأن هذا الانتماء يزيده قيمة. بالعكس، كان دائماً ابن كنيسته لأنه يعرف كما سمعنا الآن أن هذه الكنيسة للجميع وبدون استثناء وفي كل الأوقات مهما حلك الزمن ومهما اسودّت الأيام.

بعدئذ هنالك شيء لا يعرفه الناس كلهم. خلال حوالي عشرين سنة بعد أن كنت طالباً وكان الدكتور قسطنطين زريق أستاذاً كنت مديراً وكان رئيس مجلس أمناء فهو كان يدير المدير وهو كان يرشد المدير لأن المدير آنذاك كان في أول عمره وفي أول شبابه، ويجرِّب تجارب كثيرة وكأن فضيلة الدكتور قسطنطين هي التي تحل محل بعض الرعونة التي كان يرتكبها المدير من جرّاء شبابه.

رافقته واسترشدته دائماً في كلية البشارة. وهناك من يعرف من الحاضرين انه كان أيضاً في مجلس أمناء البلمند، في المجلس الأول لأمناء البلمند قبل أن توجد الجامعة، ولكنه هو الذي رفع الصوت عند باب كنيسة الدير في السنة ٦٢ و٦٣ مخاطباً إيانا ككنيسة وقال إن في العلم تحدٍ دائماً. والكنيسة الأرثوذكسية لا يليق بها أن ترفض التحدي وتالياً أن لا تواجه العلم، فكان أول من حثّ لكي تكون هذه الجامعة التي نحن فيها اليوم.

الدكتور قسطنطين لا يزيده وسام القديسين بطرس وبولس شيئاً ولكنه اعتراف صريح من جهة الكنيسة الأرثوذكسية ومن الكرسي الانطاكي المقدس

بشخصه. واعتزازنا بذلك الشخص وهو أيضاً اعتزاز بــأن عنــدنا الــدكتور قسطنطين زريق. أطال الله في عمره وجعله دائماً كما كان المثال الذي يحتذيــه كل أستاذ جامعي من درجة مميزة.

✞ ✞ ✞

البيت هو الذي يغذي المدرسة*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد، آمين

أيها الأحباء، هذا الوقت هو وقت نتذكر فيه أشياء كثيرة، منها أنه عندما ينتمي إنسان إلى عائلة يتعرف قبل كل شيء على ماهية هذه العائلة ومن هي؟ وأختصر الجواب لأقول إن أساتذتنا، وإن طلابنا هم مرحلة من مراحل الآسية التي عمرها ١٥٠ سنة. ١٥٠ سنة هذه مسؤولية كبرى، كان فيها شبان وصبايا وكان الأساتذة يستقبلونهم لكي يعطوهم ما عندهم من المعرفة لأن المعرفة نور.

الآسية كانت خلال قرن ونصف منبعاً للنور لأجيال كثيرة. من هنا فلينظر كل واحد منا إلى هذا الصرح الشامخ ليجد أنه حجر من حجارته. تلك الحجارة التي تتحدى الزمن والتي إذا ما رُصفت صنعت هذا الصرح.

هنالك فرق بين أن يأتي إنسان إلى مجرد خيمة وينظر إليها أو أن يأتي إلى صرح كبير كالآسية حيث يحس بأنه اصبح في صرح كبير ويتصرف التصرف اللائق ككبر هذا الصرح بما يزيده بهاءً على بهاء.

مائة وخمسون سنة. هذه الـ ١٥٠ سنة أنتم من يجعلها ١٥١ أنتم أصحاب الـ ١٥١ سنة، الأساتذة، الطلاب، الإدارة. أنتم تسجلون سنة جديدة أتمناها أن تتكرر وهذه السنة هي مرحلة تاريخية مثل المراحل التاريخية التي

*دمشق، تكريم المتفوقين في مدرسة الآسية، السبت في ١٩٩٤/٩/١٠

سبقتها. هذه مسؤولية عظيمة وإن شاء الله يستحق كل واحد من الذين ذكرت أن يكون هذا الحجر الجيد في البنيان لا ليعطي قوة لهذا الصرح العظيم فقط بل ليعطيه أيضاً جمالاً وبهاءً.

وتذكرون أن المدرسة لم توجد لتحل محل الأسرة وهذه هرطقة عند من يقول بها إذ لا شيء يحل محل الأم أو الأب أو الأسرة. إذن حذار! وأنا أتوجه إلى أبنائنا الأهل قائلاً: حذار من أن تستقيلوا من مسؤولياتكم في البيت. فالبيت هو الذي يغذي المدرسة. من بيوتكم يُصبح للآسية أسرة تربوية فأنتم من يقدم ذلك لها فاحذروا من إهمال أسركم بأية طريقة من الطرق لأن التيار السائد اليوم في كل العالم وكأنه يطلب من الأم أن تتخلى عن دورها كأم وهكذا بالنسبة للأب وكأن العائلة لم تعد موجودة. ولكن الحقيقة الواجبة عكسية تماماً. فالطفل يأخذ هويته من أهله وكذلك يتعلم مما يشاهده في أسرته أولاً ومما يسمعه. ويكون ذلك أولى الأمثولات التي يتعلمها.

غير صحيح ما يقال إن المدرسة منقطعة عن البيت وبالتالي ينقطع ابن البيت عن أسرته عند ذهابه إلى المدرسة. في البيت يتعلم الفرد ويتعرف إلى شخص يدعى أباه أو أمه وإخوته بدونهم يعيش غريباً. فبدون الأسرة لا تتم هذه المعرفة والعيشة المشتركة.

الوطن لا يمكن تصوره إلا كأسرة كبيرة، نحن نريد أن نعيش بين جماعة نشعر أننا نحبها وتُحبنا. فالدنيا جهنم إذا لم يكن الإنسان محباً ومحبوباً وهذا يحصل في البيت قبل كل شيء. وفي السبق، لماذا تُقام السباقات، إذا نظرنا إلى التاريخ وما قبل التاريخ فهناك سباقات، ما هو الدافع الداخلي الذي جعل الناس يخترعون السباقات وفيها يعرف الإنسان نفسه إذا ما نظر إلى ما حوله وليس إلى

المرآة.

وفي السباقات تنافسٌ بين المتسابقين ليصلوا في النهاية إلى نفس الغاية وصحيح أن كل الناس لا يصلون أولاً، لكن غير صحيح أنه لا يكون الأول أولاً. هكذا في كل سباق وفي الحياة وفي مدرستنا الآسية.

اليوم أود أن أقول لأولادنا المتفوقين:

أنتم في بيوتكم، يا أحباء، هنالك جماعة تتعب لأجلكم لتكونوا في بيوت تقدم لكم ما يتاح من الوسائل حتى تكونوا عاملين، حتى تتمكنوا من الذهاب إلى المدرسة، هناك أناس يتعبون لأجلكم لأنكم تعزية لهم عند نجاحكم.

وعندما تذهبون إلى المدرسة تجدون أسرة جديدة تصرف من وقتها ومن حياتها من أجلكم لتصبحوا من عائلتها.

بعد سنة من العمل إن شاء الله هؤلاء أيضاً تعطوهم فرحاً استثنائياً بتفوقكم. كلنا نعتز بأن نتكلم عن المتفوق. نحن لا نكره حتى غير المتفوق لكننا نسأل الله أن يقويه ويتمم مواهبه فيه. أما المتفوق فهو فرحنا وفرحنا القلبي العميق، نحن اليوم نجتمع من أجلكم كما أن الأب والأم يشتغلان ويتعبان من أجلك أنت ليتمتعا بحصيلة عملك. المعلمون يتعبون ليعلموك.

أيها الأحباء، أنتم المدرسة ولكي تكون لكم، أنتم تصنعونها. المدرسة لكم وتعود لكم في النهاية. هي ليست للإدارة وليست للمعلم ولا لصاحبها هي للطالب الذي يأتي إليها لكي يتعلم فيها. أيها الأحباء، ليعرف كل واحد منكم هذه الحقيقة.

يُسعدنا اليوم أن نكتشف ما يفرحنا وهذا ظرف مفرح أن نجتمع بكم. وأود أن أقول لكم إن الذين سمعوا بالتفوق و لم يقدروا أن يكونوا هنا ليس من يكره المتفوق إلا الحسود وفي المدرسة ليس من حاسدين لأننا نربي متنافسين وليس متحاسدين.

وفي كنيستنا المقدسة أبناء أحباء هم أيضاً آباؤكم وإخوتكم وهم يقدمون لكم من أتعابهم كما تم في هذا اليوم المجيد.

المتفوقون فتحوا أبواب افتخار لنا. يفتخر الشخص الذي يسمع بتفوقهم، يفتخر بحق عندما يعرف ويستنير أن أسرته هي أوسع بكثير من الأسرة الضيقة التي خُلِقَ فيها. ونحن الآن بواسطة نتيجة أبنائنا الطيبة هذه نكتشف أن عندنا آباء وأمهات وإخوة أكثر مما نعرف. هم يحبون النجاح لذلك ساعدونا وهم يحبون الآسية ابنة الـ ١٥٠ سنة. هذه العائلة أكبر بكثير مما نظن.

بارك الله بكم. وإن شاء الله يكون عندنا في كل سنة اجتماع مماثل، الشكر للإدارة وللأساتذة وللأسرة التي تحاول تيارات كثيرة تفجيرها وتود ذلك في هذه الأيام وفي العالم كله.

أود أن أشكركم جميعاً وأسأله تعالى أن يجعلكم فرحين بمن ولدتم وبمن علمتم ودرّستم، فرحين بمن تفوقوا آمين.

✣ ✣ ✣

الرجل يُعْرَف في أولاده*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين.

في هذه الخدمة الشريفة نقول إن الموت عندنا مناسبة نـذكر فيهـا أن الإنسان لم يخلق للموت، لكنه خلق منذ الأساس للحياة. لم يُخلق ليـدفن بـل ليتجلى. وكما أن كل شيء في هذه الدنيا ينقلب في فترةٍ من الفترات، فإن هذا الإنسان الذي أعطى أقصى وأفضل ما يستطيع، أعني حياته، قد أدخل في الحياة عنصراً هو ذاته يميتها.

الاعتقاد بالقيامة بشارةٌ رددها وشدّد عليها الأخ الراقد بالرب، عميد مطارنة الكرسي الأنطاكي، المطران بولس الخوري، وكان من خيرة مَن يوصل للناس معنى الكلمة. عُرِفَ بأنه خطيب وعُرِفَ بأنه فصيح وكان من الفئة التي تزيّن كنيستنا بفصاحتها، إلى جانب رفاقٍ سبقوه إلى عالم الخلود، وهو الآن يتبعهم وصوته لا يزال يرن، لست أدري إن كان في آذاننا أم في أذنيّ أنا الذي عايشته الوقت الطويل في هذا المكان، في بيروت، في كنيسة مار جرجس حيث كان يخدم، وحيث كنا نسبح الله على صوته وكلماته. لا يُمكنني أن أختصر تاريخ ما يقرب النصف قرن ببعض الكلمات، فاسمحوا لي أن أقتطف بعض الزهرات من تاريخ المثلث الرحمة أخينا المتروبوليت بولس.

وُلِدَ هذا الإنسان في بيتٍ تبارك بالنعمة الإلهية. وإذا كان الناس يقولون اليوم بالتخصّص، فإن هذا التخصّص ـــ في ما يخص الكهنوت ـــ يكون بحلول

* كنيسة القديس نيقولاوس، بيروت، تأبين المرحوم المطران بولس الخوري، الخميس ١٩٩٥/٧/٦

نعمة إلهية وبدعوة من الله. وهو دعوةٌ لا وظيفة. وهذا الراقد بالرب كان ابناً لكاهن. سمعَ الكثير من ذلك الأب وتربّت عائلته كلها على هذا الأساس في بيت حلّت فيه النعمة الإلهية فكانت خير عطية له. فكأنني أسمع ما قال الكتاب: «كيف يدبّر كنيسة الله من لا يربي بيته ويدبّر شؤونه جيداً؟» وكأنني أسمع قولاً موجهاً إلينا جميعاً: «لا تمدح رجلاً في حياته، امدحه بعد مماته، لأن الرجل يُعرَف في أولاده، فهم الذين يشهدون من كان هو وشهادتهم شهادة حق وواقع».

عرفت القسم الأكبر من إخوته شخصياً وعرفت أنهم كانوا دائماً يقدّرون النعمة التي ارتضى الله أن يمنحها إلى عائلتهم. المطران بولس عاش الكهنوت كلمةً نقلها إليّ قرابة السنة ١٩٣٧ أحد المبتدئين في أبرشية بيروت فقال: كنا نطوف على الأديرة أثناء الصيف، وكان الشخص الذي يستقبلنا أحسن استقبال ويجعلنا نعتقد بأننا نحن مستقبل القيادة الروحية في الكنيسة، هو الأرشمندريت بولس الخوري الذي كان يتفاءل بالمستقبل وينظر إلى الشبيبة بعين الرضى والتشجيع. والأمر الثاني الذي أود أن أذكره عن حياته الإكليريكية هو أنه لم يكن أهدأ شخص في الكرسي الأنطاكي بل كان يُحارب الهدوء لأنه كان ذلك الأديب الكبير الذي كان يحفظ ما قيل من أن ركود الماء يفسده، فإن سال طاب، ولذلك عرف الكثيرون من الإكليريكيين أن يحبوه كما عرف الكثيرون منهم أن لا يحبوه.

عاش المطران بولس مرحلة كنسية بمنتهى الدقة كاد واحدنا فيها لا يعرف أين يتجه ولا يعرف ما هي هويته الروحية، لكنه استطاع أن يتجاوزها لأنه كان ابناً صادقاً للكنيسة. قد يختلف معك في الرأي لكنه يود، قبل كل

شيء، أن يعبّر عن فرحه بلملمة أعضاء الكنيسة. أنا شاهد شخصي على ذلك: رافقته إلى مرجعيون وسهرت معه ومع بعض السادة المطارنة في أول ليلة قضيناها في المطرانية، يوم ظنّ البعض أن في وجوده هناك نوعاً من التساهل بينما كان قصده غير ذلك. فالمطران بولس من القلائل من لابسي الجبّة الذين دخلوا الجوامع مزات أعرف منها واحدةً هنا في بيروت عندما وقف خطيباً في الجامع الكبير وأحبه الناس لهذه الوقفة. كانت رؤيته: إنه لا يجوز أن ننظر إلى الناس كفئات منقسمة بل علينا أن نكون معاً في جميع الظروف، وليس ضرورياً أن يُحكَم بالموت على من يخالفني الرأي. كان يرى أنه لا يوجد في لبنان من يجب أن نعزله أو نزيحه مثلاً أو نعتقد أن الله قد خلقه لبنانياً عن طريق الخطأ.

المطران بولس كتب الكثير وباستطاعة الجميع أن يقرأوه. لا أتعرض هنا إلى هذه الناحية بل أتعرض إلى ناحية أخرى هي أنه لم يكن محباً للمال. من أخطار الكهنوت ومن أخطار الحياة فعلاً أن يصبح الإنسان محباً للمال، وقد قال ربنا إنك كلما أحببت المال قَلَّتْ محبتك للناس. كنا نستغرب كيف كان المطران بولس يشبع من الطعام. كان متقشفاً في مأكله بصورة غريبة جداً في عصر نعترف أنه لم يكن عصر قناعة كما لم يكن عصر تقشف. سأله أحد الإخوة قبل رحيله بأيام معدودة، وكان مثلنا جميعاً يعتبره عميداً لنا عزيزاً علينا: ماذا يبقى في الحياة؟ وأجابه قائلاً: عندما تصل إلى حيث أنا الآن، لا يبقى لك من الحياة إلا أن تأمل بأن تغمض عينيك على عين ترنو إليك بحنان. كان شاعراً بلا شك وكان له طبع الشاعر.

إنني، أيها الأحباء، أقدم التعازي باسم المجمع المقدس وباسمي الشخصي وباسم الكهنة إليكم جميعاً، وأشكر الذين تكرموا بتمثيل رؤساء الجمهورية

ومجلس النواب والحكومة، وأشكر بصورة خاصة جميع من أتوا يمثلون أنفسهم. كما أشكر الإخوة الكهنة والاكليريكيين من الكنائس الشقيقة: رحمة الله على المطران بولس الخوري الذي سار في طريق الخلود وعوضنا بسلامتكم، آمين.

✞ ✞ ✞

احترام الآخرين واجب*

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

نجتمع، أيها الأحباء، كما قال الأب فكتور شلحت في بدء هذا الاجتماع، بمناسبة أسبوع الصلاة من أجل الوحدة. لماذا الصلاة من أجل الوحدة، ما المبرر لها؟ المبرر هو أن هنالك شيئاً مهماً في حياة المسيحيين هو وضع كنيستهم. وضع الكنيسة هو أننا، مع أن الرب يسوع واحد فقد كان عنده اثنا عشر رسولاً، لا نعرف أين ذهبوا وكيف بشروا وبأية لغة وبأية طريقة. هذا التفاصيل لا نعرفها، ولكننا نعرف أن الرب كان واحداً وأن الرسل كانوا أكثر من واحد. وليُسمَح لي أن أقول إن الرب يسوع لم يُعيّن نائباً عنه، على أساس أنه هو الحاضر الذي إذا غاب كان كل شيء غائباً. الكنيسة ليست كنيسة في غيابه. ليس من شيء يمكن أن يُدعى مسيحياً إذا غاب عنه المسيح مباشرة. أقول ذلك مؤمناً أنني أنقل التاريخ تماماً تماماً وأنقل الإنجيل.

هناك طريقتان، أيها الأخوة الأحباء، لكي نفكر بقضية الوحدة.

الطريقة العتيقة: وحدة الكنيسة هي أن يصبح الكاثوليكي أرثوذكسياً. هذه من نسج الخيال. علينا أن نُصلح تفكيرنا، الكاثوليك لن يصبحوا أرثوذكساً، والأرثوذكس لن يصبحوا كاثوليكاً، الناس لا يرجعون إلى أوضاع لها مبرراتها. الأرثوذكسي أرثوذكسي ليس لأنه غبي والكاثوليكي كاثوليكي ليس لأنه غبي، وكذلك فالبروتستانتي بروتستانتي ليس لأنه غبي. إنهم كذلك لأن

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، بعد الصلاة المسكونية «أسبوع الصلاة من أجل الوحدة» ١٩٩٦/١/١٩

لديهم جميعاً تمسّكاً بأشياء يعتقدون أنها هي الحقيقية وهي التي تربطهم بربهم يسوع المسيح. لا تظنوا أنه يوجد هناك مسيحي بالكامل أو نصف مسيحي. وفي نظري، علينا الانتباه بأن نربي أنفسنا بالدرجة الأولى على أن نحترم الآخرين الذين يلفظون اسم المسيح ويتمسكون به. هذا هو الشيء الأول الذي أقوله. أتظن أنك من الماضي تجمّع الناس وكأنك تريد أن تجمّع قبيلة وتكبّر قبيلتك وعددك؟ هذه ليست النظرة التي تحصل من خلالها الوحدة. هذا كله خطأ. كيف يتّحد الإنسان؟ لا أعرف ماذا يتصور الإنسان منا اليوم عندما يفكر ماذا سيحصل عندما نتحد. نريد الاتحاد، ماذا يعني ذلك؟ إنه لا يعني أن يلتصق الواحد بالآخر. لا يعني أن يتكلم الجميع العربية أو يتكلمون جميعهم اليونانية. لا، ليس صحيحاً. ما هو الصحيح إذاً؟ الصحيح أن يكون إيمانهم بالرب يسوع هو الإيمان الذي ستقرأونه الآن: أؤمن بإله واحد...الخ. إذا كان الشخص يقول هكذا، فإنه حتى ولو تكلّم أية لغةٍ في العالم، أو قام بأية حركةٍ في العالم، أو صلّى بأية طريقةٍ يريدها، يكون مسيحياً مثلنا.

هذا ما نريد أن نتعلمه. ليس هناك «قولبة» في الكنيسة، لا نستطيع أن نعمل قالباً واحداً لكل المسكونة. كيف بشّر توما بالمسيح في الهند؟ كيف بشروا في الحبشة، وهنا وهناك؟ هل أخذوا قاموساً معهم وعلّموا الناس ماذا يجب أن يقولوا؟ لقد قالوا لهم: «قل من كل قلبك ومن كل نفسك إن ربك هو يسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي أتى ليخلّص العالم وأنه أقام كنيسة واحدة لا عشرين». لم يؤسس عشرين كنيسة، وليس صحيحاً أن عندنا عشرين كنيسة. لذلك نحن الآن نصلي من أجل هذا الشيء. وقت الكلام محدودٌ اليوم ــ هكذا قيل لي ــ وسأكون موجزاً.

اليوم، ماذا نقدر أن نعمل. في الماضي كان الإنسان كاثوليكياً بقدر ما يكره الأرثوذكسي. وكان الأرثوذكسي أرثوذكسياً بقدر ما يكره الكاثوليكي وهكذا. كان السبّاق هو الذي يكره الآخر أكثر، وهو الذي يحقد أكثر، وكان كل واحد منا يعتبر الآخر عدواً. لا يجوز أن نتصرف مع الآخرين على هذا الأساس، فلو صرنا كذلك لما وُجِدَ أي واحد غير أرثوذكسي في هذه الكنيسة. لقد تجاوزنا هذه الأشياء. أول شيء علينا أن نتعلّمه هو أن المسيح لا يوجِد أعداء. الذي قال: «أحبب عدوك» لا يَسمح لكَ بغير ذلك. وأنت لست مسيحياً إن كُنتَ تكره أحداً ولو كان ذلك باسم المسيح. تعلّم أن تحب الناس خصوصاً وأننا نعيش بعضنا مع بعض ونرى بعضنا بعضاً. علينا أن نتعلم أن يُحب الواحد الناس حتى يَدَّعي أنه مسيحي. إذا لم يحبَ الناس فمسيحيته كلامٌ بكلام. كان المسيحيون يعرفون كيف يتقبلون الاضطهاد. كانوا يُكرَهون ولم يكونوا يَكرَهون. ولما صار بعض المسيحيين باسم المسيح يَضطهدون، حصل انحدارٌ في حياتهم الروحية. هذا حصل في التاريخ. أعود وأقول: نريد أن نتعلم كيف يجب على الواحد أن يحب الثاني، نريد أن نمارس المحبة. علينا أن نعرف أن الشخص الثاني هو شخص مثلي تماماً وعلي أن أحبه. من أجل ذلك علينا أن نكف عن التقاتل والتشاتم واستغياب الآخر. هذه لا تفيد شيئاً، وقد عشناها، الأمر الذي فتتنا وهزّأنا وجعلنا منقسمين. كلمات قليلة، لكن المضمون في نظري هو الشيء الأساسي. الشخص الذي أمامي يجب أن يكون همّي كيف سأتعاون معه؟ نحن في منطقة وُلِدَ فيها المسيح، وفي منطقة معظم سكانها لا يسمعون باسم المسيح أو لا يريدون السماع به. يجب أن نتعاون حتى يُحكى عن اسم المسيح. هذا شيءٌ مهم. أنا أقترح بالفعل بعض الأمور:

أولاً: نحن نحترم بعضنا بعضاً، علينا أن نتعلم أن يحترم بعضنا البعض الآخر. يا أحباء، كي نعبّر عن احترامنا لبعضنا. نحن نجتمع والمطارنة يجتمعون ويتكلمون. نحن عندنا مشكلة، وهي أنه على بعض المستويات، هنالك البعض منكم ومن الكهنة والرهبان، يُزاودون علينا. يُزاودون عليّ بالأرثوذكسية، وعلى سيدنا زكا بالأرثوذكسية السريانية، وعلى سيدنا مكسيموس بالأرثوذكسية الكاثوليكية. هناك أناس يزاودون علينا، ونحن أصبحنا درجة ثانية.

نحن متفقون، على أن كل واحد معمّد على اسم الآب والابن والروح القدس هو مسيحي. الذي يقول غير ذلك هو شاذ عن كل الكنائس، شاذ عن الإيمان المسيحي، والمعمودية لا تُكرر. لا يتعمّد الواحد مرتين. الذي يقول لكَ سأعود وأعمّدك ليس مسيحياً. انتبهوا إلى هذه الأمور.

ثانياً: في بعض الكنائس يُلزمون المرأة التي تتزوج أرثوذكسياً أن تربي أولادها حسب تعاليم كنيستها، وهي إجمالاً الكنيسة الكاثوليكية. نحن متفقون على أننا في وضع وفي بلاد من الطبيعي فيها أن تتبع المرأة كنيسة زوجها. نحن متفقون على هذا الأمر، ومَن يخالفه يخالف روحنا. البطاركة متفقون على هذا الموضوع، ومن الحق أن أقول ذلك حتى لا يُزاود الآخرون. التي تتزوج الأرثوذكسي لا يعني أنه يجب أن تعمل طابوراً خامساً في العائلة. والعكس صحيح، الأرثوذكسية التي تتزوج تتبع كنيسة زوجها.

ثالثاً: نحن ليس عندنا مناولة أولى. هذه ليست من عندنا. عندنا يتناول الطفل المعمد فور معموديته. فمِن أين أتت هذه؟ أتت من كنائس في الغرب، طريقتها في التعامل مع الأسرار المقدسة أنها تؤجل المناولة. هذا الشيء ليس من تراثنا.

إذاً، رجاءً يا أحباء، لا تضعوا أشياء باسم المسيح لا علاقة لــه بهـــا. المسيح لم يشتم أحداً ولم يضرب أحداً ولا أهان أحداً. بل بـــالعكس عنـــدما وضعوه على الصليب قال: «يا أبتاه، اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون».

بشأن المناولة: نحن نصلي من أجل المائدة الواحدة، وبالفعل تحدث. إنها تحصل عملياً. ولكن يا أحباء، لكي نكون صادقين مع الجميع، نحن لسنا متفقين بعد على كل شيء، وهذا يجب أن يظهر. نطلب من الاكليروس والرهبان أن لا يحرجوا غيرهم. ولكن من أجل شعبنا ليس هناك مَن يقف أمام الباب ويسألك عن هويتك أرثوذكسياً كنت أم كاثوليكياً. لم نصل إلى هذا المستوى.

اطلعوا على قوانينكم. تتقدم للمناولة عند الآخر عند الضرورة وبعد أخذ الموافقة. نريد في النهاية أن نحب بعضنا بالدرجة الأولى. اجتماعنا ليس له قيمة إلا إذا قررنا في أنفسنا أنه من الآن فصاعداً ليس عندنا مسيحيون أعداء. نحن لا نعادي الأشخاص، نحن لا نقاتل أحداً. هذه ليست طريقة مسيحية. ولكننا مدعوون جميعاً للسير في طريق واحد ليقال بحق إن كنيسة المسيح واحدة. ليس المسيح هو المنقسم، نحن المنقسمون لا هو. إن شاء الله سوف نعيش حتى نرى جو المحبة يسود، لأن المسيحية قبل كل شيء محبة.

✝ ✝ ✝

كنيستنا جامعية أما نحن فلا*

أيها الأحباء، أنا أنتمي إلى كنيسة لا تعتقد أن القول بأن لنا كنيسة ولنا إيماناً هو عيب. الانتماء موضوع يمتحن في كل ساعة، وامتحان الكنيسة الأرثوذكسية في هذه المنطقة يكون في أعمالها، في تعامل أبنائها مع الناس، في التخطيط لأي إنسان نريد أن يوجد في هذا البلد وفي كل محل. أنا أدافع عن الكنيسة ومن إيمانها تعلمت أن الله فوق أن يضعه أحد في جيبه، أو أن يحتكره. الله أوسع كثيراً من الطائفة ومن المذهب ومن الكنيسة ذاتها في معناها الجغرافي، أو المعنى المؤسساتي. أنا من كنيسة لم تتجاهل أحدا و لم تجهل أحداً. كانت دائماً تحارب أن تعتبر أحداً غريباً لدى أبنائها. ونحن نحارب الغربة. كل إنسان عندنا، ينضوي تحت عبارة "أبانا الذي في السماوات" هو أخ لنا غير غريب. هؤلاء الأخوة الذين ترون أمامكم نشأوا كما نشأ أسلافنا وكما سينشأ، إن شاء الله، الذين سيخلفوننا. إن من أحبه الله ليس لك الحق في أن تكرهه أنت. نحن نحارب الكراهية. نحارب الحقد. الكنيسة براء من الأنانية، من الكبرياء من التكبر.

أيها الأحباء، في هذا المناخ أقول كلمتين. أنا شخصياً مررت في مراحل ولم أصل إلى الوضع الذي أنا فيه بطريق المصادفة. إنما أحببت الشعر والعالم الذي خلقه لي. ثم كيف خلصت من الشعر إلى الرياضيات؟ لست أدري. لكنني لا أعتقد أن هناك حواجز فاصلة بين شيء جميل جداً في الشعر وشيء جميل جداً في التفكير، في المنطق، في الخط. درست الهندسة وعلمت الهندسة. وكنت أرى

* البلمند، ذكرى تأسيس الجامعة، ٢٩/٣/١٩٩٦

متعة في النظر إلى الخط الجميل وفي النظر في مسائل هندسية. كنت أحل المسائل الهندسية فأتسلى وأهرب إليها من الجو الذي كنت أعيش فيه.

وعندما وصلت إلى هذه المرحلة، كنت أنظر إلى الكنيسة فأحبها من خلال رجالها. الكنيسة كلمة. الرجال هم الواقع. كنت أرى أننا بعيدون جداً عن تغذية شخص يهمه الخط، الشعر، السطر، الأدب. وكنت أخاف أن تتسلط علينا فكرة التكرار كما هي الحال في كثير من الأديان وفي كثير من المذاهب. لذلك، كان علي أن أقاوم رئاستي الروحية. وهذا غير مسموح به ولو أردت الذهاب إلى الجامعة. في الجامعة الأميركية في بيروت كان هناك إنسان واحد يلبس الجبة هو أنا. من هذه الناحية كانت عندي صفة مميزة ومميزة بالنسبة إلى كل الطلاب والطالبات. في ذلك الوقت كان بدء حرارة احترام المرأة أو التأدب بالنسبة إليها. مثلاً إذا كنت قاعداً أن تعطيها مكانك ولا تدعها واقفة. في ذلك الوقت في الجامعة كانت البنات يسبقننا في كل شيء على أساس أنهن متقدمات. لم يكن أحد يتقدم على البنات ويتقدم على الشبان إلا واحد فقط وهو أنا. وكانت الحجة «إنني غير شكل».

لا يوجد غيري في رحاب الجامعة. هناك كنا نحتك بالفكر العالمي. وكنا نرى أشخاصا. الأستاذ غسان تويني كان معي على مقاعد الدراسة. كنا طلابا معاً ولسنين طويلة. وكنت أذكر أن من المباني التي هدمت في الجامعة كان يخرج شخص كنت أظنه مترفعاً هو الدكتور إيلي سالم يذهب من سيرج هول نحو مكتب الإدارة. طيلة عمري كنت أحسبه ذلك الإنسان المترفع وكنت أظن في كل الأحوال أن كل من كانت عنده شهادة أعلى من شهادتي هو بالطبع أعلى مني. هكذا كنا نظن. اليوم تعرفون الدكتور إيلي، أنا لا أعتقد أن الأمور

تأتي مصادفة. أنا أعتقد أن هناك إرادة إلهية جعلتني أراه في الجامعة وجعلتني أن أكون في الجامعة في تلك المرحلة وحدي وأن أكون أنانياً في إحداث هذه الجامعة التي نحن نعتز بأن يكون طلابها وطالباتها أساتذتها. أن تكونوا العاملين فيها وأن يكون أخوتي الحاضرون الذين يسألون الله أن يغدق عليكم جميعاً البركات والنعمة الإلهية. هنا في الدير عندنا نظرة إلى الإنسان خاصة. نحن لا نعتقد أن الإنسان هو إله في ذاته. نعتقد أن فيه صورة لله وأنه على مثال الله هو أيضاً. لذلك فإن الصورة تحتاج دائماً إلى الأصل. قال لكم الدكتور أيلي إننا نشأنا هنا. أنتم لا تعرفون كيف كان هذا الدير وكيف كانت هذه القاعة. نشأنا فعلاً بطريقة غريبة إلا من ناحية واحدة، لم يكن يوماً من الأيام إيماننا بالله مترجرجاً ولم يكن يوماً من الأيام تخطيطنا كبشر يحل محل التخطيط الإلهي. نحن نعتقد أن علينا أن نفعل كل شيء بتخطيط. ولكننا نعتقد أن لله إرادة في كل شيء نعمله. وكنا نتكل على هذا الشيء ولا نزال. ونتيجة ذلك ما كان قولا أصبح فعلاً. من الجامعة أيها الأحباء تعلمت أن الإنسان يجب أن يكون جامعياً وبعد الجامعة تعلمت أنه ينقصنا في لبنان أن نكون أقل من جامعيين. ينقصنا أن نتجاوز هذه المرحلة وأن نكون جامعيين بالنسبة إلى الطائفة بالنسبة إلى المؤسسات بالنسبة إلى المذهب بالنسبة إلى كل شيء. ومن هنا نشأ نقيض ما يقول البعض فينا لأنه لا يعرفنا ولكنه يقيسنا بمقاييس ليست مقاييسنا. نحن لم نؤسس مدرسة للأرثوذكس وحدهم. نحن لم نؤسس مستشفى للأرثوذكس وحدهم. نحن لم نبن كنيسة كي لا يأتي إليها إلا أبناء الطائفة. نحن لا نطلب هويات الناس الذين يأتون إلى أقدس الأماكن التي نحن نعتبرها كذلك. يأتي من يشاء فيرى هناك جماعة تنظر إليه، إن شاء الله، نظرة أخ وليس نظرة معاد. ليس صحيحاً أننا نحن في جامعة البلمند نضيف نقطة طائفية أو نقطة مذهبية إلى

الشيء الذي يحدث في أماكن أخرى ومن قبل أناس آخرين في لبنان. لم نكن في وقت من الأوقات كذلك. نحن نعرف أننا مسؤولون مثل غيرنا في بنيان هذا البلد وفي بنيان أي بلد وجدنا فيه. هذه مسؤولية علينا يجب أن نقوم بها. ولكن نحن لا نقوم بها من أجلنا. نحن لسنا قبيلة ولا نشتغل على هذا الأساس. في الجامعة الأميركية وبعدئذ عندما انطلقنا في حياتنا العملية كنا، من أقدم الناس الذين وجدوا أنهم إذا مارسوا إيمانهم فهذا يجب ألا يمنعهم أن يكونوا مع المسيحيين من كل الطوائف ومع الأخوة المسلمين أينما كانوا. لم نجد أن الإيمان يكبتنا ويحصرنا في ما نظنه خاصا بنا. وعلى النقيض تماماً، انطلقنا إلى كل هيئات الحوار على كل المستويات وفي كل العالم ولا نزال وسنستمر هكذا. فليعرف الناس أننا نميز تمييزا كليا بين مسؤوليتنا في خدمة نقوم بها وبين من نخدم. إن شاء الله لا تمييز. وأنتم ستكونون شهوداً.

كان عندنا خطان في ذلك الوقت، كان يهمني أن أعرف ماذا يريد كل واحد. ولكني كنت واثقاً من أمرين. الأول أنه يجب أن تكون عندنا عقلية منفتحة وكما قلت حتى ديني ليس ملكاً لي أنا ملك له ولذلك يجب ألا يستعمل في أي حال من الحالات على أساس أنه هو أداة للتفريق. ونحن في الكنيسة نعتقد أيضا، وهذا أمر مهم جداً، أن الخلاف في الرأي غير الاختلاف في الوجود. نحن لسنا أحكم من الله الذي يخلق كل واحد وحده والذي يخلقه مختلفاً عن الآخرين. الاختلاف شيء طبيعي. وفي الجامعة خصوصاً يجب أن نعتمد على هذا الأمر. نحن موجودون في الجامعة لكي يكون الاختلاف أمراً طبيعياً يتداول معه الإنسان في كل وقت. ما يفرق هو غياب المحبة وليس الرأي. الرأي قد يصبح قانوناً ملزماً قسراً. أما المحبة وحدها فتجمع ولكن بالرضى. تجمع لأن

الإنسان يقدر الآخر حق قدرة كما هو ويريد له الخير دون أن يفرض عليه نوعية الخير. أترك لله أن ينــــزل عليه نوره لكي يرى هو. أنا لست معلماً للآخر أنا مجار للآخر لست أكثر من ذلك.

الخط الثاني هو أن هنالك مجتمعاً في لبنان وهو المجتمع الجامعي الذي لم أشعر يوماً من الأيام أنه فعلاً كان فاعلاً أو كان يوصل ما لديه كفاية إلى المستويات السياسية والاجتماعية وما إلى ذلك وكأن لبنان بقي قبلياً على رغم وجود عدد من الجامعات. كنت أشعر أنه يجب أن نشارك في هذا المستوى الذي يمكن أن يحصل فيه حوار أعمق وأشمل من أي حوار وفي أي مستوى آخر. كنت أشعر ذلك وخصوصاً أن لا شيء في كنيستنا يمنع المسعى في هذا الحقل. على النقيض أشعر أن تقليد كنيستي يوبخنا دائماً أنها هي شاملة، هي جامعية، أما نحن كأبناء لها فلسنا جامعيين. من هنا نشأت فكرة الجامعة. في ما يخصني أنا حملتها من الجامعة حملتها من الحوار مع كل الأديان وكل الكنائس. والمعروف أنني قضيت سنوات طويلة وأنا أحمل ما يمكنني أن أحمل من كنيستي إلى كل الأوساط المؤمنة في كل العالم.

أعتقد أنه يجب أن ننظر إلى الأمور بالمطلق وليس من منظار تاريخي فقط. عندما أتيت إلى هنا كان الخط في الواقع أنه يجب أن نكون جامعيين. كيف نكون جامعيين؟ عندما يكون أبناؤنا جامعيين. وكيف يكون أبناؤنا جامعيين إذا لم تتوافر الوسيلة؟

✟ ✟ ✟

المنافسة ليست معاداة*

كنا جميعاً، بكل شوق وبكل فخار، نتابع المراحل التي مرت فيها المسابقات التي شاركت فيها غادة. وكنا نبتهج. كنت آنذاك في لبنان وكانت الاتصالات الهاتفية، وقبل النهاية، تأتيني من أشخاص مهمين جداً لكي يهنئوني كوني محرداوياً وهُم يعرفون ذلك، ولكننا انتظرنا إلى النهاية فكانت النتيجة بالفعل مفخرة لنا.

وأنا أحب، أيها الأحباء، أن أقول لسيدنا إيليا: إذا كان حضوري محدوداً بحكم وضعي، فمحبتي ليست محدودة تجاه أبناء ضيعتي. أنا سعيد جداً أن أكون من هذه البلدة، وأنا سعيد جداً أن تنتج هذه البلدة غادة وإن شاء الله الكثير من أمثالها في المستقبل القريب.

أيها الأحباء: إذا لم تدق الباب لا يفتح لك. والرب كما قال في إنجيله المقدس يُعطينا مواهب، لكن الموضوع هو: هل نأخذ مواهبنا بجدية؟ هل ننمي هذه المواهب؟ كل واحد منا موهوب ولكن ليس كل واحد بالضرورة، يسعى لكي تنمو مواهبه. هذا له ثمن، هذا يستدعي جهداً. إذا كانت عندك قطعة أرض خصبة ولم تفلحها، ولم تشتغلها جيداً ولم تزرعها فلا يمكن أن تعطي ثمراً. لذلك فأنا أحيي في عزيزتنا غادة الجهود المضنية الدقيقة التي سمعتم نتيجتها الإيجابية. هذه الدقيقة هي ابنة ساعات وأيام من الشغل والتعب والعرق والصيام والانتباه.

كثيرون من الذين يذهبون إلى الملاهي حتماً لم يجدوا غادة بينهم.

*محردة، تكريم غادة شعاع، الأحد ١١/٨/١٩٩٦

كثيرون من الكسالى حتماً لم تكن غادة رفيقتهم. الإنسان الذي يجب أن يعمل هو الذي يدرك أن الله أعطاه نعمة، وأن عليه أن ينميها. الله ليس مقصراً بالنسبة إلى أي واحد منا. أما نحن فكثيراً ما نكون مقصرين تجاه ما أُعطي لنا من مواهب. أتكلم اليوم عن غادة لأقول لصبايانا: ماذا ينقصكن؟ ماذا تفعلن؟ كل واحدة منكن يمكنها أن تكون مثل غادة. غادة قدوة لكل واحدة من صبايانا في هذه القرية. ولماذا أقول لكل صبايانا فقط؟ ولِمَ لا أقول إنها قدوة لكل شبابنا أيضاً في هذه القرية؟

هذا عصر يفتش الناس فيه عن السهل، عن العادي، عن المألوف الذي يراه الناس كل يوم. إنه عهد ترف، عهد ترهل. هذا لا ينتج شيئاً. هذا يجعلك اتكالياً تنتظر أن يتعب غيرك لترتاح أنت، لا أن تتعب أنت لكي يرتاح غيرك، لكي ينجح غيرك. أضعكِ يا غادة قدوة أمام شبابنا وأمام صبايانا من حيث ضرورة بذل الجهد وأن يكون الإنسان جدياً لا يقضي عمره في الكلام الفارغ والتصرفات التي لا تفيد شيئاً ولا تفيد أحداً، يمشي في الطريق التي تؤدي إلى الخير وتوصل إلى شيء ما. لا أن «نفتح أفواهنا» ونكون أبناء الشوارع والمقاهي والملاهي والكلام البطّال الذي لا يعطي نتيجة. الكلام لا يعطي إلا الكلام وليس أكثر من ذلك.

يبدو، يا عزيزتي غادة، أنكِ اخترتِ محيطاً مهماً. لا يمكنك أن تسبح إذا لم يكن هنالك ماء. يجب أن يختار الإنسان محيطاً فتعرف مَن هو. إذا كنتَ بين مضيّعي الوقت فأنت منهم، إذا كنت بين المستهترين فأنت منهم. أما غادة فبمجرد اختيارها محيط الرياضة اختارت الشيء الحسن. لماذا هو حسن؟ في الرياضة يعرف الإنسان أن كل نتيجة تصل إليها يجب أن تدفع ثمن الوصول إليها

وأن ذلك الثمن لكي تحصل عليه يجب أن تعطيه اهتمامك واجتهادك، وأن يكون عقلك مركزاً على الغاية التي تريد الوصول إليها لا أن تكون مبعثراً هنا وهنالك، فأحلى الأشياء إذا بعثرته لا يعود له طعم ولا يعود له معنى. وغادة أعطت من لحمها ومن دمها ومن عظامها ومن كل شيء فيها.

في الرياضة، وهذه نقطة مهمة، تعترف أنك لست وحدك في الساحة، هنالك غيرك وأن غيرك ليس أقل درجة منك، له الحق في أن ينافسك لا أن يعاديك. فالمنافسة في الرياضة ليست معاداة كما هي الحال في كثير من الأمور في حياتنا اليومية. غيرك له الحق الذي لك. وهو معادل لك لا تختلف عنه إلا بمقدار ما تعطي. أعط أكثر تنل أكثر. فالذي يعطي أكثر ينال أكثر لا شك في ذلك. هذا معناه أننا في الرياضة نتعلم أن نحترم الناس. الناس ليسوا طبقات. الناس ليس الواحد من درجة أولى والثاني من درجة ثانية والآخر من الدرجة العاشرة. هذا لا يوجد في الرياضة. وعقل الرياضي لا يميز بين إنسان وإنسان. نشتهي أن يتعمم هذا الجو الذي فيه يرى الإنسان في كل خلائق الله خلائق متساوية.

وأمر آخر يتعلمه الرياضي وهو أن الرياضة لا تقوم على القوة وبالرغم من الرياضي نفسه. ولا تكون بالقهر وبالقسر أو بالضغط. هذه لا تفعل شيئاً. والإنسان فاشل حتماً إذا كان يعتمد على مثل هذه الأساليب. وحده الحر يمكن أن ينتج. في الرياضة الحرية شيء أساسي. ولا قيمة للحرية، أقصد الحرية بالذات لا الكلمة، إذ كثيراً ما نردد كلمات، ولكن معناها يبقى خارجاً عنا.

غادة: صليتُ اليوم من أجل أن يمنحك الرب القوة وأن يبقى معكِ. وكنت أشعر وأنا أراكِ بين الأبطال أنك لم تنسي دقيقة واحدة أن قوتكِ

وعزمك لا يأتيان منكِ وحدك ولكن الله هو الذي أعطاكِ هذا. ولذلك فالشكر لله على هذا الوعي. هذا الذي يجعلك أنت متواضعة رغم أننا الآن نقول في بلدنا إنكِ بطلة. هذا معناه أنه ليس من واحد في بلدنا يمكنه أن يقف وإياك على قدم المساواة. لكنك متواضعة مثل كل الناس في بلدنا، وها أنتِ بين أبناء قريتنا هذه التي نحبها ونفتخر بها. سَمِعتكِ تصرحين بهذا ونحن نفتخر بذلك.

أنت ابنة الكنيسة المقدسة الأصيلة في هذا البلد وفي هذه الأرض. إنني باسم الكرسي الأنطاكي المقدس أقلدكِ وسام الرسولين بطرس وبولس مؤسسي الكرسي الأنطاكي المقدس».

✞ ✞ ✞

المعلم ليس مدرساً فقط*

أيها الأحباء، بكلمة قصيرة استهلها بقولي: أهلاً بكم في هذا المكان. ما كنت أحسب أنه سيكون بهذا الجمال إلا بعدما رأيتُه منتهياً، كما هو الآن.

أشكر الله، أنه صار لكم بيت تجتمعون فيه. نعم، نشكر الله.

ما أريد أن أقوله تتمة لما كنت قد قلته سابقاً، عندما تكلمت عن المدرسة قلت آنئذ إن الآسية هي التلاميذ قبل كل شيء، لأن كل شيءٍ يصب في النهاية عندهم ليصبحوا هم المعلمين والرواد الذين يقودون لا الذين يُقادون. وإذ أؤكد في هذه الأمسية هذا القول، أقول إن خطتنا في مدارسنا الآسية هي ألا نجعل أحداً من طلابنا يصرف وقتاً ضائعاً لا جدوى منه بالنسبة إليه.

نحن مدركون كل الإدراك، أن أولادنا عندما يعطوننا من عمرهم يتوجب علينا بالمقابل أن نجعل كل ساعة من حياتهم شيئاً ثميناً، شيئاً جدياً، شيئاً رصيناً لأن المستقبل بكامله سيكون على أكتافهم.

نحن مدركون بأن الأمانة التي توضع بين أيدينا في الآسية، يستحيل أن يكون في هذا العالم ما هو أغلى منها. فإن وُجد أغلى منها فإن العالم وقتئذ ينهار لأن الإنسان في هذا العالم هو الأول، وبعد ذلك يأتي كل شيء، لا بل يصبح ثانوياً، إذ لا قيمة لكل ما هو حوله. فإن استُغل الإنسان فهذا معناه الخراب، إذ لا يستطيع الإنسان استغلال إنسانيته ومواهبه. عندها لا يمكن للعالم

*البطريركية، تكريم المتفوقين في الآسية، الخميس ١٩٩٦/١٠/٣

أن ينتج رجالاً.

أيها الأحباء، أود أن أقول إن المدرسة هي قبل كل شيء هي أولادنا. وأود أن أضيف أن «المعلم»، وليس المدرّس، لأن الإنسان يمكنه أن يدرس على آلة تسجيل، أو على أية آلة أو وسيلة سمعية بصرية إذن المعلم هو ذاك الذي يكون مثالاً أمام تلاميذه الذين ينظرون إليه أكثر مما ينظرون إلى أمهاقم وآبائهم أو أي إنسان آخر. فهم معه طيلة يوم الدراسة، يسجلون حركاته وأقواله وحتى لهجته وعندما يتخرج الطالب من المعهد يحمل معه الكثير مما رأى من هؤلاء الأساتذة.

لذلك، أيها الأحباء، قد يكون للمدرّس برنامجٌ للتدريس، لكن ليس عنده الفرصة المؤكدة ليصبح معلماً، لأن هذه الصفة تلازمه في البيت وفي الشارع. المعلم إنسان مكرس وهو ليس مجرد مدرس. هو إنسان قبل كل شيء يعطي من قلبه وكيانه. نحن لسنا آلات، لأن الآلة تُعرف بما يصدر عنها من أصوات لكننا نُعرف نحن بما نحن فيه، نُعرف بوجودنا، بشخصيتنا. هذا هو المعلم.

أيها الأحباء، لم نكتف بتكريم أحبائنا الطلبة المتفوقين بل توجب علينا تكريم آبائهم المعلمين لأنهم بالحقيقة آباء لأولادنا. ونحن بصورة خاصة، نريد أن تكون الآسية مكونة من جميع أفرادها، لأننا نريدها في النهاية أسرةً لا مجرد أفراد يعيشون بعضهم مع بعض من دون تلاحم.

في الأسرة تمارس المحبة، ويمارس الاختلاف بين الأجيال، إذ كل واحد يختلف فيها عن غيره. عندئذ لا نعرف كيف نعيش مع المواطن الذي لا نعرفه.

أيها الأحباء، نحن سعداء الآن. نشكر الأهل، وأخص منهم عـــائلات الأساتذة اللواتي، رغم بقائهن في المنازل، يعرفن أن المسؤول هو مَن يبذل نفسه، فشكراً لهن. نشكر المعلمين الذين كانوا آباء بكل معنى الكلمة. وأقول إنه ليس أصعب على الإنسان من أن يكون أباً أو أماً، أو أخاً، إنْ هو أدرك ما هي الأبوة وما هي الأمومة وما هي الاخوة إدراكاً حقيقياً.

نشكر الله ونرجوه أن يمتّعنا بأن نشاهدكم جميعاً، والله معكم.

✞ ✞ ✞

المحبة لا تسقط أبداً *

أيها الربُّ إلهنا، إننا نتوجه إليك في هذه الصبيحة المباركة، ونسألك لأن تشرق علينا بنور وجهك الإلهي لكي نشاهد النور الحقيقي، نوركَ أنت، يا رب السماء والأرض. لأن البرايا كلها منك ولك، الأقمار والنجوم والكواكبُ، أنتَ وحدك أوجدها.

أنتَ خلقتَ الإنسان على صورتك ومثالك وزينته ببهاءٍ وجمال ووكّلت إليه عوالمك ليبث فيها من روحك ومن قلبك ، ولكي يحبها ويرعاها برأفةٍ وحنان .

أنت أيها السيد المحب للبشر اطّلِعْ على جمعك هذا في هذا اليوم المجيد الذي فيه نحتفل ونفرح بنجاح أولادنا وفلذات أكبادنا. ونسألك يا رب أن تمنحهم نعمةً قدسية ليحملوا الثمار الصالحة إلى دنياك عامة وإلى لبنان خاصة ويكونوا فيهما خميرة الخير والحب والوفاق والاتفاق.

أعطِهمْ يا رب أن يذكروا على الدوام وصيتك الإلهية: «أكرم أباك وأمك». لأن إكرام الوالدين من حسن الصلاة والعبادة.

اجعلهمْ يا رب يدركون كل يوم أن أعمالهم كلها يجب أن تحمل مقاصدك الخيّرة لعبيدك كلهم. وألا يفرقوا أو يقسموا مَنْ شئتَ أن يكونوا لك كلهم عبيداً وأبناءَ، وأسرةً واحدة.

* حفلة تخريج طلاب جامعة البلمند، ١٩٩٧/٧/١٩

أعضد أولادنا بقدرتك التي لا تحد ولا توصفْ ليغلبوا الشر بالخير ويغفروا لسواهم ما يريدون هم أن يغفره لهم سواهم، فالعيش ظلمة وقتام من دون غفران الأخ لأخيه.

علّمهم أن المحبة قاهرة للبغض والضغينة وأنهم بها وحدها يقهرون حتى الموت. وأن النصر لها في النهاية. «المحبة لا تسقط أبداً».

وليذكروا أن إخوتهم في البيت، وفي العمل، وفي كل مكان، هم أمانة وضَعْتَها لديهم ليحافظوا عليها، على عيشها الكريم، على كرامتها، على سلامتها، فلا استغلال ولا استقواء، ولا استبداد، ولا مفاوتة، ولا تفتيت.

يا رب، انظرْ إلينا في هذا الصباح وباركنا جميعاً نحن عبيدك.

باركْ أبناءنا المتخرجين.

باركْ أبناءنا أسرة الطلبة في جامعة البلمند.

باركْ أبناءنا أساتذة هذه الجامعة.

باركْ أبناءنا رئيس هذه الجامعة ومعاونيه في كل حقول عملهم الجامعي.

باركْ أبناءنا العمال في الجامعة أولئك الذين بدون جهودهم لا تكون الجامعة لائقة.

لك نحن يا رب، نحن الحاضرين ههنا في ظلال والدة الإله سيدة البلمند الطاهرة.

لك آباءُ أولادِنا وأمهاتُهم وإخوتُهم وأخواتُهم.

إننا بسواك يا رب لا نؤمن، وإياك وحدك نعبد ولاسمك وحدَك التمجيدُ إلى الأبد. آمين.

مؤتمر الحوار الأرثوذكسي ـــ الأرثوذكسي*

أريد، قبل كل شيء، أن أشكر لكم جزيل الشكر موافقتكم علـــى أن نلتقي في هذا المكان، ويُسعدنا جداً أن نستقبلكم، كما نأمل أن يكون بمقدورنا، بالاشتراك والتعاون مع صاحب القداسة (قداسة البطريرك زكا الأول) أن تكون إقامتكم هنا أفضل ما يمكن على الإطلاق. لن يكون بمقدورنا أن نتكلم بالعربية، طبعاً، وهذا الأمر يذكرني بكلمات ربنا يسوع المسيح الذي قـــال: «اذهبـــوا وتلمذوا جميع الأمم» وأنا أعرف، مع ذلك، أن الأرثوذكسية مدعوة على الدوام لأن تستجيب لجميع الأمم، حتى للأمة العربية. يجـــب ألا يـــتم التعـــبير عـــن الأرثوذكسية بثقافة واحدة وقومية واحدة وصيغة واحدة، إنها تحتـــاج أن يعـــبر عنها بالطريقة ذاتها التي حصلت في عهد المسيحية الأولى، عندما أرسل الـــرب جميع الرسل إلى كل مكان، دون أن يلتقوا على الإطلاق ليتكلموا، لا عن اللغة ولا عن التقليد ولا عن الثقافة، ولا عن أي شيء على الإطـــلاق، إلا عنـــدما اختلفوا حول الموضوع الذي أثاره في المجمع الرســـولي الأول العـــام خمســـين الرسولان القديسان بطرس وبولس. ربما كان علينا أن نجد في هذه القضية بعض المغزى، لا أن نوجه الإيمان الأرثوذكسي في طريقٍ معين، لأن ذلـــك بالتأكيـــد سيجعل هذا الإيمان غير مفهوم لدى الناس المدعوين للإيمان بربنا يسوع المسيح.

هنالك نقطة ثانية أود أن أشير إليها، وهي وجودكم هنا. وأنا أحمد الله

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، مؤتمر الحوار الأرثوذكسي ـ الأرثوذكسي، ١٩٩٨/٢/٢

على أنكم مسؤولون عن العمل في حقل واحدٍ وأتيتم معاً للعمل فيه، وهذا الحقل هو أن تصبحوا واحداً في الإيمان الأرثوذكسي، سواء أكان ذلك بين الكنائس الأرثوذكسية نفسها أو مع الكنائس الشرقية. أريد أن يؤخذ بعين الاعتبار ما سبق أن عُمل حتى الآن: لقد حصلت بعض اللقاءات ووُقعت بعض النصوص التي اعترفت بها الكنائس، ونحن نرغب بألا نتجاهل هذه اللقاءات في مناقشاتنا، وأن نعتبرها كخطىً تمت إلى الأمام، بحيث لا نعود ثانية إلى مناقشة أمور سبق لنا أن ناقشناها وقلنا رأينا فيها. إننا نريد ألا نتجاهل هذه الأمور. ونحن، في الكرسي الأنطاكي، نجد فائدة قصوى في معرفة ما تم فعله بين الكرسي الأنطاكي والكنيسة السريانية. أنا أؤمن بأن لذلك مغزاه بالتأكيد، وأن ذلك بالتأكيد يمكن أن يكون على الأقل خطوةً إلى الأمام في مناقشاتنا، بحيث لا نحتاج لأن نأتي ثانية على ما يخص لقاءنا مع أختنا الكنيسة السريانية.

هنالك نقطة ثالثة لن أطيل الكلام عنها، فأنا أعرف أن اللاهوت والمناقشات تصبح نوعاً من الفن، من العلم؛ وأؤمن بأن علينا ألا نجعل المناقشات «مجموعة» من الخلافات والمهاجمات في مجال استخدام الكلمات، بل علينا فعلاً أن نفكر بما يعني الناس عندما يقولون شيئاً لا نفهمه، وعلينا إذا كانوا يقصدون قول شيءٍ عن المسيح أن نأخذ المضمون، لا أن نكتفي بالتعابير التي استخدموها. إنه مهم جداً جداً ومخجلٌ لدرجة كبيرة أو صغيرة أن نكون قد انتظرنا خمسة عشر قرناً لنفهم ما قيل وما هو هذا الذي فكرنا أنه هرطقة.

والآن، إذا بدا أن الإيمان هو الرباط الوحيد، حتى بين الكنائس الأرثوذكسية، دعونا لا نجد صعوبات أخرى مع الكنائس الأخرى، بل لنتكلم على الأقل عن صدق الإيمان، فذلك مرتبط بالثالوث المقدس، ومرتبطٌ بشخص

سيدنا يسوع المسيح، وكل ما يقال في ذلك ليس إلا مجرد تعبير. ما يـــدعو إلى التركيز عليه ــ إذا وجدتم أن ذلك مُجدٍ ــ هو التركيز على الأمور الأساسية.

مرة أخرى نقول بأننا سعداء جداً بأن تكونوا جميعاً هنا، فسنتعلم الكثير من وجودكم معنا، ويطيب لنا أن نبعث من هنا بتحياتنا إلى قداسة البطريـــرك المسكوني الذي يرعى جميع هذه الأنشطة مؤكدين أننا لن ننسحب لمجرد وجود مَن يقوم بهذا العمل، بل سنتابع العمل معاً.

✞ ✞ ✞

نجتمع لكي نلتقي*

الكلمة الأولى التي أود أن أقولها هي كلمة ترحيب بكم جميعاً. هذه قد تكون المرة الأولى التي نجتمع فيها من كل أبناء الكنيسة، فعندكم من الشبيبة، والسيدات، والرجال. عندكم من الكهنة آباء الرعايا، وأصحاب السيادة رؤساء الأبرشيات. لذلك هذا الاجتماع يعطي صورة عن حقيقة الكنيسة، أكثر مما كان يعطيها أي نوع من الترتيب في الكنيسة. اجتماعنا اليوم ليس اجتماعاً، إنه لقاء. والكلمة مقصودة.

البعض، حتماً، بسبب تأثرهم بما كان في الماضي يودّون أن يعرفوا الطابع القانوني لهذا اللقاء. متى أصبحت الكنيسة بدون هيئات إلا حسب قانون؟ هل المشاركة في الفرح تحتاج إلى قانون؟ هل المشاركة في الحزن تحتاج إلى قانون؟ هل اجتماع الأب بأولاده والأولاد بأبيهم يحتاج إلى قانون؟ الكنيسة هي أولئك الذين ولدوا جديداً، أي الذين جاءوا بواسطة الولادة الثانية من الماء والروح. الكنيسة هي كل هؤلاء، ولذلك لا توجد حواجز تمنع من أن يجتمع هؤلاء، الواحد مع الآخر. نحن نجتمع اليوم، يا أحباء، نلتقي. أنا أحتاج إلى أن أراكم، الاخوة الأحباء يحتاجون إلى رؤيتكم، وأنتم تحتاجون إلى رؤيتنا جميعاً، نحن نلتقي بالمعنى الحقيقي. الذي لا تلتقيه، لا يمكنك أن تخطط له، ولا يمكنك أن تتعاون معه، ولا يمكنك أن تشعر أنك وإياه أسرة واحدة.

إذاً نحن نجتمع اليوم، يا أحباء، لكي نلتقي. لسنا منظمة، لسنا حزباً،

* لقاء أبرشيات الكرسي الانطاكي، دير القديس جاورجيوس الحميراء، الجمعة ١٣/٢/١٩٩٨

يهمني أن أؤكد ذلك. نحن نلتقي أبناء البيت الواحد، أبناء التراث الواحد، أبناء الروحية الواحدة، الآن نحن نلتقي بالمعنى الحقيقي للكلمة. أحب في هذا اللقاء أن يعرف الواحد منا أنه هو الكنيسة، لكن ليس وحده الكنيسة. الكل يكوّنـــون الوحدة التي هي الكنيسة، الكل. وأي تفكير أو أي تصرف على أساس الفردية وحدها، لا يكون أمراً كاملاً، ويكون تصرُّفاً غير أرثوذكسي، غير كنسي بالمعنى الحقيقي للكلمة.

الغاية من هذا اللقاء هي أن تسمع كل أبرشية من ناطقٍ بلسان أبرشية أخرى، ماذا يوجد وبماذا تفكّر الأبرشية الثانية. أريد أن تكون عندنا الفكرة المسكونية للكنيسة. الكرسي الأنطاكي ليس في مكان واحد وليس أبرشية واحدة. الكرسي الأنطاكي موجود في القارات الخمس. أعتقد أنه إذا لم تكن لدينا هذه النظرة الشاملة، فإن نظرتنا يجب أن تتكامل، يجب أن تتحسن. وإن شاء الله سيكون اجتماعنا اليوم مثمراً ومرتباً.

✝ ✝ ✝

المؤتمر الأرثوذكسي العالمي*

أشكركم جزيل الشكر، يا صاحب القداسة، لأنكم استضفتمونا جميعاً، وأعتقد أننا معتادون كثيراً على أن نلتقي، وأن نأتي إلى هذا البيت الذي نشعر بالفعل أنه بيتنا. إنك بالتأكيد قبلت أن تتحمّل عبء عقد مؤتمر في هذا المكان. ذلك أمرٌ جيد ومن الإنجازات التي حققتموها في مجال الحياة المسكونية التي خبرناها معاً في هذه المنطقة.

أرجو أن يصبح لهذا الاجتماع مغزاه بالنسبة للمؤتمر الثامن لمجلس الكنائس العالمي. لذلك نحن بحاجة إلى أن نكون واضحين في وضعنا وفي مواقفنا، وأنا متأكد من ذلك. وبما أنني كنت أحد قدامى مَن عملوا في مجلس الكنائس العالمي، فإنني أعتقد أن الجانب الأرثوذكسي لم يكن واضحاً كل الوضوح في رأيه الخاص، وأتذكر أننا التقينا معاً مرة واحدة لاتخاذ موقف واحد ورأي واحد في مختلف موضوعات اللقاءات العامة. أتذكر أن ذلك قد حصل مرة واحدةً فقط وأنها كانت سابقةً لم نتابعها طبعاً، كما أنني شخصياً لم أفهم على الإطلاق لماذا لم نتمكن من متابعة تلك السابقة.

يُخيل إليّ أننا نخاف أن نرى بعضنا بعضاً، ويخيّل إليّ أننا نخاف أن نواجه، بذكاء وعمق وجدية، أولئك الذين لهم معتقدات تختلف عن معتقدنا الخاص، حتى أنه يخيّل إليّ أننا نحب الانقسامات لأنها آمنة جداً. يُسعدنا أن نكون على ما نحن عليه الآن، وربما كنا نفكّر بأن مسؤوليتنا الأساسية تنحصر

* دير مار أفرام السرياني، معرة صيدنايا، الجمعة ١٩٩٨/٥/٨

في أن يتحدث واحدنا مع الآخر ضمن كل من عائلاتنا، لأننا قلما يتحدث واحدنا مع الآخر حتى ضمن العائلة الواحدة. لقد أصبحنا غرباء بعضنا عن بعض حتى داخل الكنيسة الواحدة، وداخل البلد الواحد، لدرجة أننا لم نعُد نرغب للكنيسة أن تتحمل الهموم والأعباء التي فرضها علينا وجود الآخر.

ليس بمقدور أحد أن يقول إن الكنيسة، ككائن حي، تستطيع أن تجهل الوضع الحي الذي نعيشه معاً. الناس لا يفهمون لماذا نجلس معاً ونلتقي معاً هنا في الشرق الأوسط، لأنهم لا يرون أنني، حيثما أدرت نظري، أرى البطريرك زكا وأرى الكاثوليك القدامى، أرى كل فرد أمامي، وأرى الغالبية الإسلامية في هذا البلد. مطلوبٌ منا أن نجهل الكثير، لكنه ليس مسموحاً لنا أن نكون على هذه الدرجة من الجهل لأنه قيل لنا إن ربنا يسوع المسيح هو النور في الظلمة، وليس ظلمة زيادة على الظلمة. لنا أعين للرؤية وآذان للإصغاء والسماع، وعلينا، إضافة إلى ذلك، أن نفكّر: فأنت سؤال مطروحٌ عليّ لأن الله خلقك ككائن بشري أصيل له أفكاره وليس بمقدوري أن أتجاهله.

على المرء أن يفهم أن الكنيسة جسدٌ حي، وأنها ستُسأل لا عن جوهرها، بل عن سلوك أبنائها. علينا أن نفكر، ولم يقل لنا أحدٌ ـــ على حد ما أعلم ـــ بأن التفكير خطيئة. علينا أن نرى الناس، وعلينا بصورة خاصة أن نحب الناس. الخوف هو نقيض المحبة، وربما كان واحدنا يخاف الآخر لأنه لا يحبه بما فيه الكفاية، ولا أعني بالآخر أحد الموجودين هنا، بل أي «آخر»، أياً كان دينه وأية كانت كنيسته. وكيف نستطيع أن نسجن أنفسنا داخل أي نوعٍ من السجون متجاهلين الناس الآخرين ومخولين أنفسنا أن نعيش وكأنهم غير موجودين؟ إنهم موجودون بإرادة الله لا بحكمتنا الخاصة. أفلا نحترم إرادة الله؟

إننا نَدَّعي أننا نحترمها، لكنني أعرف أننا بالحقيقة لا نحترمها دائماً. أقول ذلك فيما يخصنا نحن وقد لا يكون ذلك صحيحاً بالنسبة لغيرنا.

أرجو أن تتمكنوا من الاستفادة من هذا اللقاء بحيث تمكنون المؤتمر في جلسته الثامنة من أن يكون له مغزاه، وخاصة بالنسبة لأولئك الموجودين هنا ليمثّلوا الكنائس الأرثوذكسية الشرقية والكنائس الأرثوذكسية. كما أرجو أن نصحح أو نعدل موقفنا حيال مجلس الكنائس العالمي، لأننا لم نعمل ما فيه الكفاية لجعل هذا المجلس أرثوذكسياً أكثر مما هو الآن. إننا — في نظري — مسؤولون عن هذا الأمر: فلا نحن تعاونا ولا شاركنا على الدوام بتلك الإيجابية أو تلك الجدية. أنا أعترف بأننا كنا على مقربةٍ من الكنيسة، وعسى أن يتقبل الله ما نقول عن أنفسنا.

أرجو كذلك أن يكون لنا أكثر من مجرد الآراء. أنا أحترم الآراء، لكننا أحياناً، عندما نصغي للاهوتيين منا، يصعب علينا أن نميز بين ما وراء الطبيعة كعلم، من جهة، ولاهوت التجسد، من الجهة الأخرى. ذلك لأن التجسد يحتاج لأن يكون موضوع إيمان، وأنت — فيما وراء الطبيعة — لا تُدخل الإيمان. أنت تستعمل التعابير وطرق التفكير التي ليست تلك التي يستعملها ربنا ولا تلك التي يستعملها الرُسُل. أعتقد أن علينا أن نتخذ المواقف وأن نعبّر عن موقفنا من أجل تعاون أفضل ومساهمة أفضل في مجلس الكنائس العالمي. علينا أن ندعو لمجلس الكنائس العالمي، لا أن نهتم دائماً بالأكثرية.

آمل أن ينبثق عن هذا اللقاء شيءٌ ما كإيجاد لجنة مصغّرة لدراسة الموضوعات المختلفة التي سيهتم بها المؤتمر في جلسته الثامنة، وأن نكون حاضرين هناك لعرض آراء كنائسنا.

إنني أتساءل عما إذا كانت الآراء لا تصبح نظرية نوعاً ما إذا لم توضع ضمن هيكلية من أي شكل كانت. نحن، في الكنيسة الأنطاكيـــة ــ ولســـت أتكلم عن الكنائس الأرثوذكسية الأخرى ــ معتادون على أن نقـــول أشـــياء رائعة، أشياء على درجة عالية من الصحة، لكننا نتصرف كما لو كنا مـــؤمنين حقيقيين بالطبيعة الواحدة، جاهلين كل الجهل طبيعة ربنا البشرية. إننا نكتفـــي بالمناقشات المنطقية وبالتعابير الجميلة والخطب الجميلة. نحن سعداء بذلك، لكننا لا نترجمه إلى واقع. ذلك هو ــ في نظري ــ السبب الذي يمكننا من أن نعمـــم الأمور أكثر أو أقل: ما نقوله رائع، وما نفعله عملياً لا يساوي شيئاً. نحن نجهل واقع أنه علينا أن نتعامل مع إله متجسد. علينا أن نتعامل مع أمر واقع ملموس لا أن نلقي درساً حرفياً أياً كانت الصيغة التي نستعملها.

آمل أن نتمكن من ترجمة وجودنا في مجلس الكنائس العالمي بحيـــث لا يكون متعارضاً مع معتقداتنا. آمل أن نتوصل إلى صيغة نتمكن فيهـــا مـــن أن نكون مع مجلس الكنائس العالمي. أقول مع مجلس الكنائس العالمي بمنتهى الجدية، ولا أكتفي بعرض نوع من قراءة الماضي من جديد. في الماضي كنا نفضل المجيء إفرادياً، وما زلنا نتواجد هنا إفرادياً لأننا لا نتشاور. إننا لا نكلم بعضنا بعضـــاً باسم المسيح، ولا يكلم أحدنا الآخر من أجل أخوة المسيح. تحـــدث صـــاحب القداسة بصورة خاصة عن وجوب كوننا معاً. نحن نحتاج لأن يـــرى واحـــدنا الآخر. كيف يكون بمقدورك أن تحب شخصاً لم تره في حياتك؟ نحن مدعوون لأن نحب بعضنا بعضاً. الكلمات تبقى هي الكلمات. عندما أصبحت كلمة الله هي تعبير الله عن محبته لنا، أتت هذه الكلمة إلى هنا وأصبحت إنساناً. أمامـــك بشر وأنت متجه إلى تجاهلهم. أهذا هو المنطق الرائع الذي نستعمله في كنائسنا

لننعم بأمن لا يكلّف كبير العناء!

صاحب القداسة، أشكركم جزيل الشكر على أنكم مكنتموني من أن أقول هذه الكلمات القليلة، وآمل أن يكون هذا اللقاء إشارة أولى وإشارة هامة ونظاماً هاماً يرشد الأرثوذكسيين لأن يكونوا معاً. نحن نتكلم عـــن الجمعيـــة، ولسنا مجمعيين. نحن نتكلم عن كوننا جماعة منظمة ولسنا جماعة منظمة. ولـــو كان علي أن أقول غير ذلك، لكنت كاذباً بالفعل، لكن عليّ أن أقول ذلك من أجل أن أكون صادقاً أمام الله بالفعل.

بمقدوري القول إننا في الكرسي الأنطاكي نهتم بالكائنات البشرية. ونحن لا نجهل الناس خشية أن يجهلنا الناس، فإذا جهلنا الناس تصبح رسالة الله هي المجهولة. بودنا قطعاً أن نرفض أن نكون سلبيين تجاه أي أمر إيماني يشاؤه الله. ذلك يعني الناس الذين أمامنا. إننا نرغب أن نتحدث مع الإسلام، نرغب أن نتحدث مع البروتستانت، نرغب أن نتحدث مع أي كان. إننا نرغب أن نتحدث، ولسنا خائفين، فنحن لا نخاف إلا كسلنا. دعهم يعكرون صفونا وقل لنا بعد ذلك إن هناك قليلاً من الأشياء التي تريد أن تقرأها ثانية وأن تقولها ثانية وأن تصوغها ثانية. ولِمَ لا يا ترى؟ لِمَ لا تصدق أن بمقدورنا في الكرسي الأنطاكي أن نلجأ إلى داخل محجر؟ ولكن العالم سينسى كلامنا بالتأكيد. فعالمنا هو عالم الاتصال وليس بمقدورنا أن نتصل. وشكراً.

✝ ✝ ✝

تكريم مؤسس الجامعة*

فخامة الرئيس،

كيف أشكر لكم تكرُّمكم بالمشاركة في هذه الأمسية ومعكم كثرةٌ من الذين يتولّون زمام الحكم وشؤون إدارة لبنان العزيز، وكيف لا نبتهج جميعاً بما تحقق على يدكم من مقومات الدولة، بعد زمن كانت فيه للدمار اليد الطولى على البلاد. فلفخامتكم أكرر الشكر الجزيل، وأسأل الله أن يحفظ لنا وطننا الغالي وأن يرفُدَه بكل ما ينميه ويجليه ويُسعد كل مواطن فيه.

وأما الإخوةُ البطاركة ذوو القداسة، والإخوة ذوو الفضيلة، والإخوة المطارنة، فحضورهم لا ينوب عنه شيء ولا أحد، لأننا هنا نعيش على الإيمان بأنه بدون الصلاة والبركة والمصلين والمباركين يكون هنالك فراغ روحي أساسي في حياتنا. وقد قيل قول حق في لبنان إنه ليس مجرد وطن كسائر الأوطان بل إنه وطنٌ ورسالة، أي كيان ومغزى، تنديهما النعمةُ الإلهيةُ وتعتني بهما. فللإخوة البطاركة وللأئمة الكرام والإخوة المطارنة عميق الشكر والعرفان.

وهذا المحفل الكريم، كيف لا أشكره وأؤكد أن له في الفؤاد مكانةً عاليةً، لأنه بكم وبه قامت جامعة البلمند الأرثوذكسية وها هي الآن ماثلة للعيان تشهَد للقلوب والأفكار والجهود التي كانت في أساس نشوئها ولا تزال.

فخامة الرئيس،

* كلمة صاحب الغبطة، فندق ريجنسي بالاس، أدما، بيروت، ١٩٩٨/٦/٢٠

لقد رافقتم باهتمام جامعة البلمند ورعيتموها ومنها خاطبتم المشككين بلبنان أن: «اتكلوا على الله يا جماعة، فالقاصد أن يبتلع لبنان (إن وُجد) سيغَص ألف مرة ويدركُ في النهاية أن الوطن ليس لقمة سائغة، وأن الله في أبنائه، وأنه ليس للرب في لبنان أرزهُ وحده بل للرب كل لبناني بدون استثناء». وها نحن الآن نرى بأم العين أنوار فجر الاستقرار والسلام تلوح وتزداد تألقاً يوماً بعد يوم، والآفاق تمتد وتبشر بأيام حلوة، إن شاء الله، بمعونة الرب وقدرته.

على هذا الإيمان قامت جامعة البلمند، وعليه ستبقى، وإلى نشره ستواصل السعي. فكل ذرة من أرض الوطن عزيزةٌ علينا غالية، وكل لبناني لدينا لكل لبناني. من هذه الأرض قامت جامعة البلمند، ومن أجل الخدمة تأسست، وستبقى وفية لهذا الهدف. إنها لم تأتِ من بعيد، ولم توجد من أجل هدف بعيد. فمن يقصدها نريده أن يتعرف فيها إلى نفسه وإلى أهله وإلى وطنه. ولن يحدث فيها أن يأتيها قريب فينتهي به الأمر إلى أن يصبح غريباً عن نفسه وعن أهله وعن وطنه. في البلمند نرفض تغريبَ اللبناني رفضاً تاماً، فلبنان غاية في حد ذاته وليس مجرد وسيلة إلى أي شيء آخر. إنه واحدٌ لكل أبنائه، واحدٌ لكل واحد من أبنائه. وهذه البقعة من الكرة الأرضية لم توجد في نظرنا لتلد مجرد أرقام في أعداد كبيرة.

في هذه الساعة المباركة أرى لزاماً أن أذكر ذوي الفضل في قيام الجامعة وما أكثرهم. هنا، في هذه القاعة، يا فخامة الرئيس، رهطٌ من ذوي النفوس الكبيرة الذين بدون تبرعهم ما كان للجامعة أن تنهض: أبنية كثيرة، كبيرة، متنوعة وجميلة، وكلها بفخر واعتزاز، على هضبة البلمند الخضراء، تحمل أسماءهم إلى الأجيال الصاعدة لتقول لها: وهذا أيضاً من أعمال آبائكم المجيدة.

ذوو الفضل هؤلاء يزدادون كل سنة، ولهم أسأل النعمةَ والتوفيق. لقد رفعوا العطاء على الأخذ، ألا جعلهم الله يفرحون بما قدموا ويقدمون.

ولا بد من الإعلان الآن أن جامعة البلمند لا تقوم بسعي منفرد فقط. فالمجمع المقدس الأنطاكي يباركها ولا يمل من مباركتها. ومجلس أمنائها يوليها الاهتمام العظيم والعناية الفائقة وينفخ فيها حياةً ودفئاً، ويدفع بها دائماً إلى الأمام، فلا تتوقف عند حد، بل تتحدى الجمود وتتخطى كل صعوبة.

ولا يمكنني أمامكم، وأمام جميع الحاضرين الكرام، إلا أن أذكر الفضل العميم الذي جاد به الله على الجامعة فرفدها برئاسات متميزة، صفاتها استثنائية، تركت سماتها على الحياة الأكاديمية والروحية والتربوية في الجامعة أعني بها: الرئيس الدكتور في الفلسفة: الدكتور جورج طعمة المعروف عالمياً بسمو أخلاقه واتساع معارفه، والعزيز غسان تويني، وهل يحتاج إلى تعريف؟ إن وجهه ماثل لكل فرد من أفراد أسرة الجامعة، وهو دائم الحضور في قلوب البلمنديين جميعاً.

وهناك ثالث حاضر، فاعل، نشيط، خلاق، وهو أيضاً خدم لبنان ويخدمه في العلم والعمل، هذا الحاضر هو الدكتور إيلي سالم الذي تعرفون، وهو كسلفيهِ جامعي عتيق، كسلفَيهِ مارس السياسة، وكسلفَيهِ أمين مستقيم الرأي، أنطاكي لا بديل لديه من أنطاكيته. الدكتور إيلي موضوع اعتزازنا وفخرنا، كان الله معه وأيّده بالروح القدس (والروح القدس ـــ كما تعلمون ـــ ضرورة لكل مَن خامر السياسة) وها كتاب الجامعة يقول ما أقول وأفضل مما أقول.

فخامة الرئيس، رعيتم البلمند فالشكر لكم، وها البلمند قد نما ونما كثيراً، إنه ثمرة عمل في لبنان. عشتم وعاش لبنان.

الماضي وحده للأموات*

أيها الأحباء،

إنها السنة العاشرة لولادة جامعتكم، جامعة البلمند. واليوم ترونها واقعاً أمام العين، والحقيقة أنكم أنتم واقعها. لذا ففرحنا اليوم بالجامعة هو فرحنا بكم. رعاكم الله بروحه القدوس وأجزل عليكم نعمته الإلهية، وظللتكم العذراء والدة الإله بنقائها وطهارتها وحنانها، وسيجتكم جحافل القديسين والأنبياء بحرارة الإيمان وغزارة العطاء والعصمة ضد كل نقيصة ورذيلة.

أخاطب الآن الأحباء الخريجين بصورة خاصة. أيها الأحباء الخريجون.

إن يومكم هذا، يومَ التخريج هو يوم بين يوم مضى ويوم آتٍ. إن يومكم هذا هو بين البارحة والغد. وفي ظني — وإن كنتم قد عشتم البارحة — إن غايةَ العيش هي الغد، وماضيكم إنما هو من أجل غدكم: إن لم يكن كذلك فالماضي وحده للأموات وليس للأحياء. وأنتم مدعوون إلى الحياة بعون الله.

إنكم ستنصبون في غدٍ لا تعرفونه، لأنه لا يُعرفُ بدونكم، لأنه لن يكون إلا إذا صنعتموه أنتم. الغد زمنٌ عليكم مَلؤه وإلا أضحى فراغاً وخواءً. أقول ما أقول، لأنه يبدو لي أننا كثيراً ما نملأ غدنا، في هذا الشرق، بمجرد التغني بإنجازات الماضي، بحضارة الماضي، بأمجاد الماضي، بالذكريات وبالانتصارات. نعم لقد عشنا ماضينا، لكننا لا نزال نعيش فيه ونتغنى به. فكيف يعيش الإنسان

---

* كلمة ألقاها البطريرك اغناطيوس أثناء تخريج طلاب من جامعة البلمند، السبت ١٩٩٨/٧/١٨

الآن زمناً مضى، إلا ويرتمي في الخيال والأحلام؟

وإذا ما أتينا إلى قيمنا الدينية، نجد أننا لسنا منــزهين عن عبادة الماضي، حتى أن الإنسان ممن يسمعنا أو يرانا، يظن أننا نؤمن بــأن الله كــان وقتــاً ثم اختفى، وأنه كان حاضراً ثم غاب أو كان يخلق فتوقف عن الخلق. ونــذهب في عبادة الماضي إلى الاكتفاء، من الكنيسة مثلاً، بماضيها عن حاضرها. وكل مــا كان، كان حقيقة، أما ما هو كائن فنسجُ خيال. بينما إذا كان الله واحــداً في الماضي والحاضر والمستقبل، وهو كذلك، وكان هو الحــي إلى الأبــد، وهــو كذلك، فلا يجوز لنا أن نحيا وكأنه سبحانه وتعالى قد استعفى من حياته وقدرته الإلهية.

باختصار، أيها الأحباء، قد يصبح الماضي سداً وحاجزاً ضد المســتقبل الذي أنتم مدعوون إليه. فحذار هذا التأليه للماضي نلهو به عن دعوتنا الآن من إلهنا الدائم إلى أن نكون أمناء لما وكله إلينا من السيادة على العالم ومن العنايــة بالمخلوقات. حذار أن تسهوَ عن أنك أنت مدعو إلى أن تحيا، أنت مدعو إلى أن تفعل، أنت مدعو إلى أن تبدع. وعالم الغد هو عالمك أنت وعالم أفعالك أنــت وعالم إبداعك أنت بمعونة الله ورضوانه.

ولننتقلِ الآن إلى الكتاب.

ذهبت الأمثال إلى أن «خير رفيق في الأنام كتابٌ». وقد كان الكتاب خير رفيق في كل مراحل التعلم. ولا يزال وجود الكتاب في منــزل دليل عافية في ذلك المنــزل.

لكن ما يلفتنا أن الله لا يبدو من الكتب المقدسة «كاتباً» بالرغم من أن

قولـــه قد يُجمَعُ في كتاب. الكتاب هو دائماً عن شيء. أما إلهنا فيخلق الأشياء ذاتها التي يتحدث عنها الكتابُ، أي كتاب. الله خالق، وأعماله خلائق، وأفعاله وقائع، الله الكائن أبداً، يعمل في مستوى الكيان، فما يخلقه يكون وما لا يخلقه لا يكون.

إن ما يدفعني إلى هذا القول هو أنك، يا عزيزي المتخرج، ستنطلق إلى عالم الوجود، عالم الكون. وإذا أتينا إلى الإنسان أقول: إنك تنطلق من الكتاب عن الإنسان إلى الإنسان ذاته، ذلك المخلوق الرائع الذي في الوحي الإلهي كل الخليقة هُيئت له، لأنه الوحيد في الكائنات الذي يحمل في طيات كيانه صورةَ خالقه ومثالَه. إذن أنت الآن في مواجهة صارخة، لأخيك الإنسان في معمعة الحياة. إنك الآن وجهاً لوجه مع مَن يشاطرك الوجود. إنك الآن وجهاً لوجه مع مَن معه ترعى الخليقة. إنك الآن وجهاً لوجهٍ لذي وجه يملأ الدنيا حولك لا بل هو فيك. ولن تستطيع أن تنسحب أو تتملص من الوجود معه جنباً إلى جنب. لقد كنت تقرأ كتاباً فعليك الآن أن تقرأ كياناً، أن تقرأ وجهاً. وهذا الحقل، حقل الكيان وحقل الوجوه يحتاج إلى ألفباءَ جديدة، ومن نوع مختلف، لكي يكشف عن نفسه، ولكي يتيح لك أن تسبر أغواره. بكلمة واحدة: صار عليك الآن أن تقرأ الإنسان.

لماذا أقول: «صار عليك...» أي أنت مُلــزَم. إني أقـــول ذلـــك لأن «الإنسان» أينما كان، وكائناً مَن كان، هو أخوك، لا بل هو «أنت آخـــرُ» في هذه الدنيا، وهو حامل صورة الله ذاتَها التي تحملها أنت. الله خلق كل شـــيء قبل الإنسان، وله هيأ كل شيء، ليسود الأرض وما عليها، ليسودَ العوالم كلها، ويعودَ في النهاية إلى مرجعه الأخير: الإله الذي خلقه.

فقيمة الإنسان الذي ستجده أينما كنت، لا توازيها قيمة. لذلك فإن أخاك هذا أعظم من مجموع أفكاره أو أعماله أو فضائله أو خطاياه. وحرام عليك أن تساويَه إلا بنفسه. إنه لله وليس لك، كما أنك لله وليس له. أنت حبيب الله وهو حبيب الله. فحذار بغضَه، حذار ازدراءه، حذار استغلاله، حذار اتخاذه وسيلة فقط. حذار أن تنسى أنه هو، وأنك أنت محظيُّ الله في كامل خلقه.

ولكن السؤال الذي يطرح الآن: «ما هي وسيلة قراءة الخليقة؟»

جوابي: إن هنالك وسيلةً لا بد منها، هي العِلمُ الذي أتيتَ الجامعة البلمنديةَ لكي تكتنزه. فهل هذا يعني أن العلم إلزامي؟ جوابي أيضاً: إنه كذلك. لأنك بالعلم تسبر أعماق ما سكبه الله في مخلوقاته وما صنعَه من المعجزات والآيات. بالعلم تحظى بنشوة المعرفة والاستنارة: الله نور، والمعرفة نور، وبالعلم تتسع أمامك أبوابُ النور إلى جواهر الأشياء. وقد تنتظِمُ في رهط الذين علِموا، فشكروا الله وأخذَهم عَجَبٌ ودَهَش من خليقته فنطقت ألسنتهم بالتسبيح والتمجيد: «ما أعظمَ أعمالك يا رب، كلها بحكمة صنعت». وأنت، تحاشَ أن تعزِلَ الله عن عالمه. فالعالم كله لله، وأنت لله كما قلت.

ولنأتِ إلى وسيلة أخرى تجعلك تحسن قراءة الخليقة:

بكلام بسيط: بقيَ عليك الآن أن تغسلِ عيني بصرك وبصيرتك لتصفوَ لك الرؤيةُ في الخليقة، وتنكشفَ لك أسرارُ الخليقة، أي خفايا سرِ الله في خلقه. وفي الخليقة كلها ما يشير إلى خالقها. وإذا لم تدرب نفسك على مقاربة الخالق فلن تدرك حقاً ما هو المخلوق.

الله محبة يا عزيزي، فإذا لم تحب فإنك تبقى بعيداً عن سر الخلق وسر الوجود. وكما أن الله يخلق كل شيء فهو محبة في كل شيء. هكذا أنت: في كل ما تفكر وما تعمل وما تنوي وما تبدع، عليك أن تشحن قلبك وفكرك وعملك ونيتك وما تبدع، عليك أن تشحنها بالمحبة في كل ما تفكر وتعمل وتنوي وتبدع، يجب أن تكون محباً لله في خليقته: الإنسان والعالم لا بل والعوالم بدون تحديد. الله محبة، والخليقة بأسرها بنت المحبة الإلهية. أنت ابن المحبة الإلهية. وأنت في كل ما تعمل، إنما تجوب عالم الله. فإذا غيبت الله عنه انقلب إلى عالم الشر، إلى عالم الفساد. أليس عالم الخطيئة والجريمة والشر والفساد مدعواً إلى الارتداد إلى خالقه ليبرأ من أسقامه؟ أليست الحياة كلها، حياتُك وحياةُ كل حي، قولاً إلهياً حياً أبدياً بأنك والعالم لم تخلقا من أجل الجريمة والخطيئة والشر والفساد. أنت والعالم محبوبان لله. والخالق المحب لا يخلق للجريمة والخطيئة والشر والفساد.

منذ الآن وصاعداً اقرأ، يا عزيزي كتاب الخالق الواحد الأحد. والكتاب هذا متوفر بغزارة، إنه كل إنسان حولك، إنه كل إنسان في العالم. اقرأ هؤلاء كلهم بعين صافية شفافة لا تشوبها ظلمة الكراهية أو الشر أو الحسد. اقرأ هؤلاء بعين المحبة والإخاء والتعاضد. اقرأ الناس إخوتك بقلب كبير وصدر رحب. أنت لهم، وهم لك، وأنتم جميعاً لله خالقنا تبارك وتمجد إلى الأبد.

أنت اليوم أمام كتاب الحياة الذي لا يحسن القراءة فيه إلا مَن يحب إكراماً لوجهه تعالى. فإن صادفت فيه القائلين لك «نعم» أحبب ولا تحاسب. وإن صادفت القائلين لك «لا» أحبب ولا تحاسب. وفي كل حال وعلى الدوام أحبب أحبب أحبب، إن الله محبة.

نحن والانكليكان*

إني سعيد جداً بالترحيب بكم في هذا المكان الذي يملك تاريخاً خاصاً به، وربما يعود تاريخ آخر أعمال البناء فيه إلى العام ١٨٦٦. تعتبر هذه الكنيسة من بين أجمل الكنائس الأرثوذكسية في سوريا ولبنان. يسعدنا كثيراً أن تكونوا بيننا هذا الصباح. إن اسمكم وانتماءكم يحملان معاني كبيرة بالنسبة لي.

لقد سبق أن اجتمعنا، وسبق لي أن اجتمعت بأسلافكم، إذ أنني من المخضرمين في العلاقة مع الكنيسة الانجليكانية ومع رؤساء الأساقفة الانجليكانيين. إني أتذكر مثلاً رئيس الأساقفة الأخير وأعرفه قبل أن ينخرط في السلك الاكليريكي. في كل الأحوال، اجتمعنا مراراً وخضنا نقاشات عديدة وعشت مراراً في مؤسساتكم الخاصة، ولدي العديد من الأصدقاء، وأنا معجب بمعظم ما أسمعه من الكنيسة الانجليكانية. وهناك تعاطف كبير بين الروح الأرثوذكسي، الذي غالباً ما يتسم بالكثير من الصلابة وبين الروح الانجليكاني الذي غالباً ما لا يتسم بالقدر الكافي من الصلابة. لقد أرسلتم إلينا الأب ستيفان الذي نقدره كثيراً ونرى أن حضوره محبب للغاية في هذا المكان. ونرغب أن يقرأ الناس عن كنيستكم في وجهه، وأن يحبوا الكنيسة الانجليكانية، لا سيما في ما يبينه لنا. إنه يبين لنا يوماً بعد يوماً أننا نمر، في هذه المرحلة التي تتحملون فيها مع زملائكم مسؤولية الكنيسة، بفترة نلاحظ فيها تحقيق خطوات تسير مستقبلاً باتجاه يختلف عما اعتقدنا أنه، في فترة ما، عبّر عن نوع من الإدانة للأرثوذكسية

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، زيارة رئيس أساقفة كانتربري د. جورج كايري، الخميس ١٩٩٩/١/٢٨

من قبل الكنيسة الانجليكانية. الآن نرى أمراً مغايراً ويُسعدنا أن نلاحظه. ولكنني لا أود أن أتحدث بشكل يوحي بوجود تطابق كامل بين كنيستنا وبين أشخاصنا. إننا نؤمن تماماً أن كنيستنا هي تلك الكنيسة الواحدة الجامعة الرسولية الخ... لكني متأكد من أننا نحتاج إلى صلوات الجميع. نحن كبشر لسنا مثل هذه الكنيسة، بالرغم من أن العديد يرغبون بأن يكونوا مثلها. لذا، آمل أن نتجنب الادعاء ونتحلى بالتواضع الحقيقي والتفهم الحقيقي لذواتنا كبشر، وأن نعترف بحاجتنا إلى الصلوات الدائمة. ربما كنا في خدماتنا لا نستسيغ أن نطلب من الناس أن يصلوا من أجلنا. نطلب ذلك منهم من غير أن نعرفهم شخصياً، ولكننا نعلم أن الله قد يستمع من خلالهم إلى صلواتنا ويمنحنا الرحمة.

أكرر شكري لزيارتكم ويسعدنا أن نستقبلكم ونأمل أن نمضي ما تبقى من الوقت المخصص لنا بأفضل شكل ممكن.

نحن الآن أعضاء في مجلس كنائس الشرق الأوسط، معنا هنا معلمنا الذي يرفض أن يعتبر نفسه معلماً وهو القس رياض جرجور، إلا أنني أتيت على ذكره لأقول لكم إننا نشعر أنه أرثوذكسي للغاية، وأنه ليس بروتستانتياً إلا بنسبة ضئيلة، حسب المعنى الأميركي للمصطلح. فالأميركان، كما تعلمون، يدركون معظم الأمور بشكل يختلف عما هو متعارف عليه، على نقيض حكومتكم التي تسير الآن في ركاب الأميركيين بشكل قد لا يحظى بتقديرنا الكبير. إننا نحاول هنا أن نبذل الجهود الممكنة من أجل أن نكون أوفياء نخلص لإيماننا ولربنا، ونعتقد أننا مسؤولون وبشكل خاص في هذه المنطقة، في مهد المسيحية، لأن الأنظار تتوجه إلينا هنا، فضلاً عن الآذان، إذ أننا لسنا متأكدين من أن كلامنا يلقى آذاناً صاغية في هذه المنطقة. لسنا الوحيدين هنا، ولكننا

نحمل حتماً هذه المسؤولية. لذا نشعر بأنه يتوجب علينا أن نعبر عن أعمق ما في العقيدة المسيحية: ألا وهو أن يحب بعضنا البعض الآخر، كما يتوجب علينا أن نكون حاضرين وأن نعبر عن المحبة في بيئة لا يسود فيها السلام دائماً ولا تتطلع دائماً إلى ذلك النوع من السلام الذي منحه لنا المسيح. أكرر الترحاب بكم في هذا المكان المقدس.

✠ ✠ ✠

القدس ليست بعداً سياسياً*

إننا نشعر بشكل عام، أن هناك أمراً فريداً يحصل في هـذا العـالم. في فلسطين مثلاً وفي القدس، حيث يفترض أن يكون الجميع واحداً، نرى عكـس ذلك. نعتقد أنه يجب القيام بعمل ما، ولا أدري ما هو العمل المطلـوب نظـراً لكوننا، نحن المسيحيين، مبعثرين إلى حد كبير. ما هو سبب هذه التعددية؟ وما هو هدفها؟ ــ ربما كانت هناك بعض المعايير التي لم تأخذ الواقع الفلسـطيني في الاعتبار. أما الآن، فلا أفهم سبباً لهذا التباين سوى أن يكون أحدنا ضد الآخر، وأعتقد بوجوب إيجاد صلة أقوى بين المسيحيين هناك. لا أستطيع أن أتكلم عن كرسي القدس، لأنني أمثّل الكرسي الأنطاكي، ولم نتعود وليس مما نرغب فيه أن نتدخل في الشؤون الداخلية لكنائسنا. لكن الوضع في القدس لا حدود جغرافية له في الواقع. من الناحية الروحية، كرسي القدس أكثر اتساعاً مـن أي مكـان آخر، لأن المسيحية موجودة هناك في مهدها. لقد ذكر الأسقف رياح أنـه، في حال اعتبار القدس كياناً سياسياً يجب أن تُقسم أو أن يكون فيها أكثـر مـن مسؤولية واحدة، ربما اثنتين، إحداهما تعود لأحد الأطـراف، والثانيـة تعـود للطرف الآخر. إن سؤالي الخاص هو: أين سيكون موقع المسيحيين في مثل هذه الحال؟ في أي طرف من هذين الطرفين؟ أخشى أن يصبح البعد الروحي للمدينة في وضع صعب للغاية: ففي حين تقوم، من الناحية السياسية، دول مـن هنـا وهناك، ماذا عن المسيحية؟ إننا نركز على أن المسيحية هي الديانة الوحيدة التي بدأت تاريخياً هناك. لماذا لا يقول أي من الطرفين أنها بدأت من هناك؟ إنكم إذن

* قاعة الاستقبال في الدار البطريركية، دمشق، زيارة رئيس أساقفة كانتربري، الخميس ١٩٩٩/١/٢٨

تطرحون أمراً جديداً نسبياً بمواجهة أشد الأمور واقعية في المسـيحية. إننـا لا نرغب بأن نرى هذه المدينة، مع كل ما لدينا ولدى العالم أجمع مـن صـلات معها، وقد تحولت إلى مجرد بعد سياسي مثلاً. لشد ما نخشى، وما لا ترغبون — لمصلحة المسيحية كافة في العالم أجمع — أن تصبح القـدس عاصـمة بـذات الأسلوب الذي تقوم فيه لندن عاصمةً لإنكلترا أو باريس عاصمة لفرنسا..الخ. هل يشكّل هذا الموضوع هاجساً لأي كان؟ لا نعلم ما فيه الكفاية لنقـول إن هذا البعد الخاص بوجود مدينة القدس إنما يؤخذ على محمل الجد. هذا من جهة.

ومن جهة أخرى، وبالعودة إلى النقطة الأولى من حديثي، فإن الوجود المسيحي منقسم ومشرذم إلى درجة لا يمكن معها الاعتماد عليه في تكوين أيـة حقيقة بمواجهة هذا الوضع السياسي. القدس والمواقع القديمة هي هاجسنا الذي نحياه بشكل ملموس إلى أقصى حد ونجد فيه صعوبة كبرى. ربما يكون السبب الرئيسي لوجودنا هنا هو ضرورة انتمائنا لجغرافية المسيح هنا. إذا أصبح هـذا البعد ضئيلاً نوعاً ما، نرانا مضطرين إلى أن نتساءل: هل سنصبح مـن الأنـاس الذين يطلقون صوتاً في الصحراء؟

إنني أخشى أن يعطي كلامنا الانطباع أحياناً بأن المسيح موجود أينمـا كان، باستثناء المكان الذي ولد فيه، ولا أرغب إطلاقاً بالشعور بأني لسـت في بيتي....

✞ ✞ ✞

المسيح في القدس كذلك*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

أشكر لكم زيارتكم اللطيفة التي ذكرتني بالعديد من الأمور الخاصة القائمة في ذكرياتي القديمة عن علاقتنا مع الكنيسة الانجليكانية آنذاك، هذه الكنيسة التي تتجدد الآن يوماً بعد يوم بحيث بت آمل بألا نتقادم نحن يوماً بعد يوم. يجدر بنا ألا نخشى احتمال السير في تيار الحداثة أو التجديد الذي قد نخشاه لأننا نعاني من عقدة، أو لأننا نستسيغ سهولة النظر إلى الأمور ونفضّل البقاء في المكان الذي اعتدنا عليه والذي نعرف أين يقع، وليس ذلك بالأمر العسير.

إننا نرغب الآن في التحرك قدماً كي نستطيع مخاطبة الجيل الجديد الذي يتشابه أينما كان. نأمل، ونحن نواجه الألف الثالثة، أن ننمو في الصداقة والأخوة عملياً، وأن ننمو في المسيحية، في عمق المسيحية، لأن الإيمان المسيحي هو إيمان الأفعال وإيمان قيم المحبة الخالدة، كما قال القديس بولس في (كورنثوس١: ١٣). أكرر شكري لكم وترحيبي بكم جميعاً وأتوجه إلى الأب ستيفن لأقول له بأننا سوف نستعيد أجمل الذكريات كلما رأيناه، وكم نرغب في رؤيته من وقت لآخر، بالرغم من كونه لا يتأخر في زيارتنا.

أما فيما يخص القدس، فإننا نأمل أن تكون مكاناً للتذكير بالمسيح. قيل لي مراراً إن المسيح موجود في كل مكان، وكنت دائماً أجيب بأن المسيح موجود في كل مكان عدا المكان الذي وُجد فيه. آمل ألا نصل إلى وضع نشعر

* الدار البطريركية، دمشق، كلمة ترحيبية برئيس أساقفة كانتربري، الخميس ١٩٩٩/١/٢٨

فيه وكأننا لسنا في بيتنا، في القدس، أو في الناصرة أو في بيت لحم. أرجـــو أن تستمتعوا بإقامتكم هنا، كما أرجو أن يتيح لكم برنامجكم اللقاء بالناس الـــذين يحبون مخاطبتكم والاستماع إليكم. وشكراً.

✞ ✞ ✞

يجب أن يكون حضورنا فاعلاً*

أعتقد أنه يتوجب علينا أن ننظر إلى الأمور بشكل مختلف في هذه المنطقة. نحن هنا أمام صيغة أخرى: سرني أن أسمع قول سيادتكم بألا نصرف جل أوقاتنا في الحفاظ على مؤسسة ما، إلا أني ارتحت كثيراً عندما أتيتم على ذكر كلمة «حضور» وقلتم أنه يتوجب علينا «إيجاد تعبير»، وفي اعتقادي أن المؤسسات، في العديد من الحالات، ما هي سوى تعبير عن «حضور»، سوى أسلوب للحضور في التاريخ، الذي هو باعتقادي أمر إيجابي كلياً فيما يتعلق بتجسد الرب. الموضوع لا يتعلق بمجموعة من الأفكار فحسب، بل علينا أن نواجه الواقع، لأن إرادة الله هي نزع الخطيئة من الواقع، من خلال بعض الأشخاص. الخطيئة هي واقع آخر، ويتوجب أن نعالجها ليس بالتفهم فحسب، فالتفهّم شيء رائع لا نستطيع أن نفعل شيئاً بدونه لكن التفهم وحده يشبه الحفاظ على الشيء فيزيائياً ونسيان الغاية من الحفاظ عليه، وعلينا أن نسير إلى ما بعد هذا الحد بقليل. لدينا في الشرق الأوسط، مشكلة حقيقية، ويحق لنا أن نؤمن إيماناً قوياً بتجسد ربنا، فهو لم يأتِ إلى هنا كفكرة، أو كمبدأ، أو حتى ككتاب. لقد أتى شخصياً ليتكلم مع الناس، ويحيا معهم، كونه بشراً. هذا الأمر مهم للغاية، وربما يتوجب علينا، في الدين المسيحي كما في أي مجالٍ آخر، ألا نبدو وكأننا منعزلون وبعيدون كل البعد عن أولئك الذين يتألمون ويعانون من الجوع والظلم. إننا نعلم أن المسيح وُلد في هذه المنطقة، ولد في الناصرة والناصرة

*مداخلة في محاضرة أسقف كانتربري، الخميس ١٩٩٩/١/٢٨

هي مكان جغرافي بالنسبة إلينا. لقد كان ناصرياً. الناصرة وبيت لحم والقدس هي أماكن واقعية يمكننا أن نلمسها، لا أن نقرأ عنها فحسب. هذه ليست مجرد أفكار. لو أراد المسيح أن يولد في الصين مثلاً، لكان قادراً على أن يفعل ذلك، لكنه اختار أن يكون هنا، في بيت لحم، في الناصرة. لذا لا يمكننا أن ننسى، كي نرى شخص المسيح واقعاً ملموساً، أن نضع على أعيننا المنظار المناسب. هذا هو ما نتوقعه في هذه المنطقة: أن نرى لا لاهوتاً، وإنما وجوداً. الوجود يأتي أولاً ثم تأتي سائر الأشياء حول الوجود، ونحن هنا قبل أن يكون الوجود. يجب أن ننظر إلى جغرافية المسيح كأمر علينا الانتماء إليه فيزيائياً، عضوياً. نحن للمرة الثانية لسنا أمام أفكار، ولا أمام مبادئ، نحن أمام واقع ملموس. نحن نعتقد أن الإيمان بالمسيح، أينما وُجد، يتطلب وجود هذه الأمكنة ومغزاها الذي يتزايد قوة وواقعية. هذا يشكل معنى كبيراً بالنسبة إلينا، ولا يمكن لرسالتنا أن تصل إلى الناس إلا حين يشعرون ويرون ويلمسون المسيح بنوع من السلوك. نحن نشعر في هذه المنطقة بأننا نتعرض للكثير من الظلم. نرى أناساً يُقتلون ونرى معهم مَن يأسف عليهم، ونرى ـــ في الوقت ذاته ـــ آخرين يُقتلون دون أن يأسف عليهم أحد. نشعر بوجود الظلم، ونشهد الظلم الجسدي يقع على بشرٍ جميعهم مخلوقات الله. لقد ذكرتم حقوق الإنسان، ونحن نشعر أن هناك بشراً لهم حقوق، وآخرين لا حقوق لهم يُسمح ببقائهم خارج أوطانهم، كاللاجئين مثلاً، أياً كانوا، إذ إنني أنظر إلى مبادئي وإلى العدالة في نظر الله. الآن تُلقى القنابل على الأطفال... لا يمكن أن نقبل بذلك ونعتبره صحيحاً في هذه المنطقة على الأقل، حيث عبر الله عن نفسه فيزيائياً. سوف نحتفل بالألف الثالثة للمسيحية، ونحن في كثير من الأحيان نُدعى مسيحيين خطأً، لأن الناس يتوهمون دائماً، كما في أوروبا مثلاً، أن أوروبا مسيحية، وأنا لا أؤمن إطلاقاً بذلك، ولا أرى أن لدى

مسيحيّينا الحد الأدنى من العدالة. لذا فإن المشكلة في نظري تتمثل بأن المبشر الذي يأتي إلى هنا لا يجد ما يقولـــه. هل يتحدث عن العدالة إلى أولئك الذين يتحملون الظلم؟ هل يتكلم عن راحة البال إلى أولئك الذين لا يستطيعون النوم بسلام لأنهم لا يعرفون متى سوف يُقتلون؟ لقد عشنا حتى هذه الساعة في هذه المنطقة التي كان يجب أن تكون مكاناً أمثل للعدالة، وهي في الواقع مكان يفتقر إلى العدالة. لذلك، يا صاحب السيادة، يجب أن يكون حضورنا ذا مغزى ويجب أن تكون المسيحية ذات مغزى، وأن ترى تعبيرها في خلق الله، لا في الروح أو الهواء فحسب. نحن نحتاج إلى ذلك كي يؤمن الناس. نحن نعيش وسط أخوتنا المسلمين وهم لا ينتظرون منا أن نلقي عليهم محاضرة في موضوع ما، وفي ما نؤمن به أو لا نؤمن به، ولكن من حقهم أن ينظروا إلينا ومن حقنا أن ننظر إلى أولئك الذين يحملون رسالة الحديث عن المسيح ورسالة جعل المسيح حقيقة واقعية. نشعر أن علينا أن نقوم بعمل ما، ونحن منـــزعجون فيما يخص القدس وفلسطين، وحتى فيما يخص اليهود ولا نعلم إذا كان ما تم عمله بالنسبة إليهم هو أفضل ما يمكن عمله، ربما خلق هذا العمل لهم مشاكل جديدة. إننا نسمع بما جرى في العراق وما جرى في لبنان، وهذا قريب منا للغاية بشكل يجعلنا نعي يومياً تلك الحقائق. إذا لم يرَ الناس تعبير إيماننا في الواقع، فأين يمكن التعبير عن الإيمان؟ أعَلَى الورق؟

✞ ✞ ✞

لنا تقاليدنا، ولنا ثقافاتنا*

إني أتصوّر بأن الكنائس، بتعددية مراجعها، تساهم في تعقيد حياة الكنيسة وأبنائها، وإني لا أفهم سبباً للاختلافات القائمة فيما بينها. ليس من قبيل الصدفة أن السيد المسيح اختار اثني عشر رسولاً لا رسولاً واحداً، وهذا يعني أنه وافق على وجود اثني عشر شخصاً لكل منهم رأيه وطبعه وأسلوب تفكيره، فما بالنا نخشى محبة الشخص الذي لا يفكّر كما نفكّر نحن. أود أن أشكر سيدنا زكا وأخبر الجميع أننا عنده نكون في بيوتنا، وأن اتفاقنا معه ليس مجرد اتفاق، لكنه واقع نلمسه ونسمعه.

لسنا الوحيدين على وجه الأرض ولن نكون الوحيدين في السماء. جميعنا نعتقد أن المسيح شخص واحد ونؤمن بأنه إله كامل، فأين المشكلة؟ الانقسام لا ينتج عن العقائد، وجميع الخلافات أمور كنسية سببها العنصر البشري الذي يجب ألا نؤلهه وإن كنا لا نستغني عنه. ليس بإمكانك أن تحب كنيسة لا تضم إلا الملائكة، بل عليك أن تحب كنيسة تضم البشر وأن تحب أولئك البشر. من قال إنك لا تستطيع أن تذهب إلى البحر قبل أن تتعلم السباحة؟ يجب عليك أن تذهب إلى البحر لتتعلم السباحة. عندما يحب واحدنا الآخر ويتحاور معه، يكون بمقدوره أن يصلح ذات البين. لدينا نحن مشكلة خاصة لا يعرفها مَن يأتون من اليونان أو سواها مثلاً، فهؤلاء يعتقدون أن هنالك تقليداً ثقافياً واحداً، وهذا الأمر لا ينطبق على منطقتنا التي مرت فيها

* بطريركية السريان الأرثوذكس، دمشق، أثناء زيارة بطريرك الاسكندرية بطرس السابع، الخميس ١٩٩٩/٢/١٨

تيارات حضارية متعددة علينا أن ننتمي إليها ونحافظ عليها لئلا تصاب شخصيتنا بالنقصان. لسنا كلنا بيزنطيين ولسنا كلنا سريانيين، وإذا لم نعترف بأننا هـذا وذاك معاً لا نكون صادقين، ولهذا ندعو للحوار. نحن أقلية في الشرق الأوسط لا نتوقع أن يكون لدينا اكتفاء ذاتي. نحن لا نمارس الاقتناص، لكننـا لا نريـد أن نخسر أبناءنا لأي سببٍ كان.

نحن بحاجة إلى أن نكون هنا، ولا نفرض شيئاً على أحد، لكننا نعمل ما هو في صالح الجميع وفي صالح المسيحية في هذه المنطقة. اتفقنا عملياً مع إخوتنا السريان، لكننا لا نعلن أننا توصلنا إلى الوحدة الكلية. عندما ألتقي مع سـيدنا البطريرك زكا، نقول معاً إننا لا نقيم الليتورجيا سوية، لكن واحدنا يحل محـل الآخر عندما تدعو الحاجة.

نحن نعتقد بأننا كنيسة واحدة. خلال الحرب اللبنانية التي دامت سبعة عشر عاماً عانينا سوية مع السريان والموارنة والكاثوليك وجميع المسيحيين. وليس بإمكاني أن أقول عن الحاضر أمامي إنه غائب، ولا عن الغائب عني إنه حاضر أمامي. إذا أنت تلوتَ دستور الإيمان مع البروتستانتي أو المسلم لا تكون قد حققت الوحدة، فلنكف عن تعريف الأمور بشكل خاطئ. الفروق كانت موجودة حتى في الكنائس القديمة، والآراء كانت مختلفة. واكتشاف الشرقيين أنهم يختلفون عن الغربيين لم يحصل فجأة.

علينا أن نغيّر ما بأنفسنا، وكم يعجبني مفهوم أوريجنيس للخلود، فهـو لا يؤمن بالجحيم بل يؤمن بأن رحمة الله ستكون الأقوى دائماً. لقد تغيّر التاريخ ولم تعد بيزنطة موجودة، وعلينا أن نكون واقعيين لئلا نُعزَل عن الوجود. أيـن الأناضول وأين الأمكنة التي عاش فيها القديس أوغسطينوس. علينـا أن نفـتح أعيننا ونعي أننا مخلوقات الله ونرى الناس ونتحدث إليهم.

احترام المخلوقات احترام لخالقها*

من مدة قصيرة حصلت تحركات في أميركا كان همها أن تقول إن الأقليات المسيحية في الشرق الأوسط هي أقليات مضغوط عليها لا تنعم بحريتها، وكانوا بذلك يشيرون ـــ بالدرجة الأولى ـــ إلى وضع الأقباط في مصر. كان علينا أن نعبر عن أسفنا ونقول إنه لا يزال في مصر حالات يعامل فيها المسيحيون على أساس الخط الهمايوني أيام العثمانيين. الأقباط تسعة ملايين وكانوا في مصر قبل الجميع. الأقباط هم المصريون، اسم الواحد منهم قبطي أي مصري. الوجوه التي نجدها في الرسوم الموجودة من أيام الفراعنة هي وجود الأقباط. الأقباط ليسوا ضيوفاً ولا حديثي العهد وقد وجدوا قبل الجميع في مصر. ألم تستطع الحكومات التي تعاقبت بعد العثمانيين أن تغيّر ولو قليلاً من قوانينها؟.

في سورية إذا أردنا أن نبني كنيسة علينا أن نقوم بذات الإجراءات التي يقوم بها المسلمون لبناء جامع، لا أكثر ولا أقل، ولذلك تشهدون قيام الكنائس عندنا. نحن لا ندفع ثمن الكهرباء ولا الماء بوصفنا أوقافاً كغيرنا من الأوقاف. لسنا غرباء في بيوتنا، وكثيراً ما نتكلم وننتقد ونقاتل كما يحصل داخل البيوت الواحدة. هذا هو بيتنا، وليس لنا بيت سواه، وهذا هو حالنا، نحن الشرقيين، أباً عن جد. لسنا مستورَدين وليست لنا مراجع في مكان آخر. ليست لدينا

---

* دار الشيخ أحمد كفتارو، مفتي الجمهورية العربية السورية، دمشق، أثناء زيارة بطريرك الاسكندرية بطرس السابع، الخميس ١٨/٢/١٩٩٩

مشكلة تدعو إلى ما تكلّم عنه الكونغرس الأميركي وإلى إرسال أشخاص للوقوف على مثل هذه المشكلة.

لدينا أشخاص صالحون كما لدى المسلمين أشخاص صالحون، ولدينا أشخاص طالحون كما لدى إخوتنا المسلمين أشخاص طالحون، وربما بعدد أكبر لأن عدد المسلمين أكبر، وخير شاهد على ذلك هي السجون.

يا صاحب السماحة، أنا لا أعرف المسلم من الكتاب لأنه ليس كتاباً. المسلم حاضر أمامي بحيث أستطيع أن أراه بوضوح. أنا لا أستعيض عن معرفة شخصكم المحبوب بأية معلومات أستقيها عنكم من مصدر آخر. ما دمنا موجودين معاً يجب أن يقرأ واحدنا الآخر، لا أن يقرأ عنه. يظن بعض المسيحيين ممن لم يسبق لهم أن التقوا مسلماً أن المسلم قد يكون مختلفاً عنهم. كما يظن ذلك بعض المسلمين الذين لم يلتقوا مسيحياً... وما ذلك إلا جهلٌ يجب أن يحارَب. نحن نكتشف ما هي نعمة الله عند سماحة المفتي ونسمعه ونراه. احترام المخلوقات هو احترام لخالقها ومحبة المخلوقات هي محبة لخالقها.

نحن نخلط أحياناً بين الكلمة والشخص الذي تفوّه بهذه الكلمة، فإذا لم تعجبنا الكلمة لا يعجبنا قائلها، وهذا خطأ لأن كل إنسان يصدر عنه ما يعجب وما لا يعجب، وكل ما نراه هو من صنع الله الذي قصد أن يكون، لأن الشيء لا يكون إذا لم يقل له: كن.

✟ ✟ ✟

الكنيسة ليست مدرسة، إنها عائلة*

نحن اليوم في غاية السعادة إذ نستقبل غبطتكم في هذا المكان المبارك. نحن نعرف من أنتم، كما أننا نعرف أن الله أعطاكم موهبة القدرة على أن تكونوا أباً حقيقياً لشعبكم. لقد جعلتم من شخصكم الكريم أداة من أجل أن يحب الناس الكنيسة الأرثوذكسية المقدسة.

والآن، هؤلاء الذين يستقبلونكم، يا صاحب الغبطة، إنما هم شعب هذه الكنيسة الأرثوذكسية في الكرسي الأنطاكي المقدس. هذا الشعب تعلم من كنيسته الأرثوذكسية أن يحب بعضه بعضاً، فأصبح ـــ نتيجة لذلك ـــ متحداً على الدوام في إيمانه وفي انتمائه. هذا الشعب يحمل في تاريخه كل تاريخ الأرثوذكسية في هذه المنطقة. في وقت من الأوقات، ظن البعض أن الأرثوذكسية أصبحت ظلاً للواقع الأرثوذكسي لا أكثر، وربما وُجد بين أبنائنا الأرثوذكسيين في أماكن أخرى، من كان يجهل أن هنالك شعباً أرثوذكسياً في المنطقة التي نعيش فيها. نحن هنا شهادة حية على أن الأرثوذكسية لم تغب يوماً من الأيام أو دقيقة واحدة عن هذه المنطقة.

بقي هذا الشعب أرثوذكسياً بمحافظته على الأسرة، لأنه لا يفهم الأسرة إلا إذا كانت بنعمة الله وبروحه القدوس. نحن لا نقبل أن يكون بيننا طفل واحد

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، صلاة الشكر بمناسبة زيارة رئيس أساقفة اليونان خريستودولوس، الأربعاء ١٩٩٩/٤/٢١

لم يأخذ هويته الحقيقية في المعمودية على اسم الآب والابن والروح القدس. نحن عرفنا معرفة فعلية لا نظرية أن في الكنيسة أمراً يجب أن يحياه الإنسان لا أن يكتفي بالإطلاع عليه. لذلك، يمكننا أن نقول إننا ننفذ الأرثوذكسية بصورة فيزيائية، وقد أثبت التاريخ أن هذا الرباط أمتن من أي رباط آخر.

هذا الشعب يحبكم، يا صاحب الغبطة، ولا يجب أن يكون غريباً عنكم أو أن تكونوا غرباء عنه. الأرثوذكسي عندنا أرثوذكسي أينما وجد ومن أي مكان أتى، ورباطنا الكنسي لا يقل قوة عن رباطنا العائلي. عندنا أناس يواجهون الكثير من الصعوبات، كسائر الناس في العالم، لكنهم يتمسكون بوجوب أن يتعمد جميع أفراد الأسرة وأن تكون كل زيجاتهم مباركة، وان يكون جميع كهنتهم شرعيين قانونيين، أي أن يكونوا تماماً كما تريد الكنيسة الجامعة أن يكونوا.

بهذا الواقع نستقبل غبطتكم اليوم ونقول لكم إننا — نحن الإكليريكين — لا نكتفي بأن نحب شعبنا بل نخدمه كذلك، وإن السيادة عندنا هي خدمة، كما قال الرب يسوع. أبناؤنا يحبون كهنتهم ويحبون أساقفتهم، وربما كانوا يحبون بطريركهم: أقول ذلك لأني أعرف أنني أخاطب إكليريكياً وضع أبوة الشعب في المرتبة الأولى، أي أنه شدد على أن الكنيسة ليست مجرد مدرسة، لكنها قبل كل شيء أسرة يعرف كل من أبنائها أن الآخر هو أب أو أخت أو ابن، وما إلى ذلك.

إننا نتوقع من غبطتكم البركة في هذه الفترة، راجين أن تعتبروا أي تقصير من جانبنا دلالة على أننا لسنا كاملين، لكننا — ببركتكم — سنكون جاهزين لكل أمر.

أهلاً وسهلاً بكم، وشكراً.

نكره الأفعال وليس الشخص*

أود، يا أحبائي، أن أعلّق على بعض ما سمعناه، وبصورة خاصة على آية «أحبوا أعداءكم» التي أشار إليها صاحب الغبطة خريستودولوس، هذه الآية التي أرى ألا تمر دون أن يرافقها شيء من الإيضاح والتفسير.

قد يفهم البعض من هذا القول أن عندنا أعداء. عدونا الصريح هو إسرائيل، ولا شك في أن صاحب الغبطة، عندما قالها، لم يخطر في باله على الإطلاق التفكير بعشق إسرائيل. على أي حال، هذه الآية وردت في الكتاب المقدس رداً على الاعتقاد اليهودي الذي يقول: «أحبوا الذين يحبونكم وأبغضوا الذين يبغضونكم»، والقصد الحقيقي من وراء قول «أحبوا أعداءكم» هو الرد على اليهود بالقول: إذا كان الله هو الذي خلق الإنسان، كل إنسان، فلا يحق لك بأن تكره أية خليقة من خلائقه. أعلّق على ذلك خصوصاً لأن الإنسان دائماً أكبر من أعماله، صالحةً كانت أم طالحة، لأنه من صنع الله بينما جميع أعماله من صنع الإنسان. هذا هو الأمر الذي يجب أن نوضحه والذي يتضمن في اعتقادي شيئاً من الفائدة.

هنالك نقطة ثانية تحتاج — في نظري — إلى شيء من الإيضاح هي «المشاركة بالإلهيات». المشاركة بالإلهيات لا تعني المشاركة بالإله، لأن الله يبشّر بالحياة الصالحة، ولأنه مطلوب منا جميعاً أن نتوجه إليه لنهتدي إلى طريقه لا

* دار الإفتاء، دمشق، أثناء زيارة رئيس أساقفة اليونان خريستودولوس، الخميس ١٩٩٩/٤/٢٢

لنصبح جزءاً منه. الله لا يتجزأ. يجب ألا نفهم أن بمقدور أي كان أن يكون هو الله... هذا غير صحيح على الإطلاق في تفكيرنا. نحن، عندما نـذكر العفـة، نذكرها لأنها عند الله ومن الله، وكذلك العبادة الصالحة وما شـابهها، كلـها نأخذها من الله، لكنه يتعذر علينا أن نصبح بدلاء عنه. هذا شرك يجب إيضاحه آمل أن أكون قد نجحت في إيضاحه. أنا أعترف بأننا نجتمع بصـورة طبيعيـة، لكننا لا نجتمع ــ في الواقع ــ إلا لنعبّر عن المحبة. كنت اليـوم أتحـدّث مـع صاحب الغبطة وأقول له إن المحبة يجب أن تأتي دائمـاً في المقـام الأول ليـأتي الحديث من بعدها، لأن للحديث المنبثق عن المحبة منطقاً معيناً، وللحديث غـير المنبثق عن المحبة منطقاً آخر. النوع الأول من الحديث يجعلك تفتش عما تحبه عند محدثك، والنوع الثاني يجعلك تفتش عما لا تحبه عند محدّثك. شكراً لصـاحبي السماحة والغبطة اللذين أتاحا لي أن أقول ما قلت.

يا صاحب السماحة،

ليس من إنسان يستحق ألا نحبه، ويطيب لي أن أضيف بأن الذي يقول بوجود بشر يجب أن نكرههم مئة بالمئة هو إنسان يقول إن الله أخطـأ عنـدما خلقهم. الله لا يصنع الشر ولا يخطئ. علينا أن نعود إلى الفكرة التي تقول بـأن من حقنا أن نكره أفعال الشخص، ومن واجبنا أن نكره الخطأ والشـر، لكـن الإنسان يبقى فوق كل ما يمكن أن يقول وأن يفعل. هذا أمر جد أساسـي في العقيدة المسيحية.

قد تكون هنالك نقطة أخرى جديرة بأن نشير إليها وهي أننا عنـدما نجتمع ونتأمل قليلاً في علاقاتنا بالله، يتضح لنا أن «الله لم يره أحدٌ قط» لأنه لا يقع تحت الحس. لذلك يجب ألا نساوي الله ــ عز وجل ــ بما نقول عنه، لأن

القول هو قولنا واللغة هي لغتنا. أما الله فإنه يتجاوز جميع هذه الأمور، وعلينا بالتالي ألا نحكم عليه ونصنع له صوراً نقول بأنها تمثّله. هذا خطأ أساسي ومنطلق خاطئ. كلامنا نحن محدودٌ ومعانيه محددة في القواميس. أما الله، فإنه غير محدود، وهو لا ينحصر لا في كلمةٍ ولا في تعبير ولا في قاموس. القول الوحيد الصادق مئة بالمئة، عندما نتحدث عن العزة الإلهية، هو قولنا دائماً: المجد لله.

المعلومات مع صاحب الغبطة رئيس الأساقفة، والأمور — كما أعتقد — ليست بيد الكنيسة التي تجهل ماذا يفعل السياسيون. مَن مِن السياسيين هو الذي يصلي عشر ساعات في الكنيسة ليذهب في نهايتها إلى القتال؟ ومن منهم هو الذي يمسك بالقرآن الكريم ليعرف ماذا يريد الله؟ أنا كنسياً أؤكد وأصرّ على التأكيد بأن الكنيسة وقفت دائماً ضد ممارسة العنف على أي كان، وبأنها لا تعتقد أن غير المسلم يعني المسيحي بالضرورة. البلد كان شيوعياً ولا نستطيع أن ننظر إليه بالاستقلال عن ماضيه. نحن واثقون من أن الكنيسة تصلي على الدوام، وهي — على الدوام — تعلّمنا أن نحب حتى أعداءنا بعكس ما يعلّمه اليهود. هذا هو ما تستطيع الكنيسة أن تفعله، وهي تفعله دائماً. لا تتوقعوا منا أكثر من ذلك، ولا تتوقعوا أن يكون عندنا مدافع وبنادق أو أي شيء من هذا القبيل: «ليس الصليب حديداً كان بل خشباً» كما قال أحمد شوقي. شكراً.

✞ ✞ ✞

شعبنا غيور ومحب*

صاحب الغبطة، أرحب بكم في هذه الكنيسة المقدسة باسمي وباسم هذا الشعب الذي يجب أن أقول إنه شعب يحب الكنيسة وهو غيور على أرثوذكسيته يحاول أن يكون من أول الشعوب الأرثوذكسية في انتمائه وممارسته الحياتية.

إن هذه الكنيسة المنتصبة في قلب دمشق العريقة تجمع أبناء الرعية على نطاق واسع. كان هؤلاء المصلون منذ سنوات عديدة يؤمونها لسماع صلوات الكاهن والتراتيل وفي مقدمتها الصلاة الربانية ودستور الإيمان، وكانوا منذ ذاك يمارسون الصوم بنسبة كبيرة نأمل أن تصبح كاملة عما قريب.

نحن، في كنيستنا الأنطاكية المقدسة، نحتاج إلى وقوف كل الكنائس معنا، نحتاج إليكم إخوة في المعمودية لتنمو بين أبنائنا قربى من نوع خاص تزداد يوماً بعد يوم.

لقد دلّت الأيام التي كان فيها واحدنا بعيداً عن الآخر على أن جسد الرب الذي نتناوله واحد، ودمه الذي نشربه واحد. شعبنا سعيد، وسعادتي أنا أعظم بأن يتم اجتماعنا هذا في إطار القيامة المجيدة التي نرتل لها معاً وباللغتين: «المسيح قام»، «خريستوس انستي».

سبق لي أن قلت في هذه الكنيسة إننا كثيراً ما نتكلم عن الإيمان والمحبة. هذا أمرٌ جيد، ولكنه ليس جيداً ألا نتكلم عن الرجاء، والقيامة هي أصل الرجاء، لأنها تعني الغد أكثر مما تعني اليوم. أرجو أن تذكروا هذا الشعب في صلواتكم ليعطيهم الله الآب وروحه القدوس نعمة الرجاء في الغد.

---

* كنيسة الصليب المقدس، دمشق، زيارة رئيس أساقفة اليونان، صلاة الغروب، السبت ١٩٩٩/٤/٢٤

تلمذوا كل الأمم*

نشكر لغبطتكم ما قدّمتم لنا من هدايا لن نكتفي لقاءَها بأن نقدّم ما قدّمناه من قلوبنا، بل نقدّم غداً صباحاً هدية من صنع هذا البلد. تكرّمتم بدعوتي لزيارة كنيسة أثينا، وأنا مستعد لأن ألبي هذه الدعوة رغماً عن أنني زرت أثينا مرات عديدة. علاقات كنيستنا والكنائس الأرثوذكسية الأخرى بكنيسة أثينا بصورة خاصة غير مطروحة للبحث عندنا على الإطلاق، وليس هنالك إلا مكانان اثنان لا يمكننا أن نذهب إليهما: أولهما القدس التي لا تجهلون ما هي حالنا معها، والثانية هي مسرح الحرب القائمة، يوغوسلافيا. ليست الأسباب، التي تمنعنا من الذهاب إلى هذين المكانين، كنسية على الإطلاق، ونحن في الكرسي الأنطاكي نعيش بحالة شوق دائم لأن نرى أخوتنا ونجتمع بهم، ونمني النفس بأننا متأصلون في المجمعية. نعتقد، من الناحية اللاهوتية، أننا ربما كنا تجسديين نؤمن باللقاء والمواجهة وتبادل الكلام أكثر من سوانا، كوننا أقرب جغرافياً إلى المكان الذي حصل فيه التجسد الإلهي.

أشكر لكم دعوتكم التي سألبيها حتماً عما قريب، ويتعذر علي أن أتصف بكل ما تكرمتم بنسبته إلي، وإن كنت أتحلى بشيء من ذلك. ذكرتم أن الله ليس لفئة معينة — كما قال الرسول برنابا — ونحن نؤمن بذلك بدون أدنى تحفظ، لأننا نؤمن بأن المسيح لكل خليقة على الأرض دون أن ندعي بأننا نعرف

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، زيارة رئيس أساقفة اليونان، الأحد ١٩٩٩/٤/٢٥

كيف يدبر الخلاص لكل منا. العالم متنوع والخلاص متنوع وطرق الرب متنوعة كذلك، ولذلك نشعر هنا أن الله موضوع للنشر لا للحفظ. «اذهبوا وتلمذوا كل الأمم» لم يقل اذهبوا وناموا على ما أُعطي لكم. نحن في هذه المنطقة شركاء في التراث الإغريقي فالكثيرون من المفكرين الذين تكلموا الإغريقية متحدرون من هذه المنطقة، وتاريخ اليونان القديم مرتبط، فكرياً وعلمياً، بكثير من الأماكن هنا. يمكننا أن نذكر، مثالاً على ذلك، عالم الرياضيات طاليس، ونذكر بصورة خاصة أن أرسطو نفسه قد أتانا وحط قريباً من طرطوس. نحن لذلك إذا أردنا أن نتعمق في دراسة موضوع معين، ننصب على التراث الإغريقي لأنه مشترك بيننا بالفعل. أؤكد لكم أن الثقافة عندنا إغريقية من هذه الناحية أكثر مما هي رومانية: نحن مرتبطون عضوياً وسنبقى كذلك. سنذهب إلى أثينا وسنتعلم منكم لأننا نعرف مَن أنتم ونعرف أن الروح القدس الذي نجهل كيف يعمل هو الذي عمل ليكون شخصكم الكريم يشغل هذا المركز الهام.

قلتم إن الإنسان يعيش حالياً حالةً من الضياع، وأنا أشعر أن هذا الإنسان لا يقرأ إلا ما تفرضه عليه العلوم الحديثة ووسائل الإعلام الحديثة، ولا يفكر إلا بذلك، ولا يجتمع إلا من أجل ذلك، فلا أستغرب ـــ والحالة هذه ـــ أن يعجز هذا الإنسان عن الصمود في وجه هذه العلوم والوسائل. أرى أن يرتفع صوت الأرثوذكسية أكثر مما يُتاح له الآن ليكون لدى مَن يسمعونه الخيار في التفكير. عندنا أفكار جيدة بالتأكيد، لكننا يجب أن نوصل هذه الأفكار إلى الناس، وربما كفانا لتحقيق ذلك أن تكون لقاءاتنا في الكنيسة الأرثوذكسية أكثر مما هي الآن. قال الرب يسوع «طوبى للذين آمنوا ولم يروا» ولم يقل «طوبى للذين أحبوا من بعيد». نحن نريد أن نحب من قريب.

أطال الله بعمرك، يا صاحب الغبطة، لنحمل بركتك وقتاً طويلاً طويلاً.

هذا الشعب قلما يتكلم، لكنه يعرف أن يحب، ولو لم يكن كذلك لما كان في هذه الكنيسة المقدسة التي قصدها للتعبير عن هذه المحبة. شكراً لكم على البركة التي منحتموها له، وإلى سنين عديدة.

✞ ✞ ✞

كلمة شكر*

الله معكم.

أعتقد أننا جميعاً نود أن نشكر قداسة البطريرك المسكوني. هذه أول مرة في التاريخ يأتي فيها بطريرك مسكوني إلى هذه المنطقة. لذا ندين لـــه بالامتنـــان لمشاركتنا احتفالاتنا.

هذا يوم عظيم لأن الكنيسة الأرثوذكسية جمعاء تعيد معنا حتى نهايـــة السنة ٢٠٠٠، أي أنها تستقبل الألف الثالث ابتداءً من هذه المنطقة وابتداءً مـــن انطاكية. هذا حدث عظيم فريد لم يسبق أن حصل في التاريخ، ونحن نعتز بـــه كل الاعتزاز.

نشكركم ونشكر راعيكم سيدنا الياس ونتمنى أن يشارككم دائمـــاً في مثل هذه الاحتفالات ونسأل له طول العمر.

تذكروا، يا أبناءنا في هذه المنطقة، أنني عندما أتيت إليكم منذ سنوات قليلة، قلت لكم: لن ننساكم. وها أنا أرددها اليوم: لن ننساكم وسنكون دائماً إلى جانبكم، وبركة سيدنا لن تفارقكم إطلاقاً إطلاقاً. إنكم عزيزون على قلوبنا وسوف تبقون كذلك بإرادة الله. سنتابع طريقنا إلى أنطاكية بصحبة العديـــدين منكم. نحن ذاهبون إلى أنطاكية وسوف نصلي هناك.

*الاسكندرونة، الاثنين ١٩٩٩/٦/٢٨

الحوار مِحَك الأُخُوَّة*

سيادة الكاردينال، أيها الأحباء، يسعدنا أن نستقبلكم ونشكر لكم زيارتكم ونتمنى أن يكون ما تتوقعونه من هذه الزيارة قابلاً لأن نقدمه لكم لكي تحقق رحلتكم غايتها المنشودة. أهلاً وسهلاً.

أشكر سيادة الكاردينال على كل ما تفضل به، فقد قال عن الكنيسة الأنطاكية أكثر بكثير مما يمكن قوله في مثل هذا الاجتماع القصير، وهذا أمر لا يفاجئني لأن أشخاصاً مثل سيادته يأتون من الغرب وهم يعرفون عنا أكثر مما نعرفه نحن عن أنفسنا. أود أن أؤكد أننا — من جانبنا — نعرف أن ميلانو تعني لنا شيئاً خاصاً: فهي التي أعطتنا ما نستخدمه اليوم من الخدم الإلهية في صلواتنا وهي التي علّمتنا أن نكون جوقين في الكنيسة ونتبادل الأنتيفونات. القديس امبروزيوس هو قديس بالنسبة لكنيستنا أيضاً، ونحن غير منفصلين روحياً عن كنيسة ميلانو بصورة خاصة، ولا نريد في النهاية أن نكون منفصلين عن أية كنيسة أخرى. نحن مؤمنون بأننا مدعوون في النهاية لأن نكون كلنا مع الكل وبأنه لا يمكن لأحد أن يحل محل الكنيسة في الغرب، كما أن الكنيسة الشرقية كذلك لا يمكن أن يحل محلها أحد في الشرق. ربما نكون قد وصلنا في هذه الأيام إلى شيء من القناعة في هذا الاتجاه. نحن، في هذه المنطقة، نحمل تاريخاً طويلاً، كما سمعتم أيها الأحباء، ونعيش عيشة قلما تعرف السلام والراحة. هذه الكنيسة التي نحن فيها الآن تعود إلى أواخر القرن التاسع عشر يوم كانت قد

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، زيارة كاردينال ميلانو، الثلاثاء ٩/١١/١٩٩٩

هدمت وأعيد بناؤها للمرة الخامسة. لا أريد أن يُفهم من ذلك أن الكنائس هنا في حالة صعبة جداً، فأنا لا أعرف على وجه الأرض كنيسة لا توجد في حالة صعبة، كما لا أعرف على الإطلاق أن المسيحية دُعيت لأن تكون في وضع سهل في هذا العالم، بل دعيت لأن تصارع من أجل أن تكون الخليقة خليقة القيامة في النهاية.

ما هي خاصية الكنيسة الانطاكية اليوم؟

في كل مكان يمكن أن نقرأ أن بولس الرسول اهتدى إلى الإيمان المسيحي في دمشق، لكن ما هو خاص جداً هو أننا الوحيدون الذين نستطيع القول إنه اهتدى إلى المسيحية هنا. نحن لدينا جغرافية للمسيحية، ونحن نعيش على الأرض التي مشى عليها بولس الرسول، ونعرف أن سيدنا له المجد كان في نواحي صور وصيدا إضافةً إلى الناصرة وبيت لحم والقدس. هذا بالنسبة لنا واقع ملموس لا مجرد كلمات. اللاهوت الذي نما في الشرق والغرب ينطلق من الفكر كما لو كنا مجرد عقول. نحن، في الكرسي الانطاكي، نشعر بأننا يجب أن نصنع اللاهوت بأعيننا وآذاننا وبحسنا، وألا ننسى أن الذي خلق العقل خلق الحس أيضاً. هل أصبحنا في العالم المسيحي نميز بين ما هو روحي وما هو جسدي؟ هل نحن من الجماعة التي تعتقد بطبيعة واحدة هي الطبيعة العقلية الفكرية؟ نحن نعتقد اليوم أننا في لاهوتنا يجب أن نكتشف الإنسان كما خلقه الله: عندما نقول إنه روح وجسد لا نتكلم عن شيئين منفصلين. لذلك نحن نؤمن بأن علينا أن نعبد الله روحاً وجسداً وأن نحب الناس روحاً وجسداً، وألا نعتقد كبعضهم بأن ما هو محسوس هو نجس. نحن نعتقد بجدية كاملة أن من أهم قواعد المسيحية الاعتقاد أن ابن الله الوحيد قد أخذ طبيعة الإنسان كاملة. نحن أبناء عقيدة

التجسد، وهذا شيء أساسي لا مسيحية بدونه. نحن ننظر إلى الكائن البشري من كل نواحي حياته، ليس جسداً بدون روح، ولا روحاً بدون جسد. هذا يقودني إلى أن أتكلم عن المسيح كما نراه. يقول الكثيرون اليوم: إذا قرأت الكتاب المقدس، تعرف كل ما يجب أن تعرفه عن ابن الله الوحيد المتجسد. ولكن هنالك خطر إذا نحن اكتفينا بقراءة الكتاب المقدس وحده. علينا أن نعرف حقيقة الكتاب المقدس وواقعيته: الأسماء التي ذكرت: دمشق، صور وصيدا، بيت لحم، الناصرة، فلسطين والقدس ليست بالنسبة إلينا، أفكاراً، بل وقائع إذا مُسَّت تُمس المسيحية مباشرة. قد يستغني الكثيرون عن هذه الأسماء ويكتفون بالقراءة عنها وكثيراً ما نسمع بأن المسيح موجود في كل مكان. هذا صحيح، ولكن ليس صحيحاً أنه موجود في كل مكان ما عدا المكان الذي ولد فيه والأرض التي عاش فيها. يجب ألا يغيب التجسد عن فكرنا وحياتنا وألا نقع في عقيدة الطبيعة الواحدة التي هي هرطقة.

هذا يقودنا في الكنيسة إلى مغزى آخر هو كيف نعيش في هذه المنطقة. عندما نعتقد أن الإنسان هو كيان كامل، محسوس، معنى ذلك أننا يجب أن نفتح أعيننا على الناس: ليس من كائن بشري نراه هو غير مخلوق من الله تعالى. عندما تقول المسيحية أن نحب بعضنا بعضاً، كلمة «بعض» هذه تعني: يجب أن نحب الكل. لا يوجد إنسان على وجه الأرض لسنا مدعوين لمحبته. وليس جائزاً أن يكون هناك مَن يتعذب ويجوع ونحن نقف مكتوفي الأيدي لا نسأل عنه. هذا يأتي مباشرة من عقيدة التجسد ومن أن الله هو واحد وهو الخالق وحده. هكذا نُحَدِّث مَن نعيش معهم من أبناء الديانات الأخرى، فنقول لهم: أنا مختلف عنك في الديانة، ولكن الله أرادني أن أكون كما أرادك أنت.

معنى الحوار لدينا هو بالضبط أن نعتقد أننا كلنا خليقة الله ومدعوون لأن نكون معه. نرى اليوم بين الكنائس أناساً يحبذون الحركات المسكونية وآخرين لا يحبذونها، فنحن، انطلاقاً من عقيدتنا التجسدية لا نعرف واحداً يجب ألا نكون في حوار معه، وخاصةً إذا كان مسيحياً ومن أية طائفة. نحن، في الكرسي الانطاكي، نشجع الحوار بين الناس، وخصوصاً بين الكنائس. بالحوار يشعر الإنسان أن الآخر حاضر أمامه وليس غائباً عنه وعن اهتمامه وعن أفكاره. الغياب هو نوع من الموت، والحوار هو الحضور، والحضور للكائن الحي.

أنتم تأتون من عالم كنا نجهله وكان يجهلنا، ومَنَّ علينا الله بتطورات سهلت علينا الاتصالات أكثر من الماضي، وسهلت أن نراكم وترونا، وغاية كل حوار أن تصبح مع الآخر ولا تبقى بعيداً عنه. إن رسالتنا في الكرسي الانطاكي في هذه المنطقة هي أن المسيحية، بالنسبة إلينا، واقع وأن علينا نحن أن نجسد هذا الواقع. علينا أن نسعى ألا نكون عاراً على هذا الواقع. لأن الكثيرين في هذا العالم يسيئون للمسيحية ويكرهونها في أكثر الأحيان! ونحن مسؤولون عن ذلك. علينا أن نكون صادقين في التعبير عن المسيحية عندنا.

كنا في الماضي أكثر عدداً بكثير و لم نبرهن أننا مسيحيون حقيقيون ليس بيننا مَن يكره الآخر. هكذا انقسمنا، وهكذا بنيت الكنائس الواحدة نكاية بالأخرى لا حباً بالمسيح، وهكذا فُتحت المدارس لكي تقول للمتعلمين: يجب أن تنسوا الآخرين وتلغوهم. لذلك فالعمل المسيحي الذي حصل هنا لم يحصل شهادةً للمسيح بل ليعطي صورة سيئة. سلوا إخوتنا العائشين معنا عن ذلك. أنتم اليوم موجودون في كاتدرائية أرثوذكسية، وهذا لم يكن ممكناً منذ سنوات.

يبدو أن عملية الروح القدس تأتي بتصميم من الله وليس من عندنا نحن. اليوم كلنا مع بعضنا البعض، ونعرف أننا نحتاج أحدنا الآخر ونحتاج إلى أن نشهد شهادة واحدة أمام غير المسيحي، وأن الخطيئة هي أن تقول إن الله محبة وتكره الآخر. اليوم الكنائس كلها تجتمع وتلتقي، وليست عندنا عداوات كما كانت منذ سنين. نحن المسيحيين نحب بعضنا البعض ونسير مع بعضنا البعض ونتقاسم الهموم كما الأفراح. صار غيرنا يعرف أننا أسرة واحدة في النهاية، وقد نكون النواة التي تظهر فيها الوحدة بأجلى معانيها.

الوحدة ليست أن تُلغى أنت أو ألغى أنا. الوحدة المسيحية في العالم هي ليست إلغاء لأحد، بل محبة للجميع. والمحبة ليست كلمة ولا مجرد عاطفة، هي التي تجعلنا نقترب من الآخر وتجعل في كياننا مكاناً للآخر، فيصبح هو أنت وتصبح أنت هو. إن خبرتنا المسيحية هنا هي في هذا الاتجاه وهذا الواقع. نريد القدس، نريد الأراضي المقدسة، ونخاف أن تبقى المقدسات في أيدي الحكومات وحدها. الحكومات ليست كنائس ولا تعتقد بالضرورة بقداسة الأراضي، وليست بالضرورة تعتقد بمرور بولس والمسيح هنا. أين صوت المسيحيين خارج أصوات الحكومات في هذا الموضوع؟ هل يصبح الكل متجسداً مثلاً في فلسطين، في لبنان، في دمشق ما عدا المسيح؟ نخاف أن تسير الأمور في هذا الاتجاه، لكننا نسأل الله ألا يكون ذلك ونصلي من أجل ذلك. المسيح موجود هنا ولا يجب أن يبقى مجرد ذكرى من بعيد. نحن نحمله في قلوبنا برغم خطايانا، وقد تقدس تراب هذه المنطقة بخطواته، ولا يمكن لأي مكان على وجه الأرض أن يحمل القداسة بقدر الأرض حيث تجسد وحيث عاش وحيث مات.

نسأل الله، بهمتكم جميعاً، ألا تصبح المسيحية في أرض المسيحية مجرد

ذكرى. أعتذر أنني تكلمت أكثر من المطلوب، ولكـــن اذهبـــوا وقولـــوا: إن المسيحيين واحد في المنطقة الفلانية. منذ أقل من أسبوع، كنت في اجتماع مـــع البطاركة الكاثوليك، وكان همنا أن نعبر عن وحدتنا. ونحن نسير بهذا الاتجـــاه بكل جدية. أيها الأحباء، نحن أخوة بالمعنى الحقيقي. شكراً.

✠ ✠ ✠

البشر ينقسمون أما الكنيسة فلا*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد. آمين.

أحييكم جميعاً، أيها الأحباء، وأسأل الله أن يجعل من اجتماعنا هذا اجتماعاً حقاً، فيه نجتمع لا بالجسد ولا بالظاهر فحسب ولكن نجتمع قلبياً. هذا يعني أن دعوتنا اليوم هي إلى أن تكون قلوبنا مجتمعةً، وهذا هو المطلوب والضروري، لا أن يقتصر الموضوع فقط على أن يصلي الإنسان مع الإنسان الآخر ثم يذهب كل إلى بيته وينسى ذلك الشخص الآخر من بعد. القصة اليوم ـــ كما أراها ـــ هي أن نكون معاً وأن نحاول أن نُدخل بذرة محبتنا لبعضنا إلى قلوبنا. أنا كنت أظن أنه سيكون عندنا اجتماع مع الكهنة عامة وهذا يهمني بصورة خاصة، لأني أعتقد، كما تعتقد الكنيسة وكما نعتقد جميعاً، بأن العنصر الإكليريكي: الكهنة والرهبان والمطارنة والبطاركة هم في أصل تكوين الكنيسة. الكنيسة التي ليس فيها مطارنة وكهنة وشمامسة لا يمكنها أن تكون كنيسة في نظرنا نحن الشرقيين، نحن الأرثوذكسيين، لأن الشخص الذي يقدر أن يعبر عن عطايا الكنيسة هو الكاهن الذي وحده يمكن أن يقدم الأسرار الإلهية، وهي الشيء الوحيد الذي تعطيه الكنيسة للشعب. بدون الكاهن لا توجد أسرار مقدسة: لا صلوات، لا إكليل، لا توبة ولا اعتراف. بدون الإكليروس هذه الأمور كلها ملغاة. لذلك من الضروري أن نعرف أننا كإكليريكيين نكوّن الهيكلية في الكنيسة. الأفكار تتعدّد عند الناس وبالنسبة لكل موضوع، أما الجهاز

* كنيسة نياح السيدة، حارة الزيتون، أسبوع الصلاة من أجل الوحدة، الأربعاء ٢٦/١/٢٠٠٠

الإكليريكي، فلا يمكن أن يكون متعدداً. وجه الكنيسة ووحدتها بالدرجة الأولى في إكليروسها، وأي اختلاَف يصل إلى مستوى الإكليروس يصبح انقساماً، والانشقاقات التي حصلت هي التي جعلتنا نجتمع نحن الأرثوذكس مع الروم الكاثوليك ومع اللاتين... لأن هذه الانشقاقات وصلت إلى مستوى الإكليروس. المسيح لن ينقسم. الأسرار الإلهية لن تنقسم. الذين يقومون بالأسرار الإلهية هم الذين انقسموا. و لم يبق على الشعب إلاّ أن يكون تابعاً لهذا أو ذاك، لأنه وحده، مهما كانت أفكاره ومهما كانت مواقفه، لا يمكنه أن يُكوّن كنيسة بالمعنى الذي نعطيه لهذه الكلمة. الشعب يحتاج إلى الكاهن، يحتاج إلى المطران، فإذا انقسم المطارنة انقسم الكهنة، ولا شك في أن القسمة حصلت على أعلى المستويات في الكنيسة. لذلك، أيها الأحباء، في تاريخ الكنيسة عندما كانت تتعدد الآراء، كان الناس يناقشونها ويعطون آراءهم فيها بانتظار أن تعقد المجامع. وفي تلك الأيام، في عهد الإمبراطورية البيزنطية، كان الإمبراطور يدعو إلى المجامع. وكلمة مسكونة لم تكن تحمل المعنى الحالي للكلمة، ما كانت المسكونة كلها معروفة في تلك الأيام: أميركا ما كانت معروفة، ولا أوستراليا كانت معروفة. كانت كلمة مسكونة تعني الإمبراطورية البيزنطية. في تلك الأيام، كان الاجتماع هو الذي يتم فيه التداول عند اختلاف الآراء أما الذي كان يحدث شرخاً في الكنيسة فهو الانشقاق الأهم والأكثر أذية من الهرطقة. بسبب الهرطقة يحدث الانشقاق أما الانشقاق نفسه فهو سبب لكل هرطقة لأنه يحدث انفصالاً وانشقاقاً، فإذا أخطأ إنسان بفكره وإذا كانت عنده عقيدة ما يمكنك أن تجلس معه وأن تتناقش أنت وإياه إلى ما شاء الله. الدنيا تتسع للنقاش ولا يعرف إلا الله متى يجد الإنسان أن هذا الفكر هو ما يجب أن نتبناه جميعاً أو لا نتبناه. أما إذا حدث الانشقاق فلا اشتراك بالفكر ولا اشتراك بالتكوين، لأن

الانشقاق يحدث في قلب الجسم ويبعد الواحد عن الآخر. ألم نختبر هنا أنه حتى نصبح كنائس متعددة انقسمت عائلاتنا في البيت الواحد، ألا نلاحظ ذلك؟ وهذا لن يعود كما كان، أيها الأحباء، هذا لا يلتئم لأن الانشقاق فعل يحدث في كياننا يحدث في تكويننا. الأفكار لا تحدث في التكوين يمكنك أن تلتقي وأن تجلس مع الذي فكره غير فكرك أما عندما يحصل انفصال فعندئذ تصبح هناك مسافة بعيدة بين فلان وفلان ومن الصعب جداً أن يلتقيا. اجتماعنا اليوم هو من نوع غير مألوف وهذا استثنائي أتمنى من الآن فصاعداً أن يتوقف عن أن يكون استثنائياً. ولكن حتى الآن من كان يتصور أن المتباعدين إلى حد التقاتل، إلى حد أنهم كانوا يعتقدون أن شرط وجودهم هو أن يكونوا أعداء. فإذا كان الأرثوذكسي ليس عدواً لكاثوليكي، فالكاثوليكي ليس كاثوليكياً كفاية. الأرثوذكسي إذا لم يكن كارهاً لكل ما يسمى كاثوليكي أو غير كاثوليكي فهو ليس أرثوذكسياً كفاية. سنين طويلة عشنا على هذا المنطق. لن ينقسم الله، لن ينقسم المسيح، لن تنقسم كنيسة دستور الإيمان، الذي انقسم هو أناس صار المسيح عندهم مقسوماً وصارت الكنيسة عندهم مقسومة. يعني صار كل واحد يتخذ وحدة الكنيسة لنفسه وأنه وحده فقط يعرف ماذا تعني «وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية». وحتى اليوم عندنا في الفاتيكان «من أجل العمل من أجل الوحدة»، ليس هنالك من هيئة تعمل من أجل وحدة الكنيسة ولكن يُقال من أجل وحدة المسيحيين. يعني الكنيسة هي الكنيسة الكاثوليكية وحدها ولم تنقسم. هكذا تماماً يقول الأرثوذكس وهكذا تماماً القول ليس فقط كاثوليكياً ولكن أرثوذكسياً. الكنيسة لن تنقسم الناس انقسموا، إذاً علينا أن نتكلم بالوحدة ليس بين الكنائس.

نحن اليوم نناقش كثيراً في مجلس الكنائس العالمي فيما إذا كان يحق لكل

كنيسة في أن تُدعى كنيسة. في لاهوتنا لا توجد إلا كنيسة واحدة أرثوذكسية، كذلك عند الكاثوليك، كذلك عند الأقباط، كل الكنائس القديمة أعني الكنائس الشرقية لا تقبل بأن يكون هنالك تعدد كنائسي. يجوز أن يكون تعدد بين المؤمنين فقط. هذا أود أن أقوله لأركز أين يوجد الانقسام. الانقسام يوجد في الدرجة الأولى في المصف الإكليريكي. أين نحن منقسمون؟ أفي العائلات التي تتزاوج؟ هذا غير صحيح لأن هؤلاء غير منقسمين. أفي علاقات الناس مع بعضهم البعض؟ أين يوجد الانقسام؟ الانقسام هو في أنه هناك إكليريكي أرثوذكسي لا يقبل أن يكون هناك كاهن سواه. وهناك إكليريكي كاثوليكي لا يقبل أن يكون هناك سواه كاهن. هذه هي القصة عندنا.

ما هي الوحدة في النهاية؟ أنا لا أحدث كنائس إنجيلية، أنا أحدث كنائس شرقية. وكنائسنا الشرقية كلها تكونت تكويناً واحداً، لذلك أقول لكم إن الوحدة تكون في مستوى الإكليروس. إذاً، كيف نتصورها؟ عندما نصل إلى فكرة، وكيف نتصورها فإنني أضيع. الخيال، يا أحباء، حر. يسرح الخيال ولا تقف أمامه جدران، لا تقف أمامه حوادث، لا تقف أمامه أفكار. الخيال خيال. أما في الواقع فالذي يقضيْ حياته اليوم لكي يقول: الكاثوليكي، بلغة المسلمين، كافر. فبماذا يرد القائل؟ أنا أعطي أمثالاً فقط، الذي يقول هذا القول ماذا يريد أن يقول في النهاية؟ شطبوا على هؤلاء البشر، الغوهم. وأعرف أن الكثيرين من الطرف الكاثوليكي أتوا إلى هنا على أساس أن تُمحى الكنيسة الأرثوذكسية. هذا يفكر بهذه الطريقة وذاك يفكر بنفس الطريقة ولكن أين الواقع؟ والصلوات والناس الذين يصومون ويصلون. الناس الذين يريدون أن تسود العفة بيوتهم، يكذبون هذا ويكذبون ذاك. إذا فكرت بأن تلغي غيرك فأنت تلغي نفسك.

سخيف هو هذا الأمر، عندك باب كنسي حقيقي واحد وهو أن تفكر أنه بقي لنا أن نصلي لمغفرة خطايانا لأن المسيح لم يدفعنا إلى الانقسام و لم ينقسم هو ولا يحب القسمة. الذي انقسم هو نحن البشر.

ولا تصدقوا أنه يمكن لاثنين أن يختلفا دون أن يكون الحق على الاثنين كليهما ولو بمقادير مختلفة، ولكن لا شك أن جزءاً من الحق يقع دائماً على الاثنين. وهنا أكلم أبناءنا الكهنة. بسبب كفر كثير من الناس بالأرثوذكسية لأنه يوجد مطران غير مرضي تماماً أو كاهن غير محبوب كثيراً وحتى اليوم نسمع النغمة «ما منصلي وراء فلان». يعني لا نحب الكاهن فنبتعد عن الكنيسة بسببه ولكننا لا نكره المسيح. وهذا يقودنا إلى أي حد صار الإيمان يرتبط بنا وإلى أي حد يمكن أن نكون نحن عثرة. ونحن متفقون تاريخياً على حقيقة أن الانقسام الكبير — وكان يمكن في هذه المدة أن يحدث انقسام أرثوذكسي أكبر — هذا الانقسام الكبير حصل بين أشخاص لا يتجاوز عددهم العشرة اختلفوا وتبادلوا كل أنواع التهم، وصرنا نحن تابعين. نحن الآن كنسياً منشقون ولكننا بالفعل لسنا منشقين ويجلس الواحد إلى جانب الآخر. إننا نحب بعضنا وهذا غير مدهش. المدهش هو العكس، الإنسان لا يمكنه أن يرث الحب، أن يرث الكراهية، أن يرث البغض. لا يمكنه أن يرث ذلك. وكلنا ورثة فنحن لم نكن أحياء في القرن الحادي عشر.

أيها الأحباء، أود أن أقول بكل اختصار، الكاهن وجه الكنيسة أنتم الذين تجعلون الناس يتقاربون، أنتم الذين كنتم الأداة حتى يتباعد الناس. وإبعاد الناس عن بعضهم سهل والشتائم أسهل من المواعظ. يمكنك أن تبعد الناس. نحن مجتمعون اليوم وأغتنم هذه الفرصة لأقول نحن نجتمع ككهنة ونحن متفقون،

ونحن مع بعضنا، وأننا أخوة نختلف في الآراء. ما عـــدد الــذين يتبحـــرون في اللاهوت الأرثوذكسي؟. وفي الكنيسة الكاثوليكية ما عدد الذين يعرفون جيـــداً توما الاكويني؟ يمكنني القول إني أعرفه أفضل منكم. إلى متى سنبقى نعيش على الوهم، لا يمكن أن يُصْلح واحدنا الآخر بالكراهية والحقـــد. البارحـــة كنـــت أخاطب المسلمين وكنت أقول لهم في النهاية القصة بين الناس أن يعرف الواحد الآخر وأن يعرف من يكلم. يا أخي، إذا لم تكن تعرفني فأنت تضع في فكـــرك صوراً عني. هذه الصور هي صورك أنت وليست صورتي أنا. وفي وقـــت مـــن الأوقات كان يمتنع عليك أنت الأرثوذكسي أن تقرأ شيئاً ما عـــن الكاثوليـــك هؤلاء المنشقين الهراطقة... والكاثوليكي كان لا يعرف شيئاً عن الأرثوذكسية وهم خطأة في نظره.

البارحة قال شخص: "إذا أردت أن تعرف المسيحيين إقـــرأ القـــرآن". وهذا يعني أنه لا ضرورة أن تقرأ إنجيلك. إنها عقلية متحجرة مغلقة لا تنصـــف الآخر ولا تحترم الآخر. المسيح لم يقل أن نجعل الناس أعداء، قـــال اجعلـــوهم أحباء، أتمنى كثيراً أن يجعلنا اجتماعنا اليوم نعرف بأننا موجودون والرعية، رعية المسيح المتواجدة في القرى وفي المدن، عيب ألا تشكل رعية واحدة لأن المسيح واحد.

أود أن نستمر باجتماعات الكهنة وهذه سنقوم بها إن شـــاء الله. وأود أن أتوجه خصوصاً إلى بناتنا الراهبات اللواتي يذهبن إلى البيوت بالقول إننا نريد تقديس البيوت بالدرجة الأولى. وهن يستطعن أن يُفِدن مثل الكاهن أو أكثـــر. والذي أتوقعه أن تصبح عندنا اجتماعات لنقول لكم إننـــا نجتمـــع في مجلـــس البطاركة، نحن متفقون على أشياء كثيرة أنتم لا تقومون بفعلها وأنـــتم لســـتم

متفقون عليها. أتمنى كثيراً أن نتحدث عما نحن متفقون عليه. ونحن متفقون، يا أحباء. في النهاية كلنا سنموت ولسنا وحدنا في الساحة. فلنفتح أعيننا جيداً لأن وسائل الاتصال جعلت الاتصال سهلاً ويجب أن نتحدث إلى الناس ونرى الناس الذين خلقهم الله لنقول لهم كلمة الحق. ولا يوجد أناس تعطيهم كلمة الحق وآخرون تحدثهم بالباطل.

أنا أعتذر عن الإطالة، أظن أننا نحتاج في بدء الاجتماع لنضع حدوداً لأنفسنا، أنا آسف ولكن قصدي شخصياً شيء واحد وحيد وهو أن الكهنة عندنا ـــ وهذه لا يقولها البروتستانتي هذه نقولها وحدنا نحن الشرقيين ـــ هم وجه الكنيسة. الناس يرون كاهنهم ومنه يتقبلون الأسرار الإلهية أكثر من المطران لأن المطران واحد وهم كثر ويكونون في كل مكان. فليقل الكهنة بأننا كنائس لتزرع المحبة. وسننجح إذا نجحنا في المحبة وسنفشل إذا كنا فشلنا بالمحبة. وإن شاء الله سيكون عندنا لقاءات في المستقبل. لنستمر في ذلك ليكون ذلك دائماً بركة بوجودكم كلكم وهذا إقرار بأن الكنيسة ليست مطراناً يجلس لوحده ولا بطريركاً يجلس لوحده ولكن الكنيسة هي أنتم كذلك. وإن شاء الله نستطيع أيضاً الاجتماع بالشعب لنقول له: الكنيسة هي أنت أيضاً.

✠ ✠ ✠

الإيمان يصنع العجائب*

أيها الأحباء، اليوم، نستقبل رئيس أساقفة تيرانا وكل ألبانيا صاحب الغبطة أناستاسيوس في أحوال جوية لا تساعد كثيراً على أن يكون الكل معنا. ألبانيا كما يذكر البعض كانت الدولة التي أعلنت ذات يوم أنه لم يبقَ فيها أي أثر للدين. وعندما وصل سيدنا أناستاسيوس إلى ألبانيا رئيساً لأساقفتها، كان لا يُسمع فيها ذكرٌ للدين على الإطلاق. حصل ذلك في الأمس القريب ولسنوات خلت. أما اليوم، ففي ألبانيا رئيس للأساقفة يحيط به شعب وإخوة يعتنقون إيمانكم. لقد أصبح بمقدورنا اليوم أن نشاهد على التلفزيون غبطة رئيس أساقفة ألبانيا يقيم الذبيحة الإلهية في دولة مُنعت فيها الصلاة عشرات السنين.

هذا يعني أنه أصبح لدينا في ألبانيا برعايته جماعة أرثوذكسية مؤمنة تشهد أن الله أبوها وأنه أرسل ابنه الوحيد ربنا يسوع المسيح لخلاصها.

أيها الأحباء،

أود أن ألفت انتباهكم إلى أن غبطة رئيس الأساقفة لم يذهب إلى ألبانيا ليجد كل شيء جاهزاً فيها، بل ذهب إليها وهو يعرف تمام المعرفة أنها خالية من كل شيء. وكما يدخل المطران في كرسينا الانطاكي المقدس إلى أبرشيته عارفاً أن أمامه عملاً كبيراً، هكذا دخل غبطته إلى ألبانيا. إن في ذلك ما يبعث على السرور.

---

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، استقبال رئيس أساقفة ألبانيا، الخميس ٢٠٠٠/٣/٩

أنا أعرف ضيفنا منذ زمن بعيد، إنه أصغر مني سناً، ولكنه في مجال المعرفة والمحبة والغيرة المسيحية لا يقل عن غيره. أعرفه عندما كان في مجلس الكنائس العالمي في جنيف إكليريكياً بكل معنى الكلمة. كنت أرى هناك مطارنة وكهنة بالزي العلماني بينما كان غبطته يرتدي على الدوام ثيابه الكهنوتية ويتحلى بالفضيلة وبالسيرة الحميدة. وعندما أنهى مهمته في جنيف عاد إلى أثينا حيث تسلّم عدة مهام روحية بالإضافة إلى عمله أستاذاً في جامعتها التي نفخر بأن الكثيرين من أبنائنا الإكليريكيين الانطاكيين كانوا من تلاميذه. نعم إننا نشعر بالاعتزاز عندما يتوصل اكليروسنا الأرثوذكسي إلى هذا المستوى العالمي علمياً وروحياً.

أرسل غبطته بعد ذلك إلى أفريقيا مبشراً تابعاً للكرسي الإسكندري، ويسرني هنا أن أطلعكم على أن عدد الأرثوذكسيين في أفريقيا محدود كما هو في الإسكندرية أو في القاهرة. لكن هناك كنيسة أصبحت تعد مئات الألوف من الأرثوذكسيين الأفارقة يعود الفضل بوجودها إلى سيدنا انستاسيوس، رسول الكنيسة الأرثوذكسية في أفريقيا الذي كان لتبشيره الفضل بوجود جماعات أرثوذكسية في كينيا ونيروبي وأفريقيا الجنوبية مع مدارس لاهوتية تُخرج الاكليريكيين. وعندما أرسل إلى حيث هو الآن، كان من المتوقع أن يفشل في مهمته بسبب حالة الإلحاد السائدة هناك، لكنه كذب التوقعات ونجح.

خلاصة القول إن لدينا الآن في ألبانيا أسرة وكنيسة متجددة سُئلنا في وقت من الأوقات ما الذي يتوجب علينا أن نقدم لها وما هي الدرجة التي يجب أن تُعطى لها. وبالتالي: هل توافقون على أن تكون لهذه الكنيسة شخصية مستقلة ـــ والاستقلال لا يعني الانفصال عن الكنائس الشقيقة ـــ وكان جوابنا: نعم

نوافق بالتأكيد على ذلك سيما ونحن نعرف الشخص القائم عليها.

سيدنا أناستاسيوس،

باسم شعبنا نرحب بكم من كل قلوبنا... أهلاً وسهلاً بكم.

✞ ✞ ✞

أنتم الكنيسة الحية*

المسيح قام، حقاً قام

ما أحب أن استهل به كلمتي هو أن أشكر صاحب السيادة المطران سابا الذي شاء ألا تكون زيارتي لهذه المنطقة دون أن أمر بكم ودون أن أعود إلى رؤية هذه الكنيسة المقدسة التي هي غير غريبة عني. نحن نعتز بأن عندنا كنيسة من هذا النوع، هذا يدل على أن الفكر المسيحي كان هنا منذ عشرات السنين بل منذ مئات السنين. هذه الكنيسة كما كان يقول البعض عنها من أقدم الكنائس المسيحية في المنطقة. وبما أننا نحن فيها نتعلم من هندستها كيف أن القصد هو أن تكون السماء ليست مجرد رقعة صغيرة تغطي الأرض، ولكن أن تكون السماء هي الواسعة أمامنا تغطينا ونحن على الأرض ننظر إلى السماء عالية مرتفعة. الله هو السمو، هو الارتفاع عن كثير من الأشياء التي غالباً ما نغرق بها في هذا العالم.

هنا في ازرع عندكم أمثولة مكتوبة ليست في الكتاب ولكنها في هذه الحجارة الحية التي نعتز بها في ازرع ونعتز بها في هذا البلد الكريم، ونعتز بها في العالم كله. لم يجعل اسمكم — اسم ازرع — معروفاً في العالم أكثر من هذه الكنيسة. إن هويتكم ملتصقة بهذه الكنيسة، لذلك نحن مسؤولون جميعاً عن أن تكون هذه الكنيسة ليست بالنسبة إلينا مجموعة حجارة، ولكن أن تكونوا أنتم الحجارة الحية. مطلوب منكم أن تكونوا أنتم الذين تبنون الكنيسة الحية. هذه

* زيارة كنيسة القديس جاورجيوس، أزرع، السويداء، ٦/٥/٢٠٠٠

الكنيسة بنيت منذ مئات السنين من أجل أن يكون فيها أناس أحياء. أنتم أبناء الكنيسة، ليتكم جميعاً تتذكرون. أنا أعرف أن البعض منكم ينظر إلى هذه الكنيسة من الخارج ويكتفي بأن تكون من الخارج موجودة عنده، في مدينته. هذا لا يكفي. البناء يعيش بمن يسكن فيه. هذه الكنيسة تصبح كنيستكم بالفعل إذا كانت تعيش بكم، إذا كنتم أنتم تزيدون الوجود فيها، لا أن تذكروها فقط أو تذكروا اسمها. ليس الاسم شعاراً، الشعارات كلها كلمات، نحن نتكلم من الواقع، فالتاريخ إما أن يكون حياً وإما أن يكون ذكرى ماضية ميتة لا تغني أحداً.

يا أحباء، هذه الكنيسة تحمل اسمكم إلى كل أقاصي الأرض. لا يمكن لأحد أن يدرس الكنائس المسيحية في العالم دون أن يدرس عن هذه الكنيسة. عندكم جوهرة، لماذا لا تكونون أنتم الجوهرة فيها؟ ماذا ينقصنا؟ كنت أقول في هذا الصباح: المسيح مات. صحيح ولكنه لم يبق ميتاً. المسيح قام من بين الأموات وهو حي، وهو الآن حاضر معنا، حاضر بيننا، المسيح للمستقبل. لماذا نحن نعيش في بعض كنائسنا وكأننا نوحي بالمتاحف؟ لسنا متاحف. بوجودكم أنتم، لسنا متاحف، نحن لا نبشر بماضٍ، فالإنجيل لا يتكلم عن الماضي، إنه يتكلم عن الحاضر وعن المستقبل.

أيها الأحباء، هذه كنيستكم، هذه كنيسة كل واحد، كنيسة الجميع مجتمعين. لا تظنوا أن الرب يسوع أتى فقط من أجل حجارة، والحجارة مثل الكتاب. البعض كتبوا كتباً، الحجارة هي التي تقول: هنا كان عمل مسيحي، هنا كان تراث مسيحي، هنا تمجد الله في خلقه، هنا أقيمت الأسرار الإلهية، هنا إذا نظر الإنسان يجد شيئاً لا يجده في أي بناء كان خارج هذا المحل.

أيها الأحباء، نحن نعتز بكم. هذه ليست المرة الأولى التي آتي فيها إلى هذا المكان، لأنه لا يحق لي ذلك ولأن علمي يكون ناقصاً إذا لم أعرف هذا المكان. ولكنني الآن ليس من أجل هذا أتيت، ولقد أتيت لكي أراكم، وأتيت لكي أذكر المطران سابا انه أتى ليكون خادمكم فاقبلوا هذه الخدمة. نحن لسنا «خواجات» على أحد، نحن أبناء قرى، نحن أبناء هذا البلد، وكل ما نريد هو أن نخدمكم في بيوتكم، ليكون البيت طاهراً بالمعمودية الإلهية، بالميرون المقدس، بالزواج المقدس. نريد فقط ما أراده الله لكم وهو: أن تكونوا مقدسين وأن تكون بيوتكم مقدسة. هذا هو السبب الذي من أجله نحن بينكم.

أنتم مسؤولون عنا، أيها الأحباء. نحن لا يمكن أن نكبر بأحد أو بأي شيء إلا بكم. أنتم سبب وجودنا، أنتم السبب الذي من أجله كرسنا شبابنا عندما كنا شباناً. هذا من أجلكم ومن أجلكم بالفعل. هذا ليس كلاماً، وإذا رأيتمونا شيوخاً فشيخوختنا صارت في خدمتكم أنتم، فنحن لم نخدم أحداً على الأرض إلا أنتم، أيها الأحباء. أرجوكم ألا تنسوا أن الكنيسة في النهاية هي أنتم، وأن الأيدي التي صنعت أقدم كنيسة هنا عندكم هي أيدٍ مؤمنة، والأعين أعين مؤمنة، وقد صنعت ما صنعت ليتمجد الله فيها في كل حين.

أيها الأحباء، أرجوكم أن تعرفوا أنكم أنتم الكنيسة. أرجوكم أن تعرفوا أن هذه الكنيسة إشارة إلى إيمانكم وليس إلى الحجارة التي فيها. أرجو أن تنظروا إلى وضعكم، إلى هذه العائلات الكريمة التي توجد هنا، أن تنظروا إليها كأنها كتل بالروح القدس أنشئت. أرجوكم أن تحبوا كنيستكم، أن تحبوا بعضكم بعضاً وهكذا تكون محبة الكنيسة. والكنيسة هي أنتم، هي أنتم، هي أنتم، وليتني لا أتعب من التكرار، ولكني أقول لكم: إنها أنتم.

الإنجيل كُتب لأمثالكم، الإنجيل كتب لكي يُقرأ، لا لكي نكتفي بذكر اسمه. الرسل القديسون أتوا إلى الأرض كلها وأُرسلوا إلى أمثالكم «تلمذوا كل الأمم». ما كتب في الكنيسة كتب من أجل أمثالكم. تمسكوا بإيمانكم، بكنيستكم التي هي أنتم كما قلت، تمسكوا بها فهي لكم وليست لأحد سواكم.

أيها الأحباء، أنتم عائلة الكنيسة، أدامكم الله وأبقاكم وجعلكم دائماً تفتخرون بأن اسم الله بواسطة هذه الكنيسة يرتفع بينكم. الله يحفظكم وإن شاء الله نراكم دائماً بخير، ولي أن أعلن لكم دائماً إعلان الفصح المجيد. المسيح قام.. حقاً قام.

✠ ✠ ✠

فليكن ذكره مؤبداً*

باسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين

لا حاجة، أيها الأحباء، لأن أقول لكم إن رئيس جمهوريتنا الرئيس حافظ الأسد قد فارقنا، ولذلك فنحن، إذ نصلي إلى الله، نصلي قبل كل شيء من أجل راحة نفسه، ومن أجل أن يكافئه الله على كل أعماله التي قام بها في هذه الحياة.

وأذكركم، أيها الأحباء، بأن هناك ظرفين في الحياة يتساوى فيهما الإنسان مساواة كلية: الظرف الأول هو ظرف الولادة، والظرف الثاني هو ظرف الوفاة. بهذين كل إنسان ككل إنسان: يولد الإنسان صغيراً ويولد عارياً. ويموت الإنسان كما هو ويترك كل شيء في هذه الدنيا، لا يهمه لباس ولا يهمه مسكن، ولا يهمه كبر ولا يهمه صغر. الفرق بين الناس — إذا كان هناك فرق — يكون فيما بين الولادة وبين الوفاة، فالكثيرون بين ولادهم وبين وفاهم يعيشون حياة عادية جداً. وقد نكون كلنا من هذا النوع. الإنسان يُذكر بأعماله. الإنسان يذكر بما يفعله من الولادة إلى الوفاة، لأننا نحن نعتقد ونؤمن ولسنا وحدنا الذين يعتقدون ويؤمنون أن ما بعد الموت هو عبارة عن مسيرة تأتي وتأخذ قيمتها مما حدث قبل الوفاة. ما تزرعه قبل الوفاة تحصده بعد الوفاة.

أيها الأحباء، نحن عندما نقول هذا القول لكي نذكّر بأن الذي فقدناه، رئيس جمهوريتنا الرئيس حافظ الأسد، إذا تميز بشيء فهو متميز لا في الولادة

* لكاتدرائية المريمية، دمشق، رثاء الرئيس حافظ الأسد، ٢٠٠٠/٦/١١

ولا في الموت فهو لم يولد بشكلٍ آخر و لم يمت بشكلٍ آخر، و إنما بما صار وبما أحدث بين الولادة وبين الوفاة. إنسان ككل إنسان، لكنه كان فاعلاً وليس فقط متكلماً. ليس متمتعاً. لم يُضِع وقته ولكنه كان في كل ساعة من ساعات حياته يقوم بمسؤولياته، يقوم بخدمته، والرئيس دائماً هو الخادم الكبير. أنت تخدم أسرتك، أنت تخدم نفسك، أنت تخدم أقرباءك. الرئيس يخدمك أنت نفسك وأقرباءك وجميع الناس وجميع البلد الذي هو رئيس له. وخدمته أكبر وخدمته أوسع وخدمته أشمل بكثير من أية خدمة يقوم بها أي واحد منا.

نتكلم إجمالاً بأن تضحية الأب، تضحية الأم، إنما هي تضحية شريفة جداً، لأن الأب يعمل وحده، الأم تعمل وحدها، ولكن نتيجة عمل الأب هي لكل العائلة، ونتيجة عمل الأم هي لكل الأسرة، فإذا اشتغل واحد تكون له حصة واحدة فقط بالنسبة لأعضاء الأسرة. الرئيس أيضاً، أيها الأحباء، حصته تكون أصغر وخدمته أكبر، حصته أصغر لأنه يقدم الخدمة لجميع المواطنين ولا يأخذ منها إلا ما يأخذه أي مواطن بمفرده، هذا شيء يجب أن نتذكره دائماً.

كنا دائماً في هذه الكنيسة المقدسة ــ عندما نذكر الرئيس حافظ الأسد ــ نقول إنه لم يأخذ شيئاً بدون جدية هائلة. الرئيس حافظ الأسد كان إنساناً محترماً جداً، رصيناً جداً، جدياً جداً، وهذا تسمعونه الآن من الإذاعات كلها من كل من كان يحبه أو لا يحبه، من كان يعرفه أو كان غريباً عنه، من الذين كانوا يوافقونه أو لا يوافقونه. الكل كانوا يؤكدون أن هذا إنسانٌ لا يمكنك ألا تحترمه، لا يمكنك ألا تقدره. هذا الإنسان كانت الرئاسة بالنسبة إليه ثوباً حقيقياً وثوباً يليق به وهو يليق بها.

نحن في سورية مررنا بظروف متعددة، ظروف فيها حسناتها وفيها

سيئاتها. وقد مررنا في وقت من الأوقات بظروف جعلنا فيها الكثيرين يشمتون بنا. جعلنا الكثيرين شامتين وخصوصاً الأعداء. الأعداء كانوا يشمتون بالوضع السوري، أو الوضع في سورية: هذا يقاتل هذا، هذا يحارب هذا، هذا يميت ذاك، هذا يُجَوِّع ذاك. إذا ذكرتم شيئاً فأرجوكم أن تذكروا أن في عهد الرئيس حافظ الأسد بطلت المقاتلات وقمعت بأشد ما يكون لكي يكون كل مواطن موجوداً براحة وأمن في هذا البلد. هذا له ثمن، ولكن الأمن في البلد، الأمن لدى المواطنين، أثمن من أي شيء آخر. هذه كانت خطة، لذلك من يدري؟ فنحن يمكننا أن نجتمع في هذه الكنيسة المقدسة بسبب الأمن الذي نحن نعيشه. نحن غير خائفين، ولا يخاف الواحد الآخر. نحن نعتقد أنه يمكننا أن نسبح الله وأن نعود إلى بيوتنا وأن نجلس في بيوتنا مع أسرنا بكل هدوء وبكل راحة. نحن مطمئنون. والآن في هذه الدقيقة اطمئناننا من الاطمئنان الذي رسّخه وهو حي بيننا.

أيها الأحباء، لذلك وجب علينا وما أحلى هذا الواجب، وجب علينا أن نطلب له الراحة التي لا يمكن لأحد أن يقدمها إلا الله تعالى، ونطلب له أن يستقبله الله في أحضانه، كما نشتهي أن يستقبل كل واحد في الأحضان الإلهية وأن يسمع من الآب السماوي: "كنت أميناً في القليل فسأقيمك على الكثير، أدخل إلى فرح ربك"، نسأل له ذلك.

وأما العدل! أين نحن في عدلنا من العدل الإلهي؟ الله هو الذي يعرف القلوب، هو الذي يقدر الأعمال، هو الذي عينه لا تنام بالنسبة إلى أعمالنا، وهو وحده القادر على المكافأة، مكافأة الذين تعبوا، الذين عملوا، الذين يوجد بيننا منهم. والذي منهم كان لمدة ثلاثين سنة الرئيس حافظ الأسد، جعل الله ذكره مؤبداً. هذا نقولـــه ونكرره: جعل الله ذكره مؤبداً. وعندنا أمل أن الله

الذي أوجد هذا البلد، وخلقنا جميعاً. لا يجوز لنا الشك في مقدرته تعالى على أن يرسل إنساناً من هذا الوطن، من هذه الأمة. لكي يكون في مقامه ولكي يسيّر هذا البلد إلى خير ما يمكن أن يسير. وفي هذا البلد، تسمعون أنتم أصوات الصلوات، تسمعونها من المآذن، تسمعونها عندما تدق الأجراس. عندنا رهط من المؤمنين قد لا يكون موجوداً في مكان آخر. من هؤلاء، لا شك بأن الله يهيئ شخصاً لكي يقود شعبه، لكي يقودنا بمحبة وبمسؤولية. لذلك لا خوف علينا. الذي يخاف يكون لا يؤمن بالله كفاية. أن الله يرعى هذا البلد، رعاه منذ الأزل حتى الآن وسيرعاه إلى الأبد. لا تخافوا على الإطلاق. إن عين الله مفتحة وهي ساهرة علينا جميعاً.

أيها الأحباء، أعزيكم جميعاً. أعزي جميع إخوتنا في المواطنية في سورية وفي كل الأنحاء التي قدرت فقيدنا الكبير الرئيس حافظ الأسد. أعزيكم جميعاً وأقول لكم ما زرعه، إنشاء الله، سيبقى له الحصاد جميلاً وقوياً إلى سنين وسنين، وسيأتي من يحل محله بنعمة الله ومحبته وبقدرة هذا الشعب على أن يكون شعبنا الذي نحن به نعتز، والذي نعتز بخدمة الرئيس حافظ الأسد لخدمة هذا الشعب.

فليكن ذكره مؤبداً آمين.

✞ ✞ ✞

الماضي للذكرى والمستقبل للحياة*

سيادة الرئيس، فخامة الرئيس، أيها الأحباء جميعاً....

في مثل هذا اليوم، في اليوم الأربعين من الوفاة نحن نصلي، ولذلك فإني سأنطلق من هنا في كلمتي هذه القصيرة. «اعلم يا ابن آدم أنك من التراب خُلقت وإلى التراب تعود» وأن الباقي واحد أحد تبارك وتمجد وحده.

أيها الأعزاء، هذا قدر كل إنسان، وليس من إنسان خارجٍ عن هذا القدر. يولد الإنسان ويعيش ويموت. والله هو ينبوع الحياة. يخلق الإنسان ويحييه في كل مراحل بقائه في الدنيا . والموت في النهاية مرحلة من مراحل الحياة. والموت ليس فناءً. والله لا يخلق للفناء بل للحياة. لذلك ، ففي الصلاة نسمي الموت رقاداً والميت راقداً. والرقاد نوم، وبعد النوم يقظة. وإيماننا أن كل إنسان مدعو إلى القيامة بنعمة انه مخلوق، والخلقة هبة أغدقها الله عليه. قدر الإنسان أنه يولد فيعيش فيرقد فيقوم للوقوف أمام خالقه في اليوم الأخير. وفي اليوم الأخير، تقف أعماله بجانبه فيراها، وتخاطبه لكي يتعرف إليها ويقرّ بها أمام مَن لا يخفى عليه شيء، وهي التي تدينه. ثم يقضي القاضي العادل، سبحانه وتعالى، فيجزي الإنسان أو يجازي وفقاً لأعمال الإنسان في هذه الدنيا.

واليوم، الأربعون لرحيل الرئيس حافظ الأسد نذكر أن روح الإنسان تبقى حائمة فوق دنياه منذ الوفاة إلى اليوم الأربعين. ثم تبدأ الرحيل مبتعدةً عن الدنيا مقتربة من الخالق. اليوم الأربعون بدء وداعٍ بين الراحل وعالمه، واليوم

*القرداحة، الحفل التأبيني في اليوم الأربعين على رحيل الرئيس حافظ الأسد، ٧/٢٠٠٠

يودعنا الرئيس حافظ الأسد ونودعه لأنه يبدأ مسيرته إلى الأحضان الإلهية. في النهاية، ألسنا جميعاً لله؟ ألسنا كلنا إليه راجعين؟ لذلك ليس لنا الآن إلا أن نتوسل بخشوع وطاعة إلى الله تعالى ليتولاه بحنانه ويجزل له الرحمة والغفران — وهو الغفور الرحيم — ويفسح له واسع جنات النعيم، إنه السميع المجيب.

وفي هذا الوقت، لا يصح إلا أن أتوجّه بكلمات وجيزة إلى سيادة الرئيس الدكتور بشار لأقول: يا دكتور، نحب الفجر لأنه يبشّر بنهار جديد. وقد أرادت الحكمة الإلهية أن يكون الزمن يسري من الماضي إلى الآتي وليس من الآتي إلى الماضي. فالماضي للذكرى والمستقبل للحياة وللفعل. لذلك فالله في مفهومنا لا يصير ماضياً بل يبقى دائماً آتياً ومستقبلاً... والإنسان يلقى الله دائماً في الغد لا في الأمس. سمعت كلامك يا دكتور فكان كلاماً مثقلاً بمضامينَ ومعانٍ كانت المبالغات الكثيرة تهمشها بل تطمرها وتترك شعبنا في التعميمات والشعارات العامة وتبعده عمّا دعوت إليه فيما دعوت، أعني عن التحليل العلمي والموضوعية. وفي فكرك العلمي صعدت إلى الفكر الرصين الذي هدفه الوصول إلى الحقائق وإلى معالجة الالتواءات والاعوجاجات. وذكرت أن المعالجة تكون في إزالة الأسباب لا في الوقوف عند النتائج، وإلا فإن المعالجة لا تكون معالجة حقة بل وضعاً من التخدير بحلو الكلام وحلو العبارة. وقد ذكرت الفساد، والفساد نتيجةٌ لوجود المفسد وأعماله، ونلاحظ أن للفساد بؤرَه الخاصة في مجتمعنا، ليس كل سوري فاسداً ومفسداً، ولكن لماذا يا ترى ينحصر الفساد عندنا في شريحة معينة وفي موقع معين؟ المواطن السوري عامة ليس فاسداً وليس مفسداً، فالسوريّ بوجه عام عامل شريف شجاع يخاف الله ويحب الرزق الحلال. وقلت أيها السيد الرئيس فيما قلت: أنا، سأبقى أنا، وسترونني فيما

بينكم. وفي ظننا أنك تريد أن يعرف المواطنون أنك تريد أن تكون الإنسان مع الناس لا المتعالي المترفع أو ــ كما يريد البعض ــ المتأله.

أيها الدكتور، يا رئيسنا. أمنيتنا وحيدة في هذا اليوم: كن مَن أنت، ابقَ كما أنت، واهنأ بما أنت. حفظك الله وسدد خطاك، سدد خطاك إلى خير عميم من أجل سوريا وجميع الأحرار الذين يقتحمون العالم بأسره بالعلم والفضيلة والحق والإيمان.

سيادة الرئيس، ما أنظف يديك! وما أنقى قلبك! أعزيك والأسرةَ كلها من كل قلبي.

دُمْ لشعبك وليدمْ شعبُك لك.

✝ ✝ ✝

نرفض كلمة حوار*

يا أحباء، سننطلق من كلمة ذكرها سيادة الوزير عن اجتماع الرؤساء الذي تكلم فيه رئيس جمهوريتنا الدكتور بشار الأسد وقال شيئاً قد يكون الكثيرون لم ينتبهوا له رغم أهميته، لقد قال إنه يتحدث باسم المسيحيين والمسلمين وهذا شيء مهم جداً. نحن نلوم اليهود على أنهم يتكلمون على أساس ديني. أنا شخصياً لا أجد لغة تخص فلسطين وتخص القدس الشريف دون أن يكون أساسها دينياً. وكنت أتمنى دائماً أن يضع المتكلم في قضيته البعد العام في حديثه. إذ لا يمكن للإنسان أن يتحدث عن أماكن في بيت لحم والناصرة والقدس وحتى في دمشق وينسى أن أهم الأحداث التي تقود حياتهم قد حصلت في هذه الأماكن. أتمنى دائماً أن نغطي الصورة التي تدل على أننا نحن في الوطن متساوون في تكوين هذا الوطن.

في الوطن توجد أفكار متعددة واتجاهات متعددة. من قال إن المواطنين هم صورة طبق الأصل عن بعضهم البعض وكأنهم مسكوبون في قالب واحد؟

والسؤال الآن لماذا ندعو نحن إلى مثل هذا الاجتماع؟ نحن لا نحتاج إلى أن يُطلَب منا أن ندعو. نحن ندعو لأنه لا يوجد عندنا أنصاف مواطنين. قد نكون عددياً أقل ولكن لا يوجد مسلم أكثر مواطنية من أي مسيحي، نعم في المواطنية توجد مساواة ولكن في العدد، العدد يقل ويزداد ولكن القيم لا تتغير. ما يدعونا إلى قول ذلك هو أننا لسنا موجودين بالصدفة. واليوم في حديث

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، ١٦/١٢/٢٠٠٠

تلفزيوني قلت إننا عندما نقول إخوتنا المسلمين فهذا ليس كلاماً يطلق في الهواء إننا نعني كل كلمة نقولها. ونحب أن يكون الأخوة الذين يتحدث عنهم هم بالفعل الذين يعيش معهم، وأن لا يحل أحد محل أحد وطنياً فالكل معاً ولا يزاودن أحد على أحد.

الذين غلبونا هم اليهود الذي عرفوا كيف يتحدثون عن البعد الروحي عندهم. ومن هم اليهود بلا اليهودية؟ اليهود أقلية وتوجد أقليات كثيرة في هذا العالم ولكن لا أحد يسمع بها. ولكن لماذا أعطي لليهود كل هذا المركز وكل هذا السلطان حتى يتمكنوا من ارتكاب كل هذا الظلم. ما يفعلونه من ألفه إلى يائه كله ظلم وكله تعدٍ على الناس فيما يتطلع الناس إليهم فاغرين أفواههم وينظرون إلى الإنسان الذي يخدمهم نظرهم إلى الإنسان الذي يرضي الإرادة الإلهية.

أعتقد أن شيئاً ما فينا يجب أن يتغير. يجب أن يفتح الواحد عينيه. قلت وأقول دائماً إنه صحيح عندنا عيون ولكننا لا نفتحها دائماً. والدليل أن الواحد يحدثني دون أن يتطلع إلي. فيا أخي إنك تكوّن الصورة عني كما تريد أنت لا كما أنا في الحقيقة وأنا أفعل ذلك أيضاً. فلنتكلم مع بعض ليعرف الواحد منا الآخر. توجد عملية معرفة يجب أن تتم. لذلك نحن في البلمند لم نقبل التعاطي بموضوع الإسلام والمسيحية على أساس الحوار لذلك لم نشكل فريقاً للحوار المسيحي الإسلامي. لأن كلمة حوار تعني أن هنالك اثنين يحاول كل واحد منهما أن يقنع الآخر بأنه الأفضل وهذا مرفوض منا لذلك قلنا نحن نؤسس مكاناً للدراسات الإسلامية المسيحية حتى يتعرف الأخ المسلم على من يعيش معه ويتعرف أكثر على حقيقة إيمانه فيتعرف المسلم إلى حقيقة عقيدة الثالوث

وإلى مفهوم بنوة المسيح وما إلى ذلك من العقائد المسيحية لتتوضح في ذهنه العقائد التي يؤمن بها أخوه، وكذلك الإسلام بالنسبة للمسيحي فلا نبقى جاهلين بعضنا البعض. لذلك فقسم الدراسات الإسلامية المسيحية نعتبره من أهم الأقسام في الجامعة. وبالرغم من أن هذه الدراسات تكلف كثيراً فإننا نسعى جاهدين إلى الاستمرار في القيام بالواجب وحتى هذه الساعة نحن نقوم بواجبنا وبكل فرح.

الشيء الثاني الذي ذكره الدكتور جورج أنه كان يوجد شخص اسمه كابي حبيب ومعه شخص آخر وكنا دائماً على اتصال وهذا ما يساعدني على الدخول في مثل هذه المسائل والتعرف إليها. وقد شكلت هيئة في مجلس كنائس الشرق الأوسط تدعى هيئة الحوار المسيحي الإسلامي ليتعرف الواحد على الآخر. وهذه التسمية أرفضها، ولكن الحوار موجود حتى الآن وهو يساعد على أن يتكلم الواحد مع الآخر الذي نؤمن بأن هنالك صلة قربى روحية بيننا. وهذه الهيئة موجودة الآن في لبنان وتضم عناصر من المسلمين على أرقى مستويات الفهم للمسيحية ويعرفونها أكثر من تسعين في المئة من أبنائها ويعبرون عن آرائهم في الصحف بكل جدية بعيداً عن التهييج والإثارة.

بالطبع هذه الهيئة نشارك فيها. إذن عندنا مجلس كنائس الشرق الأوسط الذي لا يعلم الكثيرون مدى نشاطاته. وعندنا مجلس الكنائس العالمي وفيه بدأ الغزو الإسرائيلي بواسطة الأميركان والأوروبيين. هذا الزحف الصهيوني أتى كالطوفان فكنت تسمع مسيحيين لا يحدثونك عن المسيح ولكن عن إسرائيل وكأنهم موكلون للدفاع عنها فكنت لا تعرف كيف ستخاطب هؤلاء المحامين فهل ستكلمهم كيهود أم كمسيحيين؟ وكان بين هذه الجمهرة من العلماء

الأمريكان والإنكليز والهولنديين اكليريكيان شرقيان هما المثلث الرحمات الأنبا صموئيل من مصر وأنا الذي أحدثكم الآن. وكانت لهما اليد الطولى في كل نص يتعلق بفلسطين. وكانت المحاولة إفهام الحاضرين أن فلسطين ليست قطعة أرض فقط وإنما هي شعب وبشر وهم موجودون هناك ولهم تاريخهم في البلد وأن أي دعم لإخراجهم من بيوتهم ليس عملاً جيداً. لقد سجل هذا الشيء وعندما صدر القرار عن هيئة الأمم يدين العنصرية والصهيونية والعرقية، أدانت معظم الكنائس هذا القرار ولكننا نحن في جنيف وافقنا على القرار ودعمناه بالرغم من أننا نحن نتصرف في كثير الأحيان كعرقيين وهذا ما يعرفه الأجانب ويستخدمونه سلاحاً ضدنا. وكم حوربنا بأسلحتنا في هذه القضية.

أعود إلى القول بأننا في عمان كنا موجودين باسم الكرسي الأنطاكي. وحيث تكلم الرئيس بشار في مصر يوجد أرثوذكس يرفعون صوتهم ويدافعون ولا يوجد اجتماع بين الطوائف إلا ونحن في صلبه لكي نقول كلمة الحق التي نؤمن بها. ويمكنني التأكيد أن فلسطين بالنسبة إلينا شيء لا يثمن وفي فلسطين علّم المسيح لذلك حجارتها وكل ما فيها عزيز علينا أكثر من بيوتنا.

✝ ✝ ✝

اجتماع اسطنبول*

حصل اجتماع بين البطاركة الأرثوذكس في العالم وكان هذا الاجتماع بدعوة من البطريرك المسكوني لذلك كان الاجتماع في اسطنبول. وشارك في الاجتماع بالإضافة إلى رئيس الكنيسة عضو أو عضوان. وقد صلينا معاً في عيد الميلاد. من المؤكد أن عيد الميلاد عندنا جميل جداً وقد يصعب أن يرى الإنسان أجمل منه والناس عندنا أصبحوا في معظمهم يحبون كنيستهم ويحبون صلواتهم وأصبحوا يشعرون بأن عيدهم هو في الكنيسة وليس في الشارع مثلاً.

كانت الاجتماعات هناك اجتماعات مطولة وكانت هنالك مواضيع قيد الدرس. فإذا كنا في العائلة الواحدة نجد الخلافات فكم بالحري على صعيد الكنائس جمعاء. أما نحن فكان وضعنا جيداً وكنا ملفتين للنظر من حيث وضع كنيستنا وشعبنا اللهم إلا بعض الاستثناءات التي لا بد منها. والاهتمام عندنا بكل فئات المؤمنين أطفالاً ونساءً وشباناً ورجالاً قد لا نجده أينما كان. ونحن هنا الطائفة الأولى بالنسبة للطوائف المسيحية الأخرى لذلك تكون الزيارة الأولى التي يقوم بها ممثل رئيس الجمهورية تكون عندنا.

تعلمون أن المجامع المسكونية حتى الآن هي سبعة وهذا لا يعني أنه يجب التوقف عند هذا العدد ونحن الآن نحضر لمجمع ثامن أو لشيء بديل. كانت تحصل المجامع المسكونية التي يعني أنها تغطي كل المسكونة. ولكن المسكونة لم

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، ٣٠/١٢/٢٠٠٠

تكن تشمل كل العالم الذي نعرفه اليوم من أستراليا إلى أميركا.

زرنا المكان الذي اجتمع فيه المجمع المسكوني السابع وهو مكان صغير لا يتجاوز نصف مساحة المريمية وهو مدمر كلياً ولا يوجد منه إلا آثار للجدران فنصبوا لنا خيمة لتقينا البرد والشتاء ولنتمكن من الصلاة. ولا نتصورن أن الكنائس الكبرى التي كانت عندنا لا تزال قائمة وموجودة في كل مكان لأن الكثير من تلك الكنائس أصبح مكاناً ليصلي غيرنا فيه. لا نتصور أننا أقوياء ونزعزع الكون، لا، نحن أقوياء بإيماننا وهذا صحيح. ولكننا نجد العديد من الناس الذين يفتخرون بأنهم لا يحبون الصلاة ولا يزورون الكنيسة ولكن والحمد لله يوجد أناس عندنا يحبون كنيستهم ويفخرون بإيمانهم. وقد نقل القداس بواسطة التلفزيون وقد شاهده الكثيرون عندنا. والمؤسف أنه حول هذا المكان الذي كنا فيه لا يوجد مسيحي واحد. والعديد من الألقاب كمطران ديار بكر حيث كانت توجد كنائس ومطارنة بالفعل لم تعد موجودة وهذا ينطبق علينا فالذي يدرس عن وادي العاصي يعلم أنه كانت هنالك كنائس لا تعد وقد تصل إلى ثلاثمائة كنيسة. ومن تصميم الكنائس تلك نعرف أن المقاعد لم تكن موجودة آنذاك كما هو الحال في الكنائس الروسية اليوم وأن الكرسي العرش هو كرسي الملك. وأما المطران والبطريرك فكانا يقفان مع شعبهما ويصليان معه.

كان اللقاء هنالك هاماً جداً، والشعب الذي كان هنالك هو شعب مسلم وكان تعامل الدول والشعب على أفضل ما يكون. لذلك لم أكن في العيد هنا بل في نيقية حيث عقد فيها ثلاثة مجامع.

غداً نعيد لباسيليوس الكبير وهو العيد الكنسي وليس أول السنة الميلادية. ولكننا ننقل العيد من أول أيلول إلى هذا التاريخ، وإلى الغد إن شاء الله.

أنا هو الطريق والحق والحياة*

أين الطريق؟ إننا لا نعرف أين الطريق فأجابه الرب يسوع «أنا هو الطريق والحق والحياة».

أيها الأحباء: هذه هي الكلمات التي يجب أن نستعملها لندل الناس إلى الطريق الذي يجب أن يجمعهم. وأن يلاقي الواحد منهم الآخر وأن يتعرف الواحد منهم إلى الآخر.

نجتمع في هذه المناسبة ببركة صاحب القداسة البطريرك زكا الذي لم تسمح له صحته أن يكون معنا ولكنه لا شك يصلي معنا الآن وله الروح الذي لنا في هذا الاجتماع المبارك.

أذكر الأيام التي كان فيها ممنوعاً أن يكلم الواحد الآخر، ممنوعاً أن ينظر إليه على أنه ممثل بالفعل للإيمان المسيحي. اليوم عندنا سؤال. انظروا إلى دستور الإيمان "أومن بإله واحد آب ضابط الكل خالق السماء والأرض كل ما يرى وما لا يرى"، هناك جماعة غيري يقولون هذا القول ويؤمنون بإله واحد آب. ما هو موقفي منهم؟ إننا نتكلم عن طوائف متعددة ولكنها تقول بالقول الواحد "آب ضابط الكل خالق السماء والأرض". ماذا يعني ذلك؟ نشكر الله أننا اكتشفنا في وقت من الأوقات كلمة حوار. الحوار يعني أن تكلم الآخر. وبتعبير آخر يجب أن لا يكون هناك إنسان يقول "أومن بإله واحد آب ضابط الكل"، دون أن يكون لك حوار معه. إن هنالك ناحية لها علاقة بإيمانك يؤكدها ويقول

*كنيسة السريان الأرثوذكس، دمشق، بمناسبة أسبوع الوحدة، ٢٠/١/٢٠٠١

بأنها هي إيمانه لذلك يجب أن تكلمه. بالنسبة إلينا فنحن هنا في وضع معين نحن عندنا المسلمون. هم مسلمون ــ وهذا صحيح ــ لكنهم أيضاً يقولون " أومن بإله واحد آب ضابط الكل، خالق السماء والأرض..." إنهم لا يستعملون كلمة الآب ولكنهم يقولون بالإله الواحد. هؤلاء هل يجب أن نكلمهم أم لا؟ الجواب لا يمكنك إلا أن تكلمهم. يجب أن يكون عندك شيء تقوله لهم وقد يكون عندهم شيء يقولونه لك أيضاً. إذن المقاطعة في الحوار، أن يعيش الإنسان مع الآخر دون أن يحدثه، دون أن يهتم به ويعتبره عنصراً يجب حتماً باسم دينك أنت، باسم إيمانك أن تكلمه. هذا لا يمكن أن يكون عند إنسان يعرف أن فلاناً يقول مثله: أومن بإله واحد، آب ضابط الكل..." دون أن يكون له حديث معه، دون أن يكون له حوار معه. هذه من مسؤولياتنا في نظري.

ننتقل إلى فصل آخر في دستور الإيمان ونصل إلى "وبرب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد..." هذا يقوله جميع المسيحيين. وكما ألححت في بدء كلمتي كان الكثيرون من المسيحيين الذين يقولون "أومن برب واحد يسوع المسيح ابن الله الوحيد" هؤلاء ما كانت بينهم كلمة مشتركة، كانوا يقولون ذلك كل بمفرده ولكنهم ما كانوا يسمعون أن هنالك من يقول هذا القول بالذات.

نحن في الكنيسة الأرثوذكسية، والكرسي الإنطاكي بشكل خاص عندنا اختبار، نحن عندنا تفاهم، وعندنا اتفاق مع الكنيسة التي شعبها يصلي هنا، نحن مع الكنيسة التي بطريركها تعرفونه جيداً ومؤمنوها هم الذين تلتقوهم بشكل عام.

يوجد اختلاف حول المسيح. من يقول ذلك؟ فلنمتحن بعضنا بعضاً.

أذكر تلك الأمسية التي وقفنا فيها نحن مع البطريرك السرياني وسألناه: هل تؤمن أن المسيح إله تام وإنسان تام فأجاب نعم. وسألَنا هو هل تؤمنون أنه شخصان أم شخص واحد ـــ لأن كلمة طبيعة عند الأخوة السريان تعني الشخص بالدرجة الأولى ـــ فقلنا نحن نؤمن أن المسيح واحد وأننا لا نؤمن أنه شخصان الواحد منهما يسير إلى جانب الآخر. بالعكس إنه واحد ونحن كلانا نؤمن بأن الألوهة فيه ليست مختلطة بالطبيعة البشرية . نحن نقول بإله هو إله وإنسان دونما اختلاط أو امتزاج أو تشويش. هذا ما نقوله في كنيستنا المقدسة. إذن ماذا أقول للشخص الذي هو أمامي ويقول بأن هذا هو إيمانه وأجد أنا أن إيماني ينطبق على إيمانه حرفياً حسبما ورد في دستور الإيمان. ماذا أقول له؟ أأقول له أنت هرطوقي أو مخالف. كيف أقول له ذلك. إذن كلمة المسيح لا تزال كلمة إذا اتجهنا إليها لا نجد انقساماً ولكننا نجد اتحاداً. ولكن في دستور الإيمان، الدستور الوحيد الذي كتبته المجامع المسكونية بعد أن أهملت دساتير إيمان كثيرة قبل تاريخ المجامع. هذا الدستور هو الوحيد الذي يتكلم عن فصل آخر "وبكنيسة واحدة جامعة مقدسة رسولية" هنا تأتي المشاكل ولكن ليس من الإله الواحد وليس من الرب الواحد ولكن من الكنيسة الواحدة.

ماذا قلنا نحن في اتفاقنا؟ قلنا الكنيسة الواحدة، وحدانيتها في المسيح وليس فيها هي لأنها هي حدث تاريخي يضم لغات متعددة، تراثات متعددة، تعابير متعددة. من قال إن الكنيسة في تفكيرها هي ابنة حضارة واحدة أو فكر واحد. من قال إنها بالشكل واحدة. الله نفسه هو الذي يخلق الناس مختلفين بالشكل وكذلك تكون كنيسته التي هي كنيسة هؤلاء الناس الذين يختلفون بالشكل.

أيها الأحباء، ماذا قلنا؟ قلنا يجب أن يعرف واحدنا الآخر وأن يعترف

الواحد بالآخر وأن على الذين يتناقشون أن يتناقشوا. الزمن مستمر ولكن الواقع الذي هو أمام أعيننا يجب أن نقرأه.

أيها الأحباء، لا يمكنك أن تطفئ الآخر، من يدري فعندما كان الآخر يقول قوله فإن قوله كان الطريق الوحيد لإبراز المسيح ولإبراز الإيمان المسيحي. يجب أن لا ينكر الواحد الآخر. على أي شيء نحن مختلفون؟ أنا من المعتقدين بأنه إذا شئنا أن نفتش عن الأفكار فالأفكار كلها مختلفة عند الناس. والذي يجمع الناس هو الذي يجمع الثالوث الأقدس. الناس يصبحون واحداً إذا كانوا خاضعين لنظام المحبة. الكتاب تفكر به ولكن الشخص تحبه ولذلك فالإلهام الإلهي عندنا ليس كتاباً وليس حرفاً ولكنه شخص وهو الرب يسوع المسيح ابن الله الوحيد الذي أتى إلى العالم فإما أن تحبه فتكون مسيحياً وإما أن لا تحبه فلن تكون مسيحياً. الكنيسة بدون محبة المسيح بماذا تسمى كنيسة؟ نحن نعتقد أن الكنيسة هي كنيسة المسيح وأن وجوده هو الذي يعطيها هذا الطابع. أقول لكم ذلك في هذه الصبيحة.

نحن الكهنة إذا كنا نعرف أن دستور الإيمان كتب بعد مئات من السنين من مجيء المخلص وحدوث الحدث المسيحي في التاريخ فقبل دستور الإيمان كان هنالك دستور إيمان هو محبة المسيح. عندما كان يلتقي الواحد الآخر فيبادله التحية "المسيح قام" بدلاً من صباح الخير أو ما شابه. وإذا كان الجواب "حقاً قام" كان الإيمان صادقاً. المسيح هو المركز في الكنيسة والكنيسة كنيسته. هذا ما نقوله فعسى أن نكون صادقين بالفعل، أنتم إذا لم تكونوا رسل محبة فجميعنا لا نساوي شيئاً.

فليتعلم الإكليريكيون، وكنائسنا تقوم على الإكليريكيين، أن من

أفواههم تخرج كلمة الوحدة ومن أفواههم تحارب الوحدة. كونوا قبل كل شيء مبشرين بأن الذي خلقه الله وخصوصاً المعمّد على اسم الآب والابن والروح القدس هذا أخ لنا ويريده المسيح فلنكن مطيعين بأن يكون كلامنا وأن تكون أفكارنا مبشرة بالوحدة. منها تنطلق الوحدة وليس من ورقة وليس من كتاب . يجب أن تكون أفكاركم ناطقة بالوحدة عندما تكون تنطق بالمحبة. أمانة في أعناق الإكليريكيين أن يكونوا رسلاً للمحبة ليكونوا بالفعل رسلاً للوحدة في الأيمان، الوحدة في الرؤية والمحبة والعلاقة. لا لكي يقرأ العالم ولكن لكي «يرى العالم أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السماوات». شكراً.

✞ ✞ ✞

حلو أن ننتقل من الكلام إلى الفعل*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

«عهدنا مع القدس عهد طويل: نحن نصلي وهي مدينة الصلاة، ولنا بها صلاتٌ روحية إيمانية أبدية، وفيها يرفع العبادة إلى الله كل عباد الإله الواحد الأحد، وفيها يلتقي المصلي أخاه ويتعرّفه. إن للقدس وجهاً روحياً دينياً إنسانياً لا سمح الله بأن يُمسي مجرد شأن سياسي. الفلسطينيون أصحاب البيت فكيف يجوز تحويلهم في بيتهم إلى زائرٍ وعابر سبيل؟! وكيف لا يكون لهم في القدس حق الوجود والبقاء؟! القدس قدسٌ إذا كانت المدينة والشعب، لا المدينة بدون الشعب ولا الشعب بدون المدينة. نحن لا نوافق إطلاقاً على تهويد القدس وتشويه طابعها العربي المسيحي والإسلامي كما نرفض رفضاً قاطعاً ضم القدس إلى السيادة الاسرائيلية، إذ أن مصير المدينة ليس قائماً في ذاته ومنفصلاً عن قضية الشعب الفلسطيني الذي يعيش ويصلي فيها. نحن نرفع صوتنا عالياً ضد تهجير العرب والمسيحيين خاصةً استكمالاً لاستيطان اليهود وحدهم في القدس، فالبشر لا الحجر هم همُّنا في القدس التي يجب أن تبقى مدينة السلام ومثلاً للتعايش بين الأديان والشعوب. القدس وفلسطينها معراجنا جميعاً إلى السماء، وهي بعض إحساسنا بالملكوت. إن عزة هذه الأرض وسكانها جزء من رسالتنا قبل اليوم الأخير، ولن نضحي بشبرٍ من هذه الأرض الحبيبة إلى الله وشهوده حتى يحل السلام العادل الشامل في ربوعنا».

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، ٢٠٠١/٤/٤

أرى نفسي محرجاً الآن وقد أتيت بعدما سمعناه حتى هذه الساعة، والذي ــ والحمد لله ــ أغنانا كثيراً وعرفنا منه الشيء الكثير وأثار فينا ما هو بالفعل قابع فينا ومتكلم في كثير من الأحيان، ولو بشيءٍ من الصمت. أرى هنا خطاباً: هذا الحضور، أيها الأحباء، هذا يعني أن شعبنا، هذا الشعب السوري، هذا الشعب الذي عندما يسمع كلمةً عن قضية حق وعن قضية تخصُّ الكرامة يأتي لكي يُظهر بأنه هو أيضاً عنده الحرارة وعنده القوة الداخلية وعنده الرغبة وعنده الإيمان بأن القضايا المُحقَّة يجب أن تصل إلى حد معين يُحَقُّ فيه الحق. وبعدئذٍ عندنا خطاب من الذين سمعناهم لشعبنا أيضاً هنا. أحب أن أُثير بالفعل بعض الكلمات التي قالها رئيس سوريا الدكتور بشار الأسد في الاجتماع في عمّان: ما لفتني كثيراً في خطابه هو أنه، عندما يتكلم، تشعر أن هنالك واقعاً ما يجب أن يَمسه. هذا شيء ثمين جداً. هذا يعني أنه لا يتغنى بموضوع ولا ينشد شيئاً وأنه ليس مُغنياً، ولكنه يرى الواقع في الكلمة التي يلفظها والتي يقولها، ويقصد أن يصل الكلام إلى واقع. هذه عقيدة عندنا جميعاً. نحن نعتقد أننا عندما نتكلم ونقف عند الكلام لا نكون قد قمنا بكل شيء. الله وحده كلمته فعل، وكلمته في نظرنا شخص حي. أما الانسان، فكلمته تبقى لفظاً قد يكون من أجمل الألفاظ، إذا لم يتبع ذلك اللفظ فعلٌ. أعجبني كثيراً عند الدكتور بشار الذي أُحبُّه كثيراً، أعجبني جداً كيف كان يدعو إلى أفعال. هؤلاء هم الأحباء الذين يُتممون القول الإلهي إن الكلمة بلا فعل ليس لها أثر، ليس لها فعل. هؤلاء الحاضرون هنا يمثلون في نظري ليس ما سأقوله فقط ولكن أكثر بكثير. إنهم يمثلون أننا في الانتفاضة في فلسطين نُحدِثُ واقعاً، لا نتكلم عن شيء، ولكننا نُحدِثُ الشيء. إسرائيل واقع ونحن نُحدِثُ واقعاً في المقابل. هذا هو الكلام الجدي، هذا هو الشيء الذي يفعل، ولن نَبُزَّ إسرائيل إلا بما يقابلها من الواقع،

وهذا ما نحتاج إليه. في الاجتماع في عمان، كان هنالك حثٌّ على إيجاد واقع. هذا يعني، وأنا أُترجم كلمات الرئيس بشار، هذا يعني أنه لا يزال ينقصنا شيءٌ أكيد يتمناه أولئك الذين يُقدمون دماءَهم. كل واحد عنده شيء من الاشتراك في الحزن الذي يتم في فلسطين. أليس من العيب ألا نرى في الميزانيات المتعددة هنا وهناك حيث الملايين من الدولارات تُدفع للأسلحة وتُدفع — لا أدري — للسيارات مثلاً، وما إلى ذلك؟! أليس غريباً أن نكون جاهلين كلياً البنود المرصودة في ميزانيات بلداننا التي تعرف ما تعني فلسطين والتي تعرف الثمن الذي يُدفع. هناك شباب كالورد يندفعون حتى الموت، شهداء بالفعل قلائل بيننا جميعاً! ألا يصح يا ترى أن نستغرب أن في هذه الميزانيات ليس هنالك من بند واحد يقول «بند الانتفاضة»؟! قال الرسول يعقوب، ويعقوب فلسطيني: إذا أتاكَ إنسان وقال لك إنه جائع، فإذا وعظته بأبدع ما يكون من العظات، وأبلغ الكلام، وصرفته دون لقمة خبزٍ في يديه فماذا تكون قد فعلت؟ في الواقع تكون قد تكلمت وليس أكثر من ذلك. إننا ندعو، أيها الأحباء، إلى شحذ الهمم الذي سمعناه في هذا الخطاب، وفي هذا الخطاب تقريباً وحده بين الخطابات التي سمعناها في مؤتمر عَمان. إذا كنا نريد أن نفعل شيئاً، أيها الأحباء، فيجب أن يتمرن عقلنا على ألا نكتفي من الشيء باسمه. الاسم ليس الشيء، اسمي ليس أنا. اسمي لا يجوع ولا يعطش. أنا الذي يعطش والذي يجوع. أتكلم صُورياً لكي أقول: يجب أن نربي أنفسنا تربيةً جديدة عندما تكون هناك لغة للفعل، شباب يضحون بأنفسهم كل يوم وفي كل ساعة. عندما يكون هذا أمامنا، يجب أن نقول: لُغتنا يجب أن تتبدل وأن تنتقل من الألفاظ إلى الواقع. بدون الواقع نبقى خارج الواقع ولا يمكننا أن نُنتج شيئاً. الحق الذي لا يُدفع ثمنه لا يمكن أن يحصل عليه أحد، فلنكن صريحين. إذاً لكم أيها المُتكلمون أوجِّه هذه الكلمات: شكراً

لكم لأنكم أعطيتمونا منطقاً آخر ليس هو المنطق السائد في بلداننا العربية في طولها وعرضها. وحده الذي يقدم ذاته هو الذي يُضحي بالفعل. ومَن قال إن الذي يموت عن الآخرين ويتعذب عن الآخرين، تهدر كرامته؟ لا كرامة من خلال أية تضحية إلا إذا كان فيها المضحي يضحي بذاته أولاً.

نحن، أيها الأحباء، من جملة الذين لا يخافون أن يقولوا إن إلههم تعذب، المُعذِّب هو المُهان وليس المُعذَّب. فلكم، يا أحباء، أقول شكراً. كلنا نتقوى ببعضنا. لا أُدافع لا عن مسيحي ولا عن مسلم، أتمنى أن نتجاوز هذا المنطق كلياً. وأعود إلى شكركم أيها الأحباء لأقول لكم: الذي يُمكن أن نُقدِّمه هنا هو قلبنا، قلبنا حتماً معكم، وهو معكم في الليل وفي النهار وفي كل الظروف. الأصوات لا تُسمَع عندما يجب أن تُسمَع ولا تكفي عندما تُسمَع. نحن معكم ولو كان ذلك صامتاً، ونتمنى أن ننتقل في عالمنا من الكلام، وما أحلى أن ننتقل منه إلى الفعل، والفعل الجيد ما أحلاه أيضاً!

✞ ✞ ✞

أخلاقية الأديان أخلاقية شخصية*

أنا في غاية السعادة أن نجتمع في هذه الأمسية المباركة. وأنا اشكر سيادة الشيخ على طرحه قضايا متعددة في آن واحد ولو سئلت أن أتحدث عما قيل لأجبت بأننا نحتاج إلى سنة من المحاضرات لنتمكن من التطرق إلى ما قيل في كل الحقول. لقد طلب أخي الشيخ من المؤسسات الدينية أن تنتقد نفسها وأعتقد أنه محق في طلبه وهنا أعبر عن قلق دائم لأن المؤسسات الدينية مؤسسات في التاريخ ولأنها مؤسسات في التاريخ يطالها التغيير. أتمنى أن نتعود على معالجة الفكر على أساس أنه متغير.

الصورة عندي هي أننا كثيراً ما نفكر بالأشياء وكأنها جامدة وخاصة ما يتعلق منها بالدين. إنها بالفعل جامدة ولكن الأمور الدينية أمور للإنسان. الله وحده لا يتغير لكن العالم الذي خلقه الله ووضعنا فيه ليس فيه إنسانيتان متتاليتان. ألا نرى أنا نكبر، نتطور، نشيب... ألا نرى ذلك. عندنا في التفكير الديني تغيير للأشياء التي أعطيت لنا على أساس أن يبقى الله وحده الذي يشمل كل حقبات التاريخ. ليس نحن وليس فكرنا وليس عقلنا. نحن نتحرك، ونسير في الزمن، والزمن يفرض علينا قيوده وقوانينه. نتساءل لماذا الطوائف؟ الطوائف مؤسسات. لا يمكنك أن توجد في الزمان والمكان (تعابير فلسفية) إلا أن تصبح في مكان ما، في وقت ما، وألا تصبح في مكان آخر وفي وقت آخر، هذا شيء

* كنيسة القديس جاورجيوس ـــ التجارة، مداخلة حول محاضرة الشيخ شحادة، ٢٠٠١/٤/٥

أساسي جداً.

من هنا شخصياً أشكر الله في إيماني على أنه فهم أن الإنسان الذي وضعه في التاريخ يجب أن يحدده في التاريخ. من هنا لا نخاف أن يأخذ الله صفات وأشكالاً كما يشاء هو القادر على كل شيء. والذي ليس لمثله شيء يمكن أن يجعل نفسه كما هو يشاء. فإن أدهشني ذلك فليكن، أنا لست بالله. وإذا كنت أرى أن في ذلك تناقضاً فأنا لست حاكماً على عقل الله. ما يبدو تناقضاً على الدين ليس بالضرورة تناقضاً لاهوتياً كما نقول. أنا أخاف من سيطرة الفلسفة على تفكيرنا الديني. نتكلم مثلاً عن الأمة، نتكلم عن القوم، نتكلم عن الأسرة، أين هي كلها؟ في نظري هذه كلها غير موجودة، الموجود هو أنا في وقت معين والموجود أنت في وقت معين. الموجود هو الذي أراه وهو الذي ألمسه. هذا هو الموجود، وكل ما ندرسه في عالم الموجودات هو العلاقة بينها والعلاقة بينها ليست كائناً ولكنها علاقة. يعني في النهاية. خذوا مثلاً الأسرة، تتكون مما تتكون، عناصرها ليست مندمجة، ليست مخلوطة. الكائنات لها فرديتها، لذلك من أضعف الأشياء في الأديان أنها في العصر الذي نتكلم فيه عن الأنظمة هي تتكلم عن الأشخاص. أخلاقية الأديان أخلاقية شخصية، تعطي الفضائل التي يجب أن يتحلى بها كل إنسان ولكنها لا تتكلم كثيراً عن كيفية تصرفي عندما أخرج من بابي. كل ما هو اجتماعي لا يدخل فيها. الدين لا يخلق مجتمعات، الدين يخلق أناساً طيبين إن شاؤوا أوجدوا مجتمعاً ليس بطريقة آلية.

يعني اليوم تغذينا كثيراً. أنا شاكر جداً ولن استطرد في هذا الموضوع لأني أعتقد أن هناك التباسات في التعابير التي سمعتها عندما نتكلم عن الهوية.

الهوية عندي هويات، الهوية الفلسطينية الهوية الطبية الهوية العلمية، لا يوجد إنسان هكذا مصبوب وهو فقط هذا الأمر الذي لا وجود له. إذا كان موجوداً فأرجو أن تدلوني عليه. أنا أعرف، أن الوجود يا أحباء نهر جار متحرك. لماذا لا نتكلم عن الحياة مثلاً. غريب جداً أننا تكلمنا عن كل شيء في هذا الاجتماع، ولم نتكلم عن الإنسان ولم نذكر أنه كائن حي كأن الحياة هي شيء غامض جداً. هي شيء غامض ولكنها هي الواقع. الحي هو الموجود وليس غير الحي لذلك علينا أيها الأحباء حتى في نظرتنا لله تعالى. ليس فكرة الله، الفكرة غير موجودة هي من صناعة العقل. أما الوجود الإلهي الوجود الحي الذي منذ الأزل (بلغة صورية وليست تاريخية). الذي منذ الأزل إلى الأبد هو مشرف على عالمه وعلى مخلوقاته. هو الوحيد الذي يخرج عن الزمان والمكان ويمكن أن يوجد في كل زمان ومكان. كل ما سواه زائل، كل ما سواه يتغير ويتبدل. المهم هو أن لا نجمد بعقلنا الأمور التي نريد أن نفهمها. نجمدها مؤقتاً، حتى نتمكن من استيعابها ولكن لا يمكننا أن نجمد الوجود والكيان. والله خالق قبل أن يكون أي شيء آخر وبالتالي هو حي وبعد ذلك صنع الصفات التي تريدها. هذا صحيح بالنسبة إليك وعندنا صورة لذلك. إذا لم تنظر إلي حياً فقل ما شئت فلن يكون له معنى. أيها الأحباء، هذه نقطة أحب أن أختتم بها قولي: نحن اليوم أمامنا وجود أمامنا أشخاص لذلك فاجتماعنا مهم جداً، أنا شاكر جداً وأشكر القائمين الذين أشرفوا على ترتيب هذا الاجتماع. أشكر محاضرنا الحبيب قبل كل شيء، ثم أشكر الذين نظموا والذين أتوا ليشاركونا هذه الأمسية.

✞ ✞ ✞

زيارة البابا إلى سوريا*

صاحب القداسة،

بطرسُ الذي أقام في أنطاكية أولاً يستقبلكم الآن على هذه الأرض السورية. من هذه الأرض تحققت عالمية الرسالة الإنجيلية بالأفعال. على الطريق المُسمى "المستقيم" الذي مشيتم فيه قبل قليل نفخ الروح في بولس، الذي صعقه الرب، وصار هو صوتَه في العالم. في هذه الأرض الانطاكية، تكلم اغناطيوسُ المتوشح بالله خليفةُ زعيمي الكرسي الانطاكي الممتليءُ من إنجيل يوحنا عن أهمية الكنيسة المحلية المجتمعة حول الافخارستيا التي هي تؤسس هذه الكنيسة في التقليد والتي تصير هي فيها منبعاً للشهادة. من بعد هؤلاء، يوحنا الذهبي الفم، وهو ابن لهذه الأرض أيضاً، وآباء أُخر عديدون يجمعهم الإيمان، فتحوا دروب الزهد والتفسير الكتابي والليتورجيا عندما حملوا في أجسادهم آلام الصليب. قد رأينا نورَ الثالوث القدوس المؤلِّهَ على وجوههم. صارت الأرض الانطاكية بفضل حياتهم وشهادتهم محلاً مفضلاً لحب الرب.

وهذا الحب أتاح لنا أن نجبَه تجارب التاريخ. وما كان أكثرها! وعلى غرار مكسيموس المعترف، الذي ولد على وجه الاحتمال في ضواحي هذه المدينة، علمتنا التجارب أن من يجاهر بالإيمان الحقيقي يحمل الكنيسة في داخله، ويصير هو نفسه الكنيسة. بالتالي، ليس الدفاع عن استقامة الرأي حكراً على كرسي رسولي معين. الكنيسة وحدها هي القادرة على أن تكون ضمانة لصحة

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، كلمة الترحيب، السبت ٢٠٠١/٥/٥

الكلمة وتأصلها في الروح. هكذا نفهم إيمان الشهود الأوائل وإيمان كنيسة الألفية الأولى الواحدة. هذا الإيمان بالنسبة لنا هو المكيال الذي به نكيل كل تطور لاحق. رغم كون الأرثوذكسيين غيرَ مستحقين، فإن الكنائس الأرثوذكسية تعي أن تعليمها مطابق لتراث الآباء ولإيمان المجامع المسكونية. إننا نعتقد إذاً وبكل تواضع أن الكنيسة التي أسسها المسيح ما تزال باقية بكل ملئها في الكنيسة الأرثوذكسية.

لهذا السبب، لا يجوز التغاضي عن الانشقاقات التي مزقت الرداء الانطاكي. إن ممثلي كنيستكم قد قالوا هذا معنا في بيان البلمند العام ١٩٩٣. ففي البلمند أكدنا معاً أنه لا يمكن للكنائس التي اتحدت بكنيسة روما أن تكون "نموذجاً للوحدة". منذ ذلك الحين، يبدو أن اتفاقنا بدأ يتفكك وأن المواقف تتصلب أكثر فأكثر. وكم علينا جميعاً أن نحترس لئلا نفتح جروحاً لما تندمل. العديد من الكنائس الأرثوذكسية تتأفف من العودة إلى ممارسة الاقتناص وتصفه بأنه عدائي. نحن أنفسنا منزعجون هنا من ممارسة غليظة للضيافة الأفخارستية التي نشعر أنها ليست أكثر من تبشير مقنَّع. ينبغي أن تبرز مبادرات شجاعة ونبوية من أجل تطويق وضع يهدد بالتفاقم. إننا مقتنعون أنه لا يمكننا ترك استراتيجية الاقتناص إلا إذا تبنينا لاهوتاً حقيقياً في المصالحة يُعتبر الأخ فيه ساكناً قلب المسيح نفسه. إننا نتمنى ألا يُعيقَ حجر العثرة هذا مواصلة الحوار بين كنائسنا.

يجب أن يتناول هذا الحوار، بعد أن نستعيده، مسألة تبدو لنا أساسية: ألا وهي مسألة الحرمات التي أعلنها مجمع الفاتيكان الأول ضد كل من لا يعترف بالعصمة البابوية. هل تصيبنا هذه الحرمات التي تبطن في داخلها رؤية

كنسية مختلفة عن رؤيتنا؟ إنه لمن المهم جداً توضيح مدلولها الحقيقي في الفكر اللاهوتي المعاصر للكنيسة الكاثوليكية.

سأتوقف عن الإسهاب في ذكر هذه الانسلاخات. إن قداستكم يعلم علم اليقين ثقل التاريخ الذي رسا على كاهل الكنائس الأرثوذكسية في شرق أوروبا. إن آلامهم أعطتهم يقيناً أكبر أنهم مسؤولون عن الرجال والنساء والأراضي التي أستأمنهم عليها الرب. لقد أنعم الله على هذه الكنائس بنعمة الدموع، ودموعهم هي دموعنا. إنهم أُعطوا أيضاً نعمة الفرح الفصحي الذي لا أحد يعيشه بالقوة التي هم يعيشونه بها. إننا نصلي من أجل أن نتمكن من أن نبدأ من جديد، كلنا معاً، كنائس الشرق القديم وكنيسة الغرب، حواراً صادقاً وعميقاً ومحباً.

صاحب القداسة،

في هذه البلاد وفي لبنان، أقام المسيحيون أنفسهم على حوار تآخ يومي يعينهم على تخطي العقبات الماضية. وقد وضعنا منذ بضع سنوات أساسات لتفاهم أكبر ولتعاون حقيقي في مجالات التعليم والرعاية. إن الحب الأخوي يحركنا اليوم أكثر مما مضى. إننا، رغم التباعدات المشروعة المرتبطة بثقافاتنا المختلفة، نعتقد أن قراءةً واحدةً للتقليد لا تزال ممكنة. إننا لهذا السبب نشعر أننا نشكل حضوراً مسيحياً واحداً في استقبال قداستكم هنا فيما بيننا. هذا الحضور المرتبط بحضور بطرس وبولس وربوات القديسين الانطاكيين يجعل منكم اليوم حاجاً أمام الله وحاجاً لأنكم تحملون في شخصكم كل كاثوليك العالم إلى ينابيع إيمانهم، إلى انطاكية هذه التي دُعي فيها التلاميذ مسيحيين أولاً (أع، ١١:٢٦).

إن الإسلام يواكبكم أيضاً في هذا الحج أمام الله. الإسلام في جوهره

وُلد ويريد أن يبقى حتى نهاية الأزمنة غريباً عن كل ما لا يرتبط بالله. إننا نريد أن نعيش مع المسلمين في هذه الطاعة للإله الواحد ذاته. هل ينبغي أن نُذَكِّر أن السلام هو واحد من أسماء الله الحسنى في كلا التقليدين؟ إننا نريد أن نشهد أيضاً أمامكم للتقوى الحقيقية وللرحمة التي نشعر بها عندما نحتك بالعديد من المسلمين الذين نعيش وإياهم. إننا معهم نستقبل قداستكم ومعاً نستضيفكم راجين اللقاء في المجد يوم يعود المسيح ثانية ليدين الأحياء والأموات.

إننا معهم نصلي دون انقطاع كي يعم السلام في أورشليم وفي فلسطين وكي ينال الحقوق المشروعة ذلك الشعب الذي يعيش حالياً في القمع والإذلال. لا تملك كنائسنا أية مصداقية إذا لم تدافع عن وحدة الشعب الفلسطيني وحريته وعن حقه في العيش الكريم وفي الأمان. وهذا نفسه ينطبق على الشعب العراقي: فهناك في العراق كما في فلسطين الكثير من الأطفال الأبرياء الذين يعانون الحرمان ويموتون موتاً. إن مسؤوليتنا المشتركة هي في تنبيه العالم إلى صراخهم واستغاثاتهم.

في كل الأحوال، سلام الإنسان الداخلي لا يُعاش إلا من خلال اللطافة الإنجيلية. إن اللطفاء لن يكتفوا بأن يرثوا فقط ملكوت السماوات، بل عليهم أن يكشفوا الملكوت للعالم. بعد قرون عديدة من المجازر والتكفير من كافة الأشكال ورفض الآخر، الجماعة المسيحية مدعوة لأن تجسد رسالة يسوع أكثر فأكثر من أجل الفقراء: لا الأفراد فقط بل وكل الشعوب الفقيرة. يجب علينا أن نجد الكلمات والوسائل الملائمة من أجل أن نذكِّر الأمم الغنية بضرورة توزيع الممتلكات الأرضية لنيل ملكوت السماوات. بهذا سيكتشف المحرومون أن وجه الله انكشف قبل اكتمال الملكوت. الكل لله. ليس العالم إلا الوليمة التي يدعو

إليها كل أبنائه دون أي إقصاء لأحد. يجب على المسيحيين ــ على غرار معلمهم ــ أن يغسلوا أرجل كل الناس دون النظر إلى دينهم أو إلى عرقهم. إننا مدعوون إلى أن نمسح دموع كل الذين يبكون.

علينا أن نقوم بهذه المهمة معاً. إنها تشكل شهادة قوية إلى جانب الشهادة التي تحاول كل كنيسة من كنائسنا أن تحملها في حضارة البلاد حيث تعيش. إن حقوق الله على فكر الناس وعلى قلبهم تشكل تمهيداً لحقهم في الحياة والكرامة. من دون أن نهمل الحسنات التي تقدمها العولمة، واجبنا يقتضي أن نشير إلى مخاطرها وأن نعلن سيادة الله وحق كل الناس في اقتسام الطعام الأرضي والخبز النازل من السماء.

جعل الله مروركم بهذه الأرض توجيهاً لفكرنا ووعينا نحو أخوة أعمق وأصدق. نحن نعرف أنكم شخصياً تريدون أن تفهموا كنائسنا فهماً أفضل. إنكم تعرفون العقبات أمام الوحدة. على كل كنيسة من كنائسنا أن تساهم في تجاوزها، كل واحدة بحسب المسؤولية التاريخية المتوجبة عليها. المهم هو ألا نوصد أبوابَنا في وجه نسائم الروح. إنه يسرنا أن تسهر كنيسة روما على المحبة في الوحدة المستعادة، المحبة بالطبع بين الإخوة الذين خطايانا فرقتهم، بل وأيضاً المحبة لكل إنسان في هذا الشرق العزيز على الله وفي كل العالم وذلك "حتى يؤمن العالم".

صاحب القداسة، في هذا الرجاء الذي لا حدود له، مع المجمع الذي يحيط بنا والكهنة والرهبان والمؤمنين، في محبة الرب يسوع المسيح، نقبلكم.

صاحب القداسة، أهلاً وسهلاً بكم.

المسيح لكل الناس*

كنت أقول إنه يسعدني أن أكون في هذا الحفل، ولكني الآن لا أجد الكلمات المناسبة لكي أعبر عن تقديري العميق، وأعبر بصورة خاصة عن محبتي لشخصكم الكريم، وعن رجائي الكبير، وأترجى قيامة الموتى والحياة في الدهر الآتي. معنى ذلك أن القيامة، وأن القائم من بين الأموات هو دائماً غداً وليس البارحة. رجائي أن يكون الغد هو الغد الذي يمكن أن يوقعه البطريرك ايريناوس، وأن يكون عند توقيعه إياه يفرح بأعماله، كما يفرح الرب ويفرح كل واحد بحصيلة أعماله عندما يرى أنه أحب فأُحب، وزرع فحصد، وأن المجد الحقيقي الذي قدمه لله أصبح مجد كل الرعية لله تعالى.

أذكر في كلماتكم أنكم ستكونون الوجه الشرعي، الوجه الحقيقي الذي يمثل الأرثوذكسية في هذه المنطقة. أذكر أنكم سميتم الكنيسة، الكنيسة الأم وهي كذلك. والأم، يا سيادة الأخ، كائن محب يعطي أكثر مما يأخذ. وأعتقد أن الأرثوذكسية بكاملها ستعتز وترفع الرأس بك أنت الآتي لكي تعطي، لكي تقدم، لكي لا تأخذ، كما يظن الكثيرون. أننا بحكم موضعنا وُجدنا للعطاء وليس للأخذ. الأم لا تحصر محبتها في أحد، ولكنها إن أحبت أولادها، إن أحبت أبناءها فهي تحب أيضاً كل الجيران ،كل الأصدقاء، كل الأحباء، لا تتقوقع ولا تقف جانباً تتفرج علي الناس تأتيهم المصاعب من كل صوب، وخصوصاً في هذه المنطقة المقدسة وهي تكتف يديها ولا تنظر إلى ما حولها

*عمّان، كلمة البطريرك اغناطيوس في تنصيب البطريرك الأورشليمي ايريناوس الأول، ٢/١٠/٢٠٠١

وكأنها لا تشارك الناس في حياتهم. رجاؤنا الكبير، لا بل نحن متأكدون، أنكم لن تكونوا هكذا لأنكم نذرتم أنفسكم للرب. أنت يا سيدي رجل يخاف الله، ولذلك قادر أن تحب أبناء الله وخلائقه محبة حقيقية عميقة محبة للجميع، نحن لا نعرف إنساناً علّمنا الرب يسوع، وعلّمنا الإنجيل ألا نكلّمه، وأن نقاطعه، وألا نتحسس نحن وإياه. من أحبه الرب فخلقه، نحن ملزمون إيمانياً أن نحبه هو أيضاً. عندك الهيئات كلها، عندك الكنائس كلها، وخير وجه للأرثوذكسية قد يظهر في أورشليم أيضاً. أم الكنائس، أم الأسرة بكاملها، يجب أن يشرق وجهها، ليرى الناس أعمالنا الصالحة ويمجدوا أبانا الذي في السموات.

يا سيدي، قلت في خطابك إن مهمتك ستكون مضاعفة، هذه المهمة المضاعفة قلت فيها شيئاً: أولادنا، أولاد الله من كل فجٍّ وصوب، من كل الطوائف، وأبناؤنا يشتهون ألا ينافسهم أحد وألا يُجاريهم أحد في خدمة مجتمعهم وفي خدمة شعبهم. يريدون ألا تنقصهم المدارس وألا تنقصهم أعمال الخير. يريدون أن يكونوا دائماً في المقدمة لكي يقدموا الكثير الكثير مما لديهم، وإن كان في كثير من الأحيان شيئاً قليلاً.

أما الحجارة، نعم الحجارة التي عندنا في هذه البلاد في أورشليم، نعم الحجارة لأن الرب لمسها وهي لمسته، الرب داسها وهي غطته عندما وضع في القبر المقدس. هذه الحجارة يا سيد بانيها قبلها وليس بعدها، فالباني — أي الإنسان — يأتي أولاً، وهذه رعيتك، هذه لها الأولية في كل شيء، والحجارة غبطتكم وهي معكم تبنونها متى تشاؤون. إنكم أيها الأحباء مع بطريرككم الكبير، أهم من أي شيء آخر في الكنيسة. الأرثوذكسية لكم وليس لأحد غيركم، الأرثوذكسية إيمان عندكم، فقولوه، واذكروه أمام الناس ليعرفوا من

أنتم. لقد غاب وجه الأرثوذكسية من هذه المنطقة في وقت من الأوقات غياباً يكاد يكون كلياً، هذا ليس الأرثوذكسية. الأرثوذكسية نور كما علم المسيح ونحن لا يجوز أن نضع نوراً تحت المكيال ولكن علينا أن نضعه على المنارة ليضيء لجميع الناس. ما أقوله ليس مجرد تمنيات، ولكنني أومن بأن هذا سيحصل بحضور غبطتكم أيها الأخ الحبيب.

أنا أشكر الله الذي جمعنا معاً في هذه الأمسية، وباسم الكرسي الأنطاكي المقدس أود أيضاً أن أعبر بشيء ما وأن أقدم لغبطتكم ما يمكننا أن نقدم. ولكن كل ما نقدم يتبارك بكم لا أنتم تتباركون به فحسب.

سيدنا البطريرك هو الشخص الذي سيمثل الكنيسة الأرثوذكسية في كل الأنحاء التي هي تقليدياً ملحقة بالمدينة أورشليم. وهذا نقصد به أن سيدنا لن يكون محصوراً في أورشليم، إن شاء الله يكون ممتداً إلى حيث نحن اليوم، وهو موجود هنا ليدل على ذلك، ونحن في وجودنا في هذا البيت، في هذه المدينة، في رعاية صاحب الجلالة، ورعاية أخوتي الكرام والدولة المكرمة التي سمعنا منها أفضل ما يمكن أن يسمع من دولة.

أنا مسرور جداً أن أكون وأن يكون سيدنا في الموضع الذي هو فيه . لماذا؟لأني، أيها الأحباء، لا أعرف ديناً من الأديان التي ولدت عندنا في الشرق الأوسط، يخص المؤمنين به فقط. المؤمنون عددهم قليل، الدين لكل الناس. أنا أقول: المسيح ليس إلهاً بالنسبة إلي لأضعه في جيبي. المسيح لكل إنسانٍ. نقول إن الله خالق الجميع، فإذا كان الله خالقاً للجميع، فكيف نحدّ إرادته على فئة من الناس فقط. يجب أن نتعلم أن ينظر الواحد إلى الآخر، أن ننظر نظرنا إلى أن الجميع هم من صنع الله الواحد الأحد، ولذلك هم هنا بإرادته بمشيئته الإلهية

وإننا إذا لم نتعاط مع ذلك الشخص الذي نظن أنه آخر بالنسبة إلينا، فإنما نحن لا نتعاطى مع مَن شاء الله له أن يوجد، وأن يخلق على صورته ومثاله كذلك.

نحن خُلقنا قبل أن نعرف ديننا، ولذلك يجب أن نعرف، أيها الأحباء، أن الله ينظر إلينا ليسألنا ماذا فعلتم بإخوتي الذين أنا خلقتهم. دينك مع أخيك مثلما هو مع الله، لا يمكنك أن تكون رحيماً مع الله فقط، الله لا يحتاج إلى رحمتنا ولكن كن رحيماً كما هو رحيم معك ومع الآخرين أيضاً. أحبهم بقطع النظر عن أي شيء، بقطع النظر عن أي اعتبار، أعني بالاعتبار الوحيد أنه أراد أن نكون فكنا، أراد أن يخلقنا فخلقنا، ونحن لسنا ضد إرادته.

أعتقد، بوجود سيدنا، أن الوجه الأرثوذكسي الذي لم يغب يوماً ما منذ وجود المسيحية حتى اليوم، لم يغب عن هذه الأرض، عن هذه المنطقة، عن هذا الشعب، لم يغب دقيقة واحدة لأن المسيح هنا، المسيح هنا في بيت لحم ولد وهو من الناصرة، وأتى إلى أمكنة كثيرة. ومَن يدري؟ فقد يكون زار هذه البقعة التي بني عليها هذا البيت، مَن يدري؟ هذه الأرثوذكسية لم تشارك إنها شوركت في الوجود، وعرفت كيف تفتح صدرها وقلبها لتستقبل ما ظُن أنه غير أرثوذكسي. في القدس التقت الديانات ويبقى أن يلتقي المتدينون. لا نقضينّ العمر نحكم على زيد وعمرو من الناس، اتركوا ذلك لله فهو الخالق الوحيد الأوحد، ولنبشرن بالمحبة، المحبة للجميع. نحن مدعوون حتى نكون مع الجميع لأننا بالفعل نعيش مع الجميع، أي نمارس أكبر نعمة وهي نعمة الحياة. نعمة الحياة هذه نمارسها معاً، وكل ما سوى ذلك باطل.

أيها الأحباء، اليوم نحن نعبر عن فرحنا بكم جميعاً، ونريد أن تقولوا: يجب ألا يشعر واحد منا أنه يحتكر الله، وأن الآخر محروم منه. هذا كفر إذا قيل.

الكل عيال الله، الكل خلقهم الله، والكل مـــدعوون إلى أن يكونـــوا معـــاً. والأرثوذكسية في القدس تحمل هذا الشعار، وسترون ذلك بأم العـــين. هـــذا الإنسان والمطران الذي وضع في هذه المنطقة سيكونان إن شاء الله المثل لنا جميعاً حيثما كنا.

أيها الأحباء، يوماً مباركاً، وشكراً لكم جميعاً لأنكم شاركتمونا، لأننا سرنا معاً وأكلنا معاً الخبز والملح وهذا تراث عربي أصيل. بيننا خبز وملح، هذا شيء مهم وتعرفونه حتى في الكنيسة عندما نريد أن نشترك مع شخص ويشترك معنا نأكل معه ونشرب معه أيضاً حتى المقدسات.

✞ ✞ ✞

يجب إحقاق العدالة لا روح الانتقام*

صاحب القداسة،

زيارتكم دمشق ـــ وهي التي تعيدني إلى روما ـــ أحسّتها سوريا كلها كرسالة سلام وصلاة وإخاء. يطيب لي هنا أن أشكركم على كل ما أتيتمونا به. إننا نصلي أن يتعمق الخطاب المسكوني بين الشرق الأرثوذكسي وروما الكاثوليكية بشفافية تامة، وصدقٍ لا عيب فيه، وتواضع عميق واحترام حقيقي لتعدد الكنائس. علينا أن نستمر بالعمل معاً لخلق المناخ الذي سيسمح باستئناف الحوار الذي انقطع بين كنيستينا.

إن لاهوت الكنيسة المحلية مع ما يتضمنه من طقسية الأسرار بالإضافة إلى مفهوم "الكنائس الشقيقة" يؤدي إلى رفض امتداد أية كنيسة خارج الحدود التي عهد الرب برعايتها إلى كنيسة أخرى. في رسالتكم البابوية «ليكونوا واحداً »، أكدتم قداستكم من جديد مضمون وثيقة البلمند. وأكثر من مرة أدنتم الاقتناص. جعل الله ما قلتموه لوضع حد للأشكال التي ما زالت تمارَس في العديد من كنائسنا كلاماً مسموعاً!

إلى جانب هذا العمل الكنسي الذي لا يستساغ أن يتأخر قوله، باتت الساعة الحاضرة ساعة الآلام التي تعانيها البشرية برمتها. لقد امتد العنف فيما وراء كل تصور. من المؤكد أننا ـــ في أيامنا هذه ـــ نتحدث بصورة جد خاصة عن الإرهاب الذي يجب إدانته بقوة، كما يجب أن يُدان العنف الذي تمارسه

*الفاتيكان، كلمة البطريرك اغناطيوس الرابع، ٢٢/١٠/٢٠٠١

بعض الدول ضد الأفراد والدول الأخرى، وخاصة ذلك العنف الذي يمارَس على الفقراء. يجب علينا كذلك أن نتضامن مع المضطَهدين الذين يسعون لأن يتحرروا بمقاومة المحتل، وأن نعمل على إيقاف مذابح الأبرياء في جميع البلدان حيث الأطفال والشيوخ، ومعهم كل كائن بشري، يموتون مجاناً. يجب إحقاق العدالة لا روح الانتقام.

هذا السعي إلى العدالة، يجب علينا أن ننشطه مع أصحاب النوايا الحسنة من الرجال والنساء، وبصورة خاصة مع المسلمين، رافضين أشكال الخلط الطائشة وردات الأفعال البدائية. لنبشرْ بالتعايش المشترك بين الأمم، ولنبذل جميع الجهود الممكنة لنتحاشى وقوع اصطدام في الحضارات بين المسلمين والغرب.

صاحب القداسة،

إن الشرور الحالية يمكن أن تستمر وأن تجلب معها المزيد من الويلات. شهادة الكنائس مدعوة لأن تصبح أشد بلاغةً وإلحاحاً وفاعلية. أحر أمنياتنا هي أن نقوم معاً بدعوة جميع الذين يريدون أن يعيشوا مسيحيين وفق الإنجيل إلى الصلاة والصوم ليَمُّن الله علينا برحمته ويعطينا أن نناضل ضد سلطان الشر الذي يبدو أن سيطرته على البشرية تتزايد يوماً بعد يوم.

في مجهودنا المشترك للحصول على خلاص الجميع، عسى أن يساعدنا ربنا الوحيد يسوع على أن نتصرف كتلامذة حقيقيين له، نحب بعضنا بعضاً ونحب أعداءنا، لأن محبة كهذه وحدها تستطيع أن تكسّر طوق أعمال العنف المتبادلة الذي لا نهاية له وتستبق إكمال الملكوت.

القانون المدني مُلزِم أما الكنسي فلا *

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

اليوم مع إقامتنا لصلاة الجناز عن المرحوم عيسى الذي ذُكر اسمه والذي أعزي أهله به وأسأل له الرحمة والحياة الأبدية نحن نقيم التذكار الذي يهم الأمة اليونانية والشعب اليوناني والدولة اليونانية أعني به عيد استقلال اليونان.

اليوم، أيها الأحباء، نسمع الكثير عن الدول ونسمع كثيراً عن الديانات، نسمع عن الشعب اليهودي والديانة اليهودية، نسمع عن العالم المسيحي ولكن أين هو لا أدري ومع ذلك نسمع عنه. نسمع عن الديانة الإسلامية وعن الشعب الإسلامي، الأمة الواحدة...الخ لا شك أن ما نعيّد له اليوم هو ما بقي من تاريخ الكنيسة الأرثوذكسية التي لم تعد فقط في بلد واحد. الأرثوذكس منهم بالطبع الشعب اليوناني ومنهم الشعب الروسي ومنهم الشعب الروماني والشعب الصربي. شعوب متعددة لم تبق شعباً واحداً. أقول ما بقي لأن الدول اليوم لم تعد بالنسبة للمسيحيين كلها مسيحية. الدول الآن لها نظامها ولها قانونها ولا تتخذ الإنجيل مرجعاً لسن قوانينها. الدول دول أما الكنيسة فهي كما ترون. اليوم ذكّرنا بولس الرسول بمن يخضع للقانون وذكرنا بمن يخضع للنعمة. الذي يخضع للقانون ليس بالضرورة خاضعاً بإرادته. أعجبك القانون أم لم يعجبك يجب أن تخضع له، رضيت أم لم ترض يجب أن تخضع له. لكن بولس الرسول يقول لنا إن القانون الذي تخضع له بالرغم عنك كيف تحبه لا يمكنك

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، عيد اليونان، ٢٠٠١/١٠/٢٨

أن تحبه. أما قانون النعمة الإلهية فأنت حر فيه إذا خضعت له فلأنك تحبه فلأنك تريد أن يكون هذا القانون منظماً لحياتك. هذا هو الفرق بين القوانين عامة والنظام في الكنيسة المقدسة. أيها الأحباء، حتى اليوم بقيت أشياء قانونية لكننا نحبها مثلاً لا أحد يُلزم أحداً أن يعمد أولاده لكن الكل والحمد لله يأتون بأولادهم إلى المعمودية المقدسة لكي يولد أبناؤهم الولادة الثانية بالنعمة الإلهية وهذه بركة وهذا تقديس ليس بعده من تقديس. كذلك عندنا في الكهنوت يأتيك إنسان غريب لا تعرفه، لا تعرف من أين يأتي، لا تعرف من هم أهله لا علاقة لك معه على الإطلاق إلا أنه بالنعمة الإلهية يتقدم إليك كاهناً وإكليريكياً في الكنيسة المقدسة فتقول هذا أبونا، هذا الشخص الذي أرسله الله إلى كنيسته المقدسة يصبح قريباً منك وقريباً إليك أكثر من كثير من الناس الذين تراهم كل يوم. كذلك أقول عندنا في الزواج لم يعد اليوم والحمد لله يكفي أن يقف شاب وابنة التقيا في الطريق فكلّمها وكلّمته وإذا هما يقولان نحن متزوجان. لا. يكلمها وتكلمه ولكنهما يريدان أن يباركهما الرب في حياتهما الأسروية، في حياتهما العائلية، يريدهما الرب أن يؤسسا شعبه على الأرض فلذلك وكما نأتي إلى الكنيسة المقدسة لنتناول جسد الرب ودمه الكريمين يأتيان هما لكي تتبارك هي ولكي يتبارك هو ولكي يُنعم الرب عليهما بحياة وفاق.

أعود فأقول: القوانين الكنسية أنت تختارها ولا يجبرك أحد أن تكون بالقوة في الكنيسة بينما إذا صدر قانون في الجرائد فأنت ملزم أن تطبقه وهذا نوع آخر من القوانين. اليوم سمعنا من بولس الرسول ما يجعلنا نخاطب دولنا بالقول إن الدولة غير المحبوبة ليست دولة للشعب، القانون الذي لا يكون مكتوباً ومنفذاً من أجل الشعب هذا ليس قانوناً للشعب. هذا أمر طاغ عليهم،

هذا ضاغط على الشعب، هذا لا يحبه الإنسان، يجب على الدولة أيضاً أن تأخذ من قانون الكنيسة شيئاً وهو أن الإنسان حر ويحب الشيء الذي يختاره. وكما أن الإنسان في الكنيسة يشعر أنه حر كذلك يجب أن يكون في دولته التي هي له حراً. أقول هذا اليوم لأننا نحن نقيم التذكار الذي تقيمه الدولة اليونانية اليوم والشعب اليوناني معاً. ونذكر دائماً أنه بالحكمة والمحبة يحكم الإنسان وليس بالسيف وليس بالسوط وليس بالسجن وليس بالقتل. حكم كهذا ليس حكماً. هذا حكم على البشر وليس حكماً من أجل البشر. نهنئ الكنيسة، نهنئ الدولة اليونانية نهنئ الشعب اليوناني ونطلب له دائماً أن تكون كنيسته رحيمة كما هي وأن تكون دولته رحيمة وأن تكون كل دولة مثل دولتي رحيمة. وإلى سنين عديدة.

✞ ✞ ✞

نريد بناء وطن ومواطن*

آمل أن تجعل هذه المناسبة من لقائنا هذا المساء شيئاً مباركاً وكل ما أتمناه أن لا يفسر هذا اللقاء على غير حقيقته وأن لا يعطى حجماً أكبر من حجمه لأن حجمه ينحصر في أن نرى بعضنا. ونحن من القائلين إن أهم شيء في هذه الدنيا أن ترى وجوهاً. الذي لا يشاهد الوجوه لا يحب والذي يدير ظهره للبشر ليس بشراً وهو بذلك يخالف الخلقة الإلهية لأن ربنا لو لم يرد أن يكون لنا وجه لما خلقنا ذوي وجوه. لذلك فنحن اليوم نتمتع بهذه الوجوه. ونشكر بصورة خاصة الدكتور جميل كبارة الذي أعرفه منذ زمن ولا تظنوا أن عدم تحدث الدكتور جميل مع كاهن أو مطران قد جعل حاجزاً بيننا ولذلك لم نكن نجلس عنده. فمن البيوت القليلة التي نعرفها هو بيته. وهو الذي قال ماذا يمنع في هذه المناسبة أن تأتوا إلينا فقلت له ولماذا لا تأتي أنت في هذه المرة إلى عندنا حتى نمتحن أنفسنا ونرى إذا كنا أهلاً لهذه المناسبة أم لا. ومع أنه ليست عندي كل الثقة في إمكاناتنا ولكن فلنحاول لأن الواقع في النهاية يدل على أننا يمكن أن نتطلع إلى بعضنا وأن نتغذى بالوجوه التي أعطانا الله إياها.

كنت أقول للدكتور حسان إنه عندما كنت في روما اجتمعت بالبابا ومثل هذا الاجتماع عندنا شيء عادي. لقد اجتمعنا وفي المساء تناولنا عشاءنا كما يأكل كل الناس وكنا جالسين وكان البابا ككل الناس يأكل ويشرب. جلسنا وتحدثنا وذكر لنا كيف كان يحس بالناس عندما أتى إلى عندنا في سوريا

* الدار البطريركية، دمشق، مأدبة عشاء لمجموعة من المثقفين، ٢٠٠١/١١/١١

وخاصة دمشق. عندما جاء كان مرتاحاً جداً وقال بالفعل كنت أحس أن بين المسيحيين في سوريا شيئاً صادقاً وهو أنه يوجد بين الذين يتكلمون بالمحبة من يحبون بعضهم.

كان بعض المرافقين يتساءلون كيف سيتحدث البطريرك الأرثوذكسي مع البطريرك الكاثوليكي وكانوا يستعظمون الآخر. وقلنا يا سيدنا نحن نغفر للكاثوليك أغلاطهم حسب إرادة الرب «واغفر لنا ذنوبنا كما نغفر للمذنبين إلينا». ألا نردد هذا؟ ونحن نطبقه بالفعل ولكن ما رأيتموه بين المسيحيين لا ينطبق عليهم فقط وما شاهدتموه لم يقتصر على المسيحيين فقط بل شارك به المسلمون. وعندما تأتون إلينا وتعلمون أن غالبية السكان مسلمون فأنتم تنظرون إلى الوضع من وجهة نظر خاصة وأما نحن الذين نعايشهم ونشاركهم حياتهم ويشاركوننا حياتنا فنظرتنا ليست إلى غرباء بل إلى أناس نحبهم وأنا أؤكد لكم أن لي أصدقاء بين المسلمين أحبهم أكثر من كثير من المسيحيين الأرثوذكسيين. إذن نحن ليس عندنا هذا الإحساس وأخشى أن يكون هنالك الكثير من التصنع في هذا الموضوع.

ما أعتقده بالفعل أن يكون الوجه نحو الغرب إذا كانت النوايا صافية وهي ليست كذلك لأنهم اعتادوا هم أن يصنعوا النوايا ولا ينتظرون أن يروا نواياك أنت.

هكذا اعتادوا هنا لأنهم كانوا حكامنا وكانت في أيام الاستعمار الكلمة لهم لا بل صرنا نعتقد بأننا إذا كنا ننشد الأفضل فيجب أن ننقل عنهم شخصياتهم وطرقهم وأخلاقهم. مع أن ما كنا نراه من أخلاق عند حكوماتهم ليس أفضل مما نراه الآن عند حكوماتنا.

وهنا أتساءل بالفعل إلى متى نكتب التاريخ ـــ وهنا لا بد مـــن ذكـــر جامعة البلمند التي في أساسها أن تكون مدرسة يقرأ فيها التاريخ كما هـــو ـــ والتاريخ يقرأ من طرف واحد.

لماذا لا نقول إن المسيحية عنصر فاعل في تاريخ هذا البلـــد والمنطقـــة. وأعتقد أن هذا ليس كذباً. يجب أن نجد طريقة لنقول للمسيحيين في الخارج إن الحدث الإسلامي في هذه المنطقة ليس حدثاً بسيطاً ولا تافهاً. لقد جاء وأصلح الكثير من الأشياء وهل نريده أن يفعل كما نريد؟ لا. لا نريده أن يفعل كمـــا نريد وليس لنا الحق أن نطالبه بذلك. وليس له الحق كذلك أن يطالبنا بأن نكون نسخة طبق الأصل عنه. يجب أن نتعلم أن يحب الواحد الآخر ويتعامل معه وأن يبقى في الوقت نفسه كما هو، ولم لا. الصـــحيح في البيـــوت والصـــحيح في المجتمعات أن كل إنسان، لاهوتياً، مُفردٌ. فالله يخلق كل واحد لوحده ولكن لا يخلقه حتى يقول للآخر يجب أن تكون هكذا وهذا لا يوجد دينياً «لا إكراه في الدين». أنا لست بالإنجيل ولست المسيح بالذات. أنا إنسان مثلـــك أرتكـــب السيئات وأقوم بالحسنات لذلك عندما أنظر إليك فيجب أن أرى فيك وجـــه الإنسان الذي أنت هو وآخذك كما أنت.

تكلمنا في مشكلة لبنان فقلت لهم إن مسألة لبنان ليست دينية وأنـــا لا أعرف طائفة في لبنان تقول بوجوب تبشير طائفة أخرى لأنها ليست راضية عن المسيح. لم أسمع عن هذا الشيء حتى في أيام الحرب. ما كنت أسمعه أنه توجـــد فئة مسلمة وفئة مسيحية تتخاصمان على عدد النواب وعلى الوظـــائف كمـــا يحصل في أي مكان آخر لأنهم يعتقدون أن ذلك يساهم في العمل الوطني. لذلك لماذا نتهم الدين؟

جاءني أحد المشايخ وتحدث معي أكثر من نصف ساعة ثم سألني: ما رأيك؟ فقلت له: هل أنت تتكلم معي شخصياً، لقد أحسست أنك لا تتكلم معي. لقد اعتقدتك تلميذاً يسمِّع درسه أمام معلمه. ولكنني لم أَرِدْ في تفكيرك إطلاقاً ككائن موجود ولكن كإنسان عليه فقط أن يسمع. وهذا ما أود محاربته. أريد أن أسمع أنا منك ولكن أريدك أنت أن تسمع مني. أنا لا انتقدك كونك مسلماً ولا تنتقدني كوني مسيحياً فلندع هذه الأشياء. نريد بناء وطن وليس بناء جامع أو كنيسة. نريد أن نصنع وطناً وفي الوطن يتساوى الناس في تذكرة الهوية لأنها واحدة تعطى للجميع. وما أتمناه لشعبنا أن نصل إلى هذه الحقيقة. يجب أن لا نسأل أحداً عن دينه. والسؤال هو عما إذا كان مخلصاً أم لا.

هل يسأل أحدٌ الداخلين إلى الكنيسة أو الجامع عن دينهم. نحن نرى السيدات المسلمات والعائلات في صيدنايا، ونتبارك بوجود هؤلاء الناس، وعندما نرى هؤلاء الناس نحس أن نعمة الله كبيرة ونطلب منه أن يغدقها على الذين يطلبوها كائنين من كانوا.

يا أحباء، هذا الظرف الذي جمعنا ظرف نحبه ونعتقد أنه يجب أن يتكرر بطريقة ما. وقد نكون نحن المقصرين.

✠ ✠ ✠

المعطي الكبير هو الإنسان الكبير*

على افتراض أنكم أكلتم وشبعتم والبعضَ منكم انتبه لطعامــه قلــيلاً وخاصة السيدات لكي لا يزداد وزنهن أكثر من الــلازم. أحــب أن أحيــيكم وأقول: سابقاً عندما كان يحصل زواج وتتشكل العائلة ولكن لا يحصل إنجاب، كانت تلك العائلة تعتبر عائلة لم يضع الله فيها نعمة كافية ولذلك كان يعتــبر ذلك نقصاً وتدعى المرأة عاقراً وهذا ما يعيبها. ولكنهم لم يكونوا يعلمــون أن سبب العقم قد يكون الرجل بل كان يعزى السبب دائماً إلى المرأة.

في العمل يحصل الشيء نفسه، هنالك أناس يعملون ولكن أحداً لا يقدر أن يعمل معهم أو يشاركهم عملهم. أن يحب الناس أن يعاونوك وأن يكونــوا معك نعمة كبيرة جداً. توجد هيئات عامة كثيرة، وعندنا هيئات في الكنيســة، وأنا شخصياً عندي أشخاص يستحيل العمل معهــم أو مســاعدهم لأنهــم لا يتقبلون أية مساعدة. ولا يتكلمون إلا عن أنفسهم. يوجد أناس هكــذا وقــد يوجد كهنة من هذه النوعية وكذلك مطارنة وبطاركة.

أن يجد الإنسان من يرحب به ويستقبله استقبالاً حسناً ليتعــاون معــه فهذه نعمة خاصة.

أعلم جيداً أنكم أنتم الحاضرين في هذا العشاء أردتم بكل صدق وقلب منفتح ونفس كريمة أن تكونوا هذه الأسرة، أسرة «الأخوية» لا يمكنها أن تعمل

*قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، تكريم سيدات من أخوية الصليب، ٢٠٠١/١١/١٤

لوحدها (يد واحدة لا تصفق) الأخوية تتألف منكن وأنتن أردتن أن تكن منها. أحب أن أقول كلمة، كلمة صادقة جداً، فأنا باسم الكنيسة أوجه الشكر للعاملات جميعاً. وأطلب إلى الله أن يزيدهن وأن يقوي الجهد الذي يقمن به، لأهن بالفعل يقمن بجهد عظيم.

أنا ممتن جداً لكُنّ وحلو للإنسان في هذا العالم الذي لا يجتمع فيه اثنان إلا ليقوما بفعل الشر أن يوجد أناس وأنتن منهم لا يجتمعون إلا ليفعلوا الشيء الحسن. وهذا الشيء الحسن لا يخصهم ولكنه يخص الآخرين.

أنتن تعرفن أنكن عندما تساعدن الآخرين فإنكن تساعدن في العطاء ولكن ليس في الأخذ وأن التي تكلفنها لا تعمل من أجل نفسها ولكن من أجل من كلفت بمساعدها لتذهب إلى بيتها وتحمل الخير إليه.

الذي تأتمنوهن عليه يصل إلى غايته تماماً. نحن نعرف أن لا أحد من الأخوية قد بنى بيتاً مستغلاً الأخوية وهذا ليس له وجود.

نحن نعرف أن كل الهيئات التي تعمل في الكنيسة تعرف تماماً أن كل الكنيسة لكل الناس. وعندما نقول لكل الناس فإننا نعني كل الناس بدون استثناء وأنا أعتقد أن أخوياتنا تعمل من أجل كل الناس. اسألوا أنتم ماذا يحدث ستعرفون أن الكثيرين يُدَقّ على أبواهم لكي يصلهم نصيبهم.

الأعضاء يقرعن الأبواب ليعطين وما تعطينه هو نتيجة عملكن وتعبكن ومن أنفسكن الكبيرة.

قواكن الله وأطال بأعماركن وجعل هذه العائلة أكبر وأكبر ومن المحبين. وفي النهاية الإنسان الكبير هو الذي يعطي وليس الإنسان الذي يأخذ. هكذا قال الإنجيل وهذا هو الصحيح.

المرأة تتعلم ولكنها تعلم*

أنا بدأت المؤتمر بشكركم جميعاً وأحب أن أكرر شكري. أعتقد أنه يجب أن نُضَمِّن البرنامج في المرات القادمة جلسات عامة وندعو إليها غير المؤتمرين والمؤتمرات إذ يوجد الكثير من صبايانا يستحسن أن يحضرن ويَسمَعن ويُسمِعن آراءهن وأصواتهن.

وبما أننا نتحدث عن المرأة في الكرسي الإنطاكي فمعنى هذا أنها هيئة عامة ولها خصوصيتها ونحن في البطريركية عندنا مكتب لشؤون المرأة وهو خاص بنا ولكن هذا لا يعني أنه لا يدخله غيرنا فهو مفتوح للجميع ويتصل به كل من يرغب.

إذاً فيما يخص النقطتين أن يكون في البرنامج جلسات عامة وأن تطرح فيها مواضيع تدعى إليها الصبايا من الجامعات أو المدارس أو من المكان الذي ترونه. أحب في هذه القاعة أن تسمع (الصبايا) كلاماً من السيدات ليعرفن أنه يوجد في هذه الدنيا غير ما يسمعنه في التلفزيون ويعرفن أنه يوجد وجود من نوع آخر. أعتقد أن هذا مهم. ومهم جداً أن تشارك الأجيال الجديدة في الوفود ونحن نرحب بالناس وأماكن الجميع محفوظة.

أنا استغرب الحديث الذي سمعته. أولاً: كأنه يوجد من يقول إن المرأة

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، كلمة صاحب الغبطة في ختام لقاء المرأة الانطاكية، ٢٠٠١/١١/٢٥

لا تستحق أن يفكر الإنسان فيها وحدها. إذا كانت المرأة تقول ذلك فلا عذر لمن يفكر غير ذلك. ولكن ألا يوجد موضوع واحد يخصها هي جدير بالتفكير؟

قلنا لماذا نحن نهرب من الواقع الذي هو بيدنا. تكلمنا ويجب أن نقول ما الذي نستطيع فعله في أقصى الاحتمالات؟ نريد أن تكون في البيت عناصر واعية. قلنا الأسرة هي أهم شيء، عندما نقول إن الأسرة أهم شيء لا يعني أنه ليس من شيء مهم غيرها. ولكننا مضطرون أن نقرر ما هو موضوعنا لأن الدنيا كلها مرتبطة ببعضها. فإذا كنا نريد أن نعمم ونتساءل ما الذي يجب أن يبقى خارجاً وليس لنا تأثير عليه أبداً. أفتكر أنه يجب أن نركز على أن الإنسان يبدأ بذاته ماذا يُعْمَلْ الآن، الآن يوجد عدد من الأولاد وهذه الأمهات أمهاتهم. ماذا يحدث لهن؟ أعتقد أن المرأة يجب أن تتعرف على ذاتها، أنها هي كامرأة وحصراً كامرأة مهمة جداً، ويجب أن تتكلم وتحس بأن هذا الشيء مهم وأن تعبر هي عن هذه الأهمية دون انتظار رأي فلان وفلان. فهي ككل كائن بشري لها أن تتعلم من غيرها ولها أن يتعلم غيرها منها. ولكن الإنسان لا يستطيع أن يقوم بكل الأعمال معاً. اتركوا مواضيع للمؤتمرات الآتية وخصوصاً أني تمنيت أن نبدأ الكلام عن واقعنا فالنساء أمامي، أقول لا ينفعن وهاهن أمامنا حاضرات، وهن اللواتي مرضي أن يكن أخوات لأناس وأمهات لأناس وأهلاً لآخرين، ما بالكم؟! الذي نتكلم به أنتم واقعون فيه. قلنا يجب عندما نتكلم عن المرأة أن نتكلم عنها كأم، ونتكلم عنها كأخت، ونتكلم عنها كعضو في العائلة، ونتكلم عنها كمسؤولة في وضع معين. ولسنا نعين الوضع لأنها أينما وجدت يجب أن يكون عندها شيء. كيف يكون ذلك؟

ثم لفت نظري الملاحظة: بأن تهتم بنفسها. أعتقد أن هذا جيد وهذا

واجب، لأنه عندها وجه لنفسها ووجه لغيرها، فإذا لم تهتم بنفسها يتشوه وجه الدنيا كلها وبالتالي يصبح آدم مشوهاً. أي لا يمكن للإنسان أن ينسى أنه حتى عندما ينتبه لنفسه فهذا لكي يعطي. لا أحد يستطيع أن يحتكر الفضيلة، وكذلك الإيمان.فالمؤمن يجب أن يبشر بإيمانه حتى يكون فاعلاً. فربنا لم يتوان ثانية عن العمل، كان ربنا يركض كل الوقت.

ثم بماذا كان يتكلم يسوع؟ أخوك، أخوك، يريد أن يفتح عيني الشخص ليقول له أنت لست لوحدك، أنت تجمع الذي عندك لأنك تتذكر خطاياك لا لكي تذهب إلى الجنة، فربنا هو الذي يعرف ويقرر أيرسلك إلى الجنة أم لا، لكن من أجل غيرك. حتى إذا كان الشخص لصاً فيجب أن يعطي الفقير. والكلام أنه لا يوجد أحد يحل محلي غير صحيح. لذلك أنا أتمنى كثيراً أن ننتبه، ربنا يتكلم ليذكرني بأخي "أحبب قريبك كنفسك..."، وهو لم يقل أحبب نفسك وانتهى الأمر، لم يقل هكذا إنما "أحبب قريبك كنفسك..." أنت لست لوحدك. هو أتى ليخلص الناس وليس ليخلص ذاته.

ومن ثم. من عمل وعلَّم، يعلِّم من؟ لا أحد، يعلم ذاته. ويعمل لمن؟ لذاته. ما هذا الصنم الذي يصنعه الشخص لنفسه وما ذلك إلا ليقول أنا وأنا وأنا... الآن إذا زادت واحدة من الأنا تصبح مَرَضيَّة ولا تبقى طبيعية، صارت علّة والرب يسوع لم يكثر منها، ولم يقل لرسله انتبهوا لصحتكم إنما قال لهم "اذهبوا وبشروا كل الأمم..." وسترى الحسن والسيئ وقد تتقاتل مع الناس...إلخ لأن الدنيا التي أنا مرسلك إليها هكذا هي. لا تعشِ العزلة وكأن البشر غير موجودين. يوم يكون البشر غير موجودين بالنسبة إليك فأنت تنكر خليقة الله. أنت لا ترى رؤية سليمة. يجب أن نقرأ في الإنجيل لنرى أن الرب

يسوع أتى ولبس الطبيعة البشرية، ونرى أن يسوع كان بشريّاً و لم يكن ملاكاً بجناح، أتى كالبشر العاديين. انظروا ماذا كان يفعل، لم يكن يعظم ذاته كما نفعل نحن لمجرد أن نرى صفةً حسنةً يضربنا الغرور، ويسيطر علينا الكبرياء. نحن لا نريد أن نكون هكذا.

ما أحب أن أقوله، إن هذه التوصيات لا زالت تأخذ صيغة وكأننا نكلم غيرنا. لماذا لا نكلم ذاتنا؟ لماذا لا نقول برنامجنا يجب أن يكون هكذا. يوجد أشياء تقال، لا نريد أن يقولها الرجال للنساء ماذا يجب أن يضعن في برنامجهن. نريد من النساء أن يقلن لأنفسهن ماذا يُرِدْن أن يضعن في برنامجهن، حتى يكون موضوع حوار. الذي لا يتكلم لا يستطيع أن يحاور أحداً. أنا أكون شاكراً لهذا. لا تنسين أن الدنيا لا يمكن أن توجد بدونكن. كل الرجال يستطيعون أن لا يقرأوا شعراً، ولكن وجودكن شيء أساسي جداً. فلا نردد دائماً الرجل. الرجل. الرجل... الرجل سوف يتبعك مهما كنت حتى لو لبستِ الحجاب أو ما شئت من اللباس. لنضع أرجلنا على الأرض لأن الله أراد أن نكون على الأرض.

أكون مسروراً جداً أن نكون بهذه الشجاعة ونواجه واقعنا. لا تنسوا أن هذا الواقع الله أراده ولو أنه لم يرده لاستطاع أن يلغيه. لذلك لا نقيدن أشياء منحنا الله إياها وجاد بها علينا.

الله خلقنا و لم نصنع نحن ذواتنا لذلك يجب أن لا نستحي ولا نخاف. أعود وأقول إذا كان فينا شيء خطأ فهذه مسؤوليتنا، لأن الله ليس فيه خطأ ولكن نحن من يصنع الخطأ. ومع ذلك لا يمكننا أن نكف عن العمل وننغلق على أنفسنا وننتظر الرجل ليقرر . ألا يحق لكن الجلوس سوية وبحث الشؤون النسائية؟ شؤون المنزل مهمة ولكن لن يموت أحد إذا لم يأكل كذا وكذا.

نحن معاً ونتشاطر المصير*

أرحب بكم باسم الأسر المسيحية كلها، وأشدد على هذا الشيء في المناسبة التي نحن نعيشها في هذه الأيام. عندنا صوم الميلاد، نحن صائمون والحمدلله، عندنا أيضاً صوم رمضان المبارك وأنتم صائمون، وفي النهاية كلنا صائمون. نشكر الله على ذلك الذي يجمعنا في ظرف استثنائي جداً.

يتكلمون كثيراً عن الحوار، نحن لسنا في حالة حوار، نحن موجـودون معاً، الحوار يكون بين من لا يكلم واحدهم الآخر، أما نحن فليس فقط يكلـم واحدنا الآخر، ولكن نحن نعيش معاً ونحن نتشاطر المصير معاً. ويهمني أن أقول للذين يمكن أن يسمعونا بعدئذ، إننا نحن هنا وليس في هذا الظرف وحده نجتمع، ولكن هذا البلد بكامله في أعياد أصلاً هي لطائفة دون طائفة أخرى، في هـذا البلد نجتمع جميعاً، فعيدنا الصغير (الميلاد) مثل عيدكم الصغير هو أيضاً وطـني، والعيد الكبير (الفصح) كما نسميه هو الحمدلله عيد كبير عندكم أيضاً ونشكر الله على هذا الأمر.

الناس لايعرفون أننا، يا أحباء، في هذا البلد وفي هذا البلـد ولـيس في سواه، كمسيحيين ليس هنالك أي تمييز لأي إنسان هنا على هـذا الأسـاس، وكعائلات مسيحية لا يُطلب منا أي شيء يختلف عما يُطلـب مـن الإخـوة المسلمين كعائلات، نتمتع بنفس الامتيازات كعائلات وخصوصاً عندنا الهويـة

* الدار البطريركية، دمشق، مأدبة إفطار، الاثنين ٢٠٠١/١٢/٣

نفسها. وغير صحيح أي تصور أن هناك في سوريا من يحمل هوية كاملة وهناك من يحمل هوية ناقصة، ولسنا الواحد عند الآخر بل كلنا عند بعضنا البعض ونتمنى أن يكون في كل مكان هذا الواقع مُعَبَّراً عنه. نحن في المواطنية واحد مع كل إخوتنا، الدين هنا لا يميز من مواطنية، ونشكر الله أننا نعيش هذا الأمر منذ أن بدأنا نعرف أننا نعيش، وأنا أتمنى وأكرر ألا نؤخذ بحساب سوانا.

نحن هنا كما ترون وهذه صورة مصغرة، أتمنى أن تتكرر وستتكرر، وسنكون على موائد إخوتنا البطاركة الآخرين لكي يكون كل واحد بمفرده يقول لكم جميعاً أهلاً وسهلاً، ويقول لكم جميعاً وتكراراً كل صيام وأنتم بخير، كل عيد وأنتم بخير، نحن واحد، نحن مرسلون من هذا البلد وليس فقط إليه، نحن عندنا رسالة، هذه الرسالة لنقول لكل من يشكك ولكل من يغمض عينيه عن واقعنا، إننا ههنا. ونحن هكذا ومن يشاء أن يعرف فليتفضل "تعال وانظر". هذا واقع وليس كلاماً، أيها الأحباء، مع كل لقمة نقول صحتين، وإنشاء الله مع كل لقمة بركة، وإن شاء الله عين الذي لا ينام، الذي لا تأتيه سِنَةٌ ولكنه ينظر من فوق السقوف وفوق كل شيء هذا ينظر إلينا ويقول: «أولئك أبنائي فجئني بمثلهم» أولئك الجماعة التي عندها أردت أن أكشف عن نفسي، أن ألهم في هذه المنطقة عن نفسي، وبدوني أنا لا يعرف أحد شيئاً عني.

أيها الأحباء، الله لم يره أحد قط، كل واحد منا يحمل الكلمة الإلهية، وليكن هو طائعاً لها، لا أن يجعلها طائعة له، أو أن يستغلها لغرض إنساني وكلنا بشر، بل أن نكون دائماً لمجد الله تعالى.

أهلاً وسهلاً بكم باسم إخوتي جميعاً ويا مرحباً. هذا المحل يتبارك بوجودكم.

سيادة الوزير، نحن نحب الجميع ونحبك أنت. ونكرر قولنا: أهلاً وسهلاً وإن شاء الله ستكون مناسبات نستغلها ليمجد الله بما نفعل. هذا شيء في غاية الأهمية، أيها الأحباء.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

✝ ✝ ✝

الأنماط التاريخية الواقعية للتعايش السلمي*

يسعدني جداً أن أتحدث إليكم في الموضوع الذي اختير لي: الأنماط التاريخية الواقعية للتعايش السلمي.

كلمة تاريخي هنا تعني «واقعياً وحاصلاً»، أما في اللاهوت المسيحي، فهي تعني "تجسدياً" معتمدة أولاً على تجسد ابن الله الوحيد من أجل خلاص البشر، وثانياً على أن الأرض المقدسة بما فيها القدس وبيت لحم والناصرة وصور وصيدا وكل فلسطين هي المواقع التي تمّ فيها التجسُّد الإلهي حيث "صار الكلمة جسداً وحلَّ بيننا" على الأرض. هذا أمر في غاية الأهمية لأنه يعني أن الله خالق التاريخ، لم يبقَ خارج التاريخ بل اخترقه في وقت معين ومكان معين، وأن الخلاص لم يحصل فقط بواسطة شريعة أو ناموس، بل إن الإله الذي لبس الطبيعة البشرية وصار ملموساً ومسموعاً ومرئياً، هذا الإله صار شخصاً ومحسوساً. وهذا يدعونا إلى أن نقارب يسوع المسيح مقاربتنا لكائن موجود بالفعل على مستوى الوجود الحقيقي الكامل وليس هو مجرد مفهوم فكري أو نظري.

أنا أتكلم عن السلام ضمن هذا الإطار، أي أنني أتحدث عن السلام ليس كمجرد فكرة بل عن السلام في تاريخ الأديان الثلاثة: اليهودية والمسيحية والإسلام، وهذا يسوقني إلى التحدث عن العبرانيين والمسيحيين والمسلمين أكثر منه عن الديانات المذكورة كمجرد ديانات.

إنني أتساءل أمامكم عن هذه الديانات في التاريخ وليس من حيث

*بروكسل، كلمة البطريرك اغناطيوس، ٢٠/١٢/٢٠٠١

مصادرها فقط. وهذا يعني أن نسأل العبرانيين عن السلام في تاريخهم، وكذلك المسيحيين والمسلمين، لا سيما ونحن نسمع الآن أن إحدى هذه الديانات تسلك مسلكاً خاصاً باسم الدين. وهذا يجعلني أتساءل وإياكم متى كان المتدينون لا يسلكون إلا طريق السلام وحده؟

وإذا عدنا إلى تاريخ هذه الأديان، نجد أن الإنسان منذ البدء دخل مجال الصراع والخصام. وهذا ما حصل بالفعل بين قايين وهابيل. كان ذلك في بدايات الخليقة، ومنذئذ استشرى الخصام في العالم. ففي التوراة، نجد أن الشعب الذي من وصاياه "لا تقتل" قد تسبب في القتل لكل من اعترضه في طريقه إلى أرض الميعاد وترك آثاره في كل القرى والمدن التي مر بها، ولما تنقطع الحروب بعد وصوله إلى أرض الميعاد. وماذا نقول عن الممالك التي تبنت المسيحية وصارت تحكم باسمها؟ ولا نزال حتى اليوم نذكر الملوك ونصلي من أجل نصرهم على الأعداء وبعبارات لا تخلو من القسوة الشديدة أحياناً. أما البعض الآخر، فقد ارتضى أن ينظر إلى العالم وكأنه عالمان متخاصمان إلى الأبد. ولا يزال فَخَارُ المتدينين حتى اليوم هو فَخَارٌ بمجموعة من المعارك الحربية التي قامت في الماضي باسم الله عزَّ وجل.

أقول ما أقوله لأذكر أن كل واحد منا لا يفتأ حتى الآن يخلط في تدينه بين ما هو إلهي حقاً وبين ما هو ممارسة دينية من صنع البشر.

أقول هذا لنكف عن إلصاق حروبنا بالله، وأن نعترف بخطايانا وأخطائنا، وأن نسأل الله الغفور أن يغفر لنا كلا الخطايا والأخطاء.

وما دمنا نتكلم عمّا نظنه حقائق واقعية في تاريخنا الديني، فلنأتِ إلى واقعنا نحن في الشرق الأوسط وفي سوريا ولبنان بصورة خاصة حيث تتعانق

الديانات الثلاث وليت المؤمنين في بعضها يتعانقون دائماً.

غير أننا في لبنان، مثلاً، نعيش وجهاً لوجه مع المؤمنين من الديانات الأخرى. ونحن مع إخوتنا أولئك نكوِّن الدولة. لذلك فإن ما يراه الناس من خلاف بين الطوائف يعزى إلى الدين غالباً إنما هو بالفعل ليس سوى خلاف على شؤون سياسية في الأساس. وواقعنا في هذه البقعة من شرقي البحر الأبيض المتوسط، أي في سوريا ولبنان، هو في الواقع مختلف عما يعيشه المسيحيون مثلاً في كل العالم العربي. والعلّة الكبرى هي أننا نتصرف سياسياً ونتنافس سياسياً ونعزو ذلك إلى الدين.

وهنالك حقيقة وهي أننا في سوريا مثلاً ننعم بوضع متميز. فالدولة لم تتخذ ديناً يفرض على كل المواطنين. وفي الدستور لم يذكر إلاّ دين رئيس الدولة، أما سائر المواطنين فلهم حرية ممارسة دينهم في ظل قوانين واحدة.

نعم وإن كانت الحرية الدينية ليست واحدة في العالم العربي، ففي سوريا يُعامَل المسيحي معاملة المسلم تجاه القانون، والجميع واحد على أساس المواطنية. كما أن القانون يطبق على الطائفة المسيحية تماماً كما يطبق على الطائفة المسلمة.

ولمزيد من الإيضاح أقول إننا في سوريا نبني كنائسنا حسب الشروط نفسها التي تبنى عليها الجوامع، وإن محاكمنا الروحية خاصة بنا، والدولة تنفذ قرارات هذه المحاكم. وكذلك فإن امتيازات الطائفة المسيحية هي نفس امتيازات الطائفة المسلمة، فإنارة الكنائس مجانية وكذلك المياه، ونحن نعمل كل أيام الأسبوع ونعطل يوم الأحد. كما أن أعيادنا المسيحية الكبرى هي أعياد وطنية والتعليم المسيحي إلزامي في المدارس للطلاب المسيحيين كما أن تعليم الدين

الإسلامي إلزامي للطلاب المسلمين.

هذا هو واقعنا. كل طوائفنا في سوريا تتساوى بما في الحكومة من حسنات ومعاً تتحمل نصيبها مما ليس كذلك. وقد غادَرَنا أبناء إحدى الطوائف لكن مَن بقي منهم يحظى بوضع طبيعي ولا يرى ما يعرقل عيشه اليومي.

أيها السادة، نقول إننا ننشد السلام. فهل ننشده حقاً؟ إذا ما كنا جادين في ذلك فعلينا أن نوقف العنف والإرهاب في مصادرهما. ولنكن جماعة عدل واحترام وكرامة وتقديس لحرية الإنسان، وإلاّ فكيف نكون جماعة سلام حقيقي؟

أردت في حديثي أن أصل إلى الواقع لأننا في اجتماعنا هذا نحن "بقعة" من ذلك الواقع الذي يجتمع باسم السلام وينظر إلى الآخر بدون كراهية ويلقاه بلا جفاء ويعلن أنه بدون محبة الإنسان للإنسان لن يكون سلام. وإذا كنا قد ذكرنا العدل، فذلك لأن قلة من مجتمعنا تتمتع بالعيش الهنيء، وأن الكثرة تفتقر إلى الحد الأدنى من هذا العيش. فإذا بقيت الحال كما هي فكيف يكون هنالك سلام؟.

وفي الشرق الأوسط، بصورة خاصة، المواطنون لا يحظون دائماً بحقهم من الاعتبار والكرامة والتقدير والعيش الكريم، وما أكثر أمثال هؤلاء على وجه أرضنا!

وإذ أتكلم عن الشرق الأوسط بصورة خاصة، فلأنه، كما قلت أولاً، يضم الأماكن المقدسة التي يتبارك بها الجميع. لذلك نراه منطقة فريدة لا تشبهها منطقة أخرى على وجه الأرض. وحرام أن يظلم الإنسان فيها كما في كل مكان، وحرام أن تفتقر إلى السلام مدينة السلام.

الأرثوذكسية فرح ومسؤولية*

نشعر بفرح كبير لاستقبالكم في هذه الكاتدرائية التي تمثل الكرسي الانطاكي وسائر المشرق، وهو كرسي اضطلع حتى الآن بمسؤولية الشهادة للحضور المتواصل للروحية الأرثوذكسية التي لم تتوقف يوماً عن الوجود في هذه المنطقة. الأرثوذكسية بالنسبة إلينا فرح كلما افتكرنا بها. وهي مسؤولية كبيرة نفكر بها عندما نحاول أن نجد هوية شخصيتنا الروحية. نحن هنا لنقول إننا نمثل أصولاً روحية لم تتوقف عن الوجود في هذه المنطقة. فدمشق خصوصاً هي المكان الذي ارتد فيه القديس بولس إلى المسيحية.

أود أن أذكّر بما قاله رئيس الجمهورية السورية الذي نحبه كثيراً، خلال زيارة قداسة البابا لسوريا. قال: «إن دمشق ليست عاصمة سياسية فحسب، بل هي أيضاً عاصمة مسيحية». لقد أعلن ذلك للعالم أجمع. عديدون في العالم اعتقدوا أن هذا القول يدعو إلى العجب. لكن موقف الرئيس السوري والشعب السوري، ولا سيما الأوفياء لكنيستنا، لم يكن كذلك إذ رأوا أن هذا الأمر ليس غريباً قد ينساه بعضهم ولكنه بالفعل حقيقة دائمة. أقول هذا في حضوركم، وكما جئتم لإجراء محادثات مع سوريا، أود أن أقول إنه كان لدينا خط متواصل مع دولتكم، على الصعيد الروحي. لدينا الخاصة الروحية نفسها، ونحن مسؤولون بأنفسنا عن ممارستها هنا، أي أن نحولها من رغبة إلى واقع. وهنا، نحن

*الكاتدرائية المريمية، دمشق، استقبال الرئيس اليوناني، ٢٠٠٢/٢/٣

موجودون فعلياً، وكما يريد تقليدنا الأرثوذكسي الذي يشكل جزءاً من الشخصية الروحية لهذه المنطقة. نعترف بذلك، ويعرف الجميع ذلك.

باسم مطارنتنا ومؤمنينا والكرسي الانطاكي ومواطنينا، أياً تكن انتماءاتهم الدينية وميولهم، أرحب بكم، إنها سعادة أن نلتقيكم وان نتمكن من مخاطبتكم. وأعتقد أنه أمر يجب تكراره حيث يجب هو أننا في سوريا، نحن سوريون مئة في المئة، وأرثوذكس مئة في المئة. ولسنا سوريين وأرثوذكساً من أجلنا نحن، بل من أجل الآخرين. والآن نسعى إلى السلام، ونحبه ونعمل من أجله. وأنا متأكد أنكم أشرتم إلى هذا الموضوع الذي يهمنا كثيراً لدى لقائكم الرئيس السوري، وخصوصاً أنه موضوع يجعل الجميع يفكرون في أن الآخر ليس الجحيم، على حد قول جان بول سارتر، بل الآخر هو الذي تتجسد فيه القيم المسيحية. يجب أن يكون هناك شخص نحبه، كي نحب. فالمحبة هي في أصل المسيحية. أشكر لكم حضوركم بيننا، وزيارتكم تسعدنا كثيراً وتحمل معاني كثيرة.

ثم توجه غبطته إلى المؤمنين وقال بالعربية: «لقد شكرت للرئيس اليوناني زيارته. وإن وزيرنا سعدالله آغا القلعة العالم بشؤون الموسيقيين هو المسؤول عن السياحة. لذلك، نتمنى على الأدلاء السياحيين ألا ينسوا أن العالم المسيحي عموماً موجود فعلاً هنا وموجود كمسيحي، وجيد أن يعرف الغرباء أن المسيحيين ليسوا موجودين هنا بوضع مزرٍ ونحن لسنا أقلية عددية مداسة أو مهمشة...الخ ومن الواقع الذي يجب ذكره أنه لدينا أربعة وزراء (مسيحيين). ويهمني تأكيد هذا الأمر. نحن نعتز بمجيء رئيس الجمهورية اليونانية الإغريقية، علماً أنه في وقت من الأوقات لم نكن نقول كلمة في الحضارة العربية إلا

ويكون مثلها من الحضارة الإغريقية. فهذه الحضارة الإغريقية ليست غريبة عنا. ويخطئ من يعتقد أنها غريبة عنا ويكون هو الذي لا يعرف، ولا تكون هذه هي الحقيقة. أشكر لكم حضوركم وأشكر سعادة السفير والأخوة الذين يمثلون دولتنا. نعتز بشعبنا وتاريخه، وبكونه معجوناً بالحضارات المتعددة العميقة. ونطلب من الله أن يحقق إرادتنا بأن يعرف العالم أننا نحب أيضاً السلام، وأننا نعيش مع المسلمين. كان بيننا يهود ولم يخرج أي منهم من البلد بالقوة، بل هو اختار ذلك. إن شاء الله، نبدأ نوعاً من الحرية المطلوب دائماً أن تزداد يوماً بعد يوم.

وأتمنى للرئيس اليوناني أن يعطيكم الله الكثير من النعم، كي تعيد مفاوضاتكم خطاً بدا أنه قطع في وقت من الأوقات، وهو خط روحية وثقافة وحضارة حصل في بلدكم، ولكن انطلاقاً من انطاكية، لأن القديس بولس انطلق من انطاكية إلى أثينا وليس العكس.

✞ ✞ ✞

تداعيات ١١ أيلول ٢٠٠١ إلى أين؟*

أصحاب الغبطة، أصحاب السعادة والسيادة ، أيها الحضور الكريم،

اسمحوا لي أولاً أن أعبر عن امتناني الكبير لوجودنا هنا، خاصة، أن الموضوع الذي نسعى جميعاً للخوض فيه يهم بصورة جدية عدداً كبيراً من الناس. وثانياً أود أن أعبر عن فرحي الكبير بوجود عدد كبير في عالمنا المعاصر ممن يتحدثون عن أشياء تتجاوز الاهتمام ببلد معين أو أشخاص معينين.

لقد أتيت من منطقة تمّت فيها عملية التجسد الإلهي. والحديث عن التجسد الإلهي يدعونا إلى الإيمان بأن كل الأشياء يجب أن تأخذ شكلاً واقعياً وملموساً. فبما أن الإله قد أتى إلى العالم كإنسان، علينا أن نشخصن ما نؤمن به بحيث يمكن للتاريخ نفسه أن يشهد للحقيقة والعدالة اللتين نتكلم عنهما. بدون هذه الشخصنة تبقى اهتماماتنا نظرية فكرية لا تمس أي واقع. في حين أن آلام الإنسانية هي أمر واقع وليست مجرد أفكار أو مجرد تصور.

إن الإيمان بأن الأشياء تصبح واقعاً يعني أننا لا نحتاج إلى سماع الأقوال الجميلة فقط. فهذه هي المرة الثالثة التي أشارك فيها في مثل هذا اللقاء لكني أتمنى شخصياً أن نتجاوز هنا سماع العبارات الخطابية الجميلة. فالفقر مثلاً لا يعالج بمجرد وصفه. والإنسان كله لا يأخذ حقه من الجدية بمجرد الكلام عنه. لأن الإنسان مازال الآن يُستخدم كأداة في يد القوى السياسية. إنني أرى أنه لا بد

*نيقوسيا، قبرص، ٢٠٠٢/٣/٨

لنا من أن نرتقي إلى مستوى التأمل والتخطيط ونضع في أيدينا برامج وحقائق تدعونا إلى جعلها أعمالاً تعالج وتشفي أوجاع الناس وآلام البشر.

أيها السادة:

إنني كشخص قادم من الشرق الأوسط أرى أن هنالك واقعاً إنسانياً يجب أن يتغير وبدون ذلك فإن كلامنا ومجمل أفكارنا لا تجدي فتيلاً. ففي هذه اللحظة وفي هذه البقعة من الأرض العديد من الأشخاص يُقتَلون: أمهات يفقدن أطفالهن وأطفال أبرياء يذوقون الموت. أجيال لا تعرف ماذا يخبئ لها الغد وأي أمل لها في مستقبل كريم. إنني مؤمن بأنه علينا نحن أن نواجه هذا الواقع المعاش برصانة وواقعية. إنها قضية أرضنا المقدسة. هذه كيف يمكن أن تكون مقدسة وقداستها تنتهك كل يوم؟

ففي فلسطين الواقع مؤلم جائر وأورشليم ليست الآن مدينة السلام. أي سلام هذا الذي نتكلم عنه الآن ومن أجله نجتمع؟ أتكلم عن أورشليم، لأن أورشليم في قلب كل الديانات السماوية التي انطلقت من الشرق الأوسط.

أيها السادة:

علينا أن نفعل شيئاً وإلا سنفقد ثقة شعوبنا . إن شعوب المنطقة تريد أن ترى بأن الغد هو مختلف عن اليوم وأنه يمكن لها أن ترى لها غداً.

إنني لست متأكداً من أن كلمة السلام تعني تماماً السلام الحقيقي وأن المقصود بها السلام لبعض الناس في الشرق الأوسط لا لكل الناس. وكأن السلام ليس واحداً للجميع. وكأن الكلمة لا تعني الشيء نفسه لكل الناس في كل مكان. لذلك علينا أن نعلن أن السلام لا يكون سلاماً إذا لم يبن على العدالة

لكل إنسان والكرامة لكل إنسان، وإلا فلن يتحقق سلام حقيقي أبداً.

لدينا هذه التجربة في دياناتنا، وأقول حتى في كنائسنا. فقد اعتدنا على سماع كلمة الطائفية هنا وثمة. فباسم الطائفية وباسم الله نسمح بأن يكون الآخر عدونا، بينما نعلم أن كل خلائق الله محبوبة لديه. ونقول بأن الأديان ليست وسائل لمعاداة الآخرين. فلماذا يا ترى نعادي الآخرين باسم الدين؟

إنني أرجو لجميع المشاركين في هذا الاجتماع من ذوي الإرادة الطيبة أن يجعلوا منه نقطة انطلاق إلى الأمام فنضع كلنا نصب أعيننا أن كل إنسان مخلوق على صورة الله، يستحق السلام والكرامة ويستحق أن يصان من الجوع ومن المذلة ومن الموت على يد أي إنسان من أجل أية غاية في الدنيا.

وشكراً.

✞ ✞ ✞

نحن موحدون ولا أصنام عندنا*

عندما أمعن التفكير بواقعنا هنا وكيف نختبر التعايش الإسلامي المسيحي فيما بيننا، يسعدني دوماً أن أشير إلى بعض الحقائق للدلالة اننا في سوريا لا نركض خلف النظريات ولكننا نبحث عن الحقيقة.

عندنا هنا مستويان:

أولاً: كأفراد في سوريا. وأشدد على القول في سوريا لأنه لا يصح ذلك خارج سوريا ـــ اللهم إلا في لبنان ـــ بشكل من الأشكال. وسآتي على ذكر لبنان فيما بعد. ولكن خارج هذه المنطقة أي سوريا ولبنان فقد يختلف الأمر كلياً نظراً لاختلاف الأوضاع وأسلوب الحياة عندنا.

فعلى صعيد الأفراد نحن نتمتع بالمواطنية الكاملة وليس عندنا نوعان من الهوية مثلاً. وينظر إلينا كمواطنين لنا حق التصويت ولا يوجد تمييز بين فرد وآخر على أساس الانتماء الديني.

ثانياً: أما على صعيد الطائفة ككل فنحن نقف على قدم المساواة مع الطوائف الأخرى. وعلى سبيل المثال فإن الإجراءات المتطلبة لبناء جامع هي نفسها المطلوبة من أجل بناء كنيسة دون زيادة او نقصان كما يروج لذلك في الخارج حتى الآن. قد يحصل ذلك عند غيرنا في بلدان أخرى ولكننا لا نتكلم عن تلك البلدان إننا نتحدث عن أنفسنا هنا في سوريا.

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، مؤتمر الحوار الإسلامي المسيحي، ٢٤/٤/٢٠٠٢

إذا ما تجولتم قليلاً في دمشق فستشاهدون العديد من كنائسنا الأرثوذكسية الجديدة. هذا البناء حيث نلتقي والذي تشاهدونه هو بناء جديد. وكذلك الدار البطريركية فهي جديدة برمتها. وأنا أتحدث الآن باسم جميع المسيحيين. نحن لا نلاقي صعوبات تعترضنا في معظم ما نقوم به. نحصل على الطاقة الكهربائية مجاناً وكذلك المياه مثلنا مثل سائر دور العبادة للطوائف الأخرى. عيد الميلاد هو عيد وطني يعطل فيه الجميع ويستمتعون بعطلتهم مسيحيين ومسلمين الشيء الذي لا يحصل مثلاً في كل أنحاء أميركا وأنا أعلم ذلك. وكذلك عيد الفصح الذي تعطل فيه البلد يومين واحداً للفصح الغربي وآخر للفصح الشرقي ويتمتع جميع المواطنين بهذين اليومين.

أما التربية الدينية فهي إجبارية في المنهج التعليمي حيث الطلاب المسلمون يتلقون التعليم الديني الخاص بهم وكذلك الطلاب المسيحيون. كل أبنائنا وبناتنا مسلمين كانوا أم مسيحيين مجبرون على تعلم دينهم بغض النظر عما إذا كانوا مؤمنين بذلك أم لا. عندنا لا أحد يتحدث عن ملحدين بالرغم من أنه ليس صحيحاً أنه لا يوجد البعض منهم. وفي مقابل ذلك فإن الناس عندما يتكلمون عن السكان في الغرب ويقصدون بذلك الغرب الأقصى في أميركا الشمالية وأميركا الجنوبية فإنهم يتكلمون عنهم كمسيحيين فإذا ما اندلعت حرب ما اعتقد البعض من اخواننا المسلمين عن صفاء نية أن كل من هو غير مسلم مسيحي وهذا ليس صحيحاً على الإطلاق. فالعالم الغربي ليس مسيحياً على صعيد الممارسة وإذا قام إنسان مثل بوش بإثارة المتاعب في وجه الآخرين قيل إن أولئك المسيحيين يسيئون إلى الآخرين.

نحن في سوريا كطائفة مسيحية ونقولها باعتزاز، إن هذا ليس صحيحاً.

نحن كمواطنين نقف على قدم المساواة مع الآخرين بالنسبة للدولة ونعامل على الأسس نفسها. مدارسنا تعلم ديانتها لأطفالنا ولنا ملء الحرية في التعطيل يـوم الأحد أو يوم الجمعة حتى أن المحلات التجارية تعلن على أبوابها يوم عطلتها. ولا شيء يفرض علينا رسمياً من قبل الحكومة. لا بل يسمح للموظفين المسيحيين أن يتغيبوا عن وظائفهم أيام الآحاد حتى الساعة العاشرة ليتاح لهـم أن يمارسـوا شعائرهم الدينية في كنائسهم. هذا هو واقعنا وهذا ما يحصل في كل يوم أحـد وأيام الأعياد.

لكننا ما زلنا نتعلق أحياناً بأمر يتعلق بماضينا القبلي. فالفرد في القبيلـة ينتمي إليها آلياً ولا يتقبل ما يقع خارج حدود مجتمعه ويعتبره سلوكاً غريباً. وفي ظني أنه لا يزال عندنا شيء من هذا القبيل وبتنا بأَمَسِّ الحاجة أن يدرس كـل مسيحي الدين الإسلامي وأن يدرس المسلم الدين المسيحي فنحن نحتاج أكثـر فأكثر أن يفهم بعضنا البعض ونحتاج أن ننظر إلى الكائن البشري على أسـاس وجوده (نظرة وجودية) وليس على أساس عقيدته. وأن نتطلع إليه كواقع قـائم أمامنا.

ولا يستغرب أحياناً أن نبادر شخصاً بالسؤال: أمسلم أنت أم مسيحي؟ ولا نسأله عما إذا كان صالحاً أم لا، أو نتحدث عن قدراتـه في أداء الأعمـال الصالحة للآخرين.. هذا الميل يعود إلى انتمائنا القبلي في الأصل. والسؤال يكون عن القبيلة كمجموعة وليس عن الأفراد وخصائلهم.

في الحقيقة هنا لا يفترس واحدنا الآخر ولا ضرورة لأن يخاف واحدنا الآخر. تجولوا في دمشق ساعة تشاؤون وأنى تشاؤون فلا حـرج علـيكم ولا خطر.

في أماكن أخرى قد يطرق مسامعكم أن المسلمين فئة متخلفة نوعاً ما. نعم هنالك مسلمون متخلفون ولكن هناك مسيحيون متخلفون. ونحن لا نعتقد أن أية فئة من البشر هي من الملائكة فقط والآخرين هم من الشياطين. نحن نؤمن بأنه في كل الفئات يوجد الملائكة والشياطين معاً. لذا لا يدهشنا أن نجد بين جيراننا وأصدقائنا الذين من غير ديننا أناساً صالحين ونحن نكن لهم كل الحب. ولا نستغرب أن نجد أناساً بعيدين كل البعد عن الصلاح وقد نكون نحن من هؤلاء.

قد يظن بعض الناس في الخارج أن شعوب الشرق الأوسط متطابقة تتصف بالميول ذاتها والتقاليد ذاتها والأفكار ذاتها وهذا خطأ فادح. نحن كأفراد كغيرنا ولنا فرادتنا ولنا أسلوبنا في الحياة يتماشى إلى حد مع المجتمع بكليته.

هل هذا يصح في أميركا وأوروبا؟ أعلم أن ذلك يصح في أميركا التي أعرفها جيداً أكثر مما يصح في أوروبا. وعليه فإننا نستحق مزيداً من الاحترام من قبل اخوتنا في الخارج. وإذا كان الخالق واحداً أوحد فهو الذي خلقنا ولم نأت من مصدر آخر وبالتالي فإننا نتمتع بالفضائل التي للجميع. ولا أعتقد أن كل من يأتي من الخارج متفوق علينا. نحن نعرف كيف نحب ونعرف كيف نخدم. إذا رأيت أحداً يقع عن سلم عال فلا بد أن هرع لنجدته دون أن تسأل عمن هو أو ما دينه.

لا يتصف شعبنا كله بالكذب وليس هو من القتلة. لديكم التقنيات العالية لقتل الناس وأنتم أكثر منا تقدماً في هذا الصدد ونحن راضون عن تخلفنا في هذا المجال لا بل ننشده. وتكفينا النظرة إلينا في هذه المنطقة وكأننا مصدر كل الشرور. نحتاج بالفعل أن ينظر إلينا بحد أدنى من الاحترام والكرامة.

لقد تولد لدينا في التجربة الفلسطينية أنه لا بأس أن يقتـــل الفلســـطيني ويجب أن لا تكون هنالك أية ردة فعل ولكن إذا قتل إسرائيلي يجب أن تقـــوم الدنيا ولا تقعد. القتل قتل هنا وهناك ونشجبه ولكن القتيل هو إنسان في كــلا الطرفين. يجب أن نملك الجرأة على أن نكون عادلين. خالقنا واحـــد والمـــوت واحد والمصير واحد وكل الناس مدعوون أن يموتوا. نحتاج بالفعل إلى أن نحظى بالاحترام وأن ينظر إلينا بشكل موضوعي. عندنا الانطباع أنه لا ينظر إلى واقعنا بموضوعية. نطالب بتجربة فتح الأعين، الأفكار هي من صنعك أما العين فهـــي من عمل الرب وبإمكانها أن ترى أفضل. الأفكار شيء من الأحكام الفوقية على خليقة الله. نتمنى أن يتحلى الناس بالبساطة والانفتاح لكي يستخدموا جيداً مـــا أعطي من الرب. أومن بأن ذلك مفيد للغاية حيث ترى الآخرين وتتعرف عليهم كما تعرف نفسك وتعاملهم كأناس على قدم المساواة معك.

إننا نلتقي هنا وبكل صراحة أقول بأنني لا أخاف شيئاً وبإمكـــاني أن أكون مسيحياً ١٠٠% وهنا أناس نحبهم بكل صدق ومودة وهم من أبناء الدين الآخر ولنا بينهم صداقات رائعة فيما لا نجد الخير دائماً في جماعتنا وإننا نتـــألم للشر الموجود في طائفتنا وليس عند الطوائف الأخرى.

آمل أن نتكلم في اجتماعنا بمنتهى الصراحة ويمكنكم طـــرح الســـؤال الذي تشاؤون لعل ذلك يلقي بعض الضوء على أسلوبنا في الـــتفكير ويظهـــر الحقيقة التي نعيشها. الله تكلم عن الفردوس في هذه المنطقة وكذلك تكلم عـــن الجحيم في هذه المنطقة.

في الوقت الذي تحقق فيه الوحي الإلهي لم تكن أميركا بعـــد معروفـــة وكذلك بعض أوروبا. وإن كنتم ترغبون حقاً في رؤية الأشياء الجيـــدة فهـــي

موجودة ويمكنكم العثور عليها وإن كنتم تفتشون فقط عما هو سيئ فستجدون حتماً الأشياء السيئة ولكن ذلك لن يكون عادلاً إن اقتصرتم عليها.

عندنا هنا لا إله ولا ألوهية سوى الله. الكائنات البشرية لا تستطيع أن تكون إلهاً جديداً بالنسبة إلينا أو ما يشبه الإله. نحن موحِّدون ونريد أن نكون موحِّدين. لا أصنام عندنا من أي نوع: علمية كانت أم دينية أم سياسية أم اجتماعية وبشكل خاص اقتصادية. هذه ليست عندنا وشكراً.

✝ ✝ ✝

لا بديل عن القدس*

أرحب بكم وبطريقتكم في التعبير الصامت. وكم من صمت أفصح من خطاب. إنكم تنقلون مساهمة المواطنين جميعاً في التفكير بأخوتنا الفلسطينيين من مرحلة الكلام إلى مرحلة الفعل. فعل يرفع المعنويات عند من يقدمون دماءهم ويقدمون حياتهم ضحية مباركة من أجل قضية حق.

اليوم، العالم ينظر إلى فعل كهذا، وقد بدأ الآن يتحسس بما تفعلون، ونأمل أنه أصبح يحترم ما تشعرون به.

حتى اليوم، كنا نشكو من أن آلامنا لم تكن تؤلم أحداً. بل بالعكس كان الآخرون يشمتون بنا، عندما نقوم بجهد وطني نقوم به من أجل غاية سامية وأمر رفيع كما تعلمنا أدياننا جميعاً.

اليوم وصلتني رسالة من صاحب القداسة البطريرك المسكوني، وفيها يطلب إلينا أن نصلي من أجل الذين يتعذبون ويعانون الضغط والقهر ويقدمون الضحايا، أولئك الذين في فلسطين، الأرض المقدسة في صورة خاصة بالنسبة إليكم. وقال لا تنسوا أن القدس عند اخوتنا المسلمين تشكل القبلة الثانية، أما عندنا نحن المسيحيين فهي القبلة الوحيدة.

ليس عندنا آخر بالنسبة إلى القدس ولا بالنسبة إلى فلسطين. فهناك عاش المسيح وهناك قال كلمة الحقّ، وهي أن الإنسان مخلوق على صورة الله

*الدار البطريركية، دمشق، مسيرة دعم للقضية الفلسطينية، ٢٠٠٢/٤/١٧

ومثاله، ولذلك لا يجوز أن تمسه يد أو كلمة بالإهانة، بالاحتقار، بـــالأذى، أو بأي شيء لا يرفعه لكي يكون سامياً. الصورة ترتفع إلى المصوّر الذي هـــو الله تعالى.

وهناك رسالة ثانية وصلتني من بطريرك القدس وقال فيها: لـــيس مـــن إنسان مسيحي في الأرض المقدسة لا يرى أن المسّ بالأرض المقدسة هو مساس به شخصياً وبكل شعبه. وقال: أطلب إليكم أن تصلّوا من أجلنا لأن ما يتوقعه الناس عادة من عدل ومن كرامة لا نحصل عليه، إنما ندفع ثمنه غالياً، وليت الثمن يكفي لكي نحصل عليه.

ووصلتني رسالة ثالثة من مجلس الكنائس العالمي في سويسرا يقول فيها: نحن على اتصال وثيق بكل الدول الأوروبية لكي نشجعها ونذكّرها بأن فقدان حجر واحد من القدس هو فقدان حجر في المسيحية التي نمثلـــها، وذكـــروا في رسالتهم - وهذا ما يجب أن يشجعنا جميعاً - أن أسوج والدانمرك وروســـيا، تقول اليوم ما تقولونه أنتم تقريباً وهو أنه يحق لكم ألا ترضوا بـــأن تســـتباح الأرض وأن يستباح البيت وأن يستباح الإنسان بحيث يكون أداة في يد ظلمـــة جبارين لا يعرفون معنى الرحمة.

وقد وصلتني رسالة من أميركا أدهشتني كثيراً وفيها: لستم وحدكم في الميدان، إن هناك كنائس تقول قولكم وتصلي من أجلكم، وبالتأكيد من أبرشيتنا في أميركا الشمالية والكنيسة المشيخية الإنجيلية والكنيسة الأسقفية وهمـــا مـــن كبريات الكنائس الإنجيلية في أميركا. هؤلاء كلهم معكم ويقولـــون قـــولكم، ويقولون لقد طفح الكيل و لم يعد السكوت ممكناً عما يحدث في فلسطين مـــن ذبح وقتل وهدم وحرمان.

وأذكر أخيراً اجتماع رؤساء الكنائس في أرضنا المقدسة، وقالوا فيه: لا بديل من رئيس الدولة الفلسطينية الذي هو "أبو عمار".

أضاف: "نحن هنا على اتصال مستمر باخوتنا، ويشهد الله أننا ننقل إليهم ــ كون هذا البلد سوريا صادقاً في قوله ــ أن لا بديل من أن تكون القدس مقدسة ولا بديل من أن تكون فلسطين فلسطينية ولا من أن يكون الإنسان الفلسطيني إنساناً مكرماً ويستحق أن يُنظر إليه بكل إعجاب.

وهنا رفع مجلس كنائس الشرق الأوسط صوته وقال كلمته مكتوبة ومنشورة. قال إن الحق الفلسطيني هو حق لنا جميعاً لأن خسارة القدس وخسارة فلسطين لا تطول إنساناً واحداً فقط ولكنها تطول كل من عنده دين، تطول كل مسلم وكل مسيحي. إنها خسارة للجميع بدون استثناء، ولذلك يحق للجميع أن يتحسسوا وأن يشعروا في أجسادهم بأن الخسارة هناك هي خسارة لهم في منازلهم وفي أعمالهم، لا بل في كل شيء.

متى يحين الوقت لنرى العدل يسود أرض العدل، وأرض السلام يسودها السلام؟ متى يأتي الوقت الذي لا يكون المتكلم فيه هو المغتصب ويطلب من سواه أن يكون صامتاً؟ متى نصل إلى حالة نشعر فيها بأن الكرامة هناك أعطيت لصاحب البيت، لصاحب المزرعة، لأبي العائلة ولأمها، للتلاميذ، للشبان، للشابات. أولئك الذين لا يعرفون حتى هذه الساعة مستقبلاً لهم إلا أن يقدموا ذواقم ضحايا من أجل الحق الذي ينشدون.

وختم: في هذه الأمسية التي أنتم زهرها، أود أن أقول: عين الله على من يعملون الحق رغم أنف من لا يحب الحق ولا يتبعه.

بارك الله بكم وحفظكم وحفظ لنا بلدنا وحفظ فلسطين والفلسطينيين وكرامتهم والعدل لديهم. ونحن بعدما وعى الناس قليلاً، وهذا الوعي سيزداد حتماً إن كان في أوروبا أو في أميركا أو حتى عندنا في العالم العربي، نتوقع أن نرفع رؤوسنا بما حدث، أي عندما ينتصر الحق على الباطل. وفي ماضينا كثيراً ما انتصر الباطل على الحق بسبب خذلاننا.

إذا كان الله معنا فمن علينا؟ لا تخافوا، لا تخافوا. في سبيل الحق ليس من العيب أن يموت الإنسان، العيب أن يموت عن أشياء تافهة لا تستحق الذكر.

✠ ✠ ✠

اقرعوا يُفتح لكم*

أشكر جوقتنا أولاً، أشكركم جميعاً لأنكم عندما سمعتم أن الجوقة ستقيم أمسية تكرمتم وحضرتم إلى هذا المكان المبارك وهذا شيء حسن ودليل على أننا نحب أن نسمع صلوات ولا يخيفنا المجيء إلى الكنيسة. هناك أشخاص إذا دعوهم إلى المقهى يذهبون أما إلى الكنيسة فلا لذا أريد أن أشكركم جميعاً.

ما سمعناه الآن لا شك أنه نتيجة جهد، وأنه يوجد تعب وراءه. كذلك من الأشياء الجميلة في الكنيسة أنه يوجد أشخاص كثر من أبنائها يعملون لها، نعم يعملون شيئاً ولا يجلسون متفرجين فقط. أتمنى، وخاصة أن المدرسة قد انتهت، أن لا يجد أفراد الجوقة صعوبات كبيرة في الحضور. وأحب أن أقول إنه توجد مواهب. الأصوات حلوة والأداء جميل جداً، الأداء جيد جداً بنظري، والتوزيع جيد وأعتقد أن هذا يجب أن نتبناه في الكنيسة وأنا أشكر الياس بشكل خاص لأنه هو الذي يهتم بهذه الأمور. وأتمنى كثيراً أن يزداد العدد، ولا أرى ما يمنع ذلك أبداً. وآمل أن يؤمن لهم كل ما يلزم ليجتمعوا للترتيل وما بعده لأنه توجد أشياء يجب أن يقوموا بها. كل هذا يتحقق بواسطة الياس الذي هو قريب منا وليس له إلا أن يتكلم. لا أريد أن يظن أنكم مهملون لا. ولكن «اقرعوا يُفتح لكم». أعتقد أنه لا ينقصنا شيء حتى يُفتح لكم ويقدم لكم الأفضل. أريدكم أن تتشجعوا بأصحابكم الموجودين، أريد من الشباب والصبايا أن يسمعونا أصواتهم، والجيد أنهم عندما يرتلون يرتلون من كل قلبهم. والإنسان

* الكاتدرائية المريمية، دمشق، أمسية مرتلة لجوقة الكنيسة، ٢٠٠٢/٥/١١

ينفرج عندما يرتل لربه وهذا شيء حسن جداً جداً.

أريد شيئين:

لا أتمنى أن تصبح الغيرة الموجودة آلية. يعني أن الخطأ في كل الأمور وحتى في الكنيسة أنك بدل أن ترى أناساً مندفعين تجد أناساً موظفين مثلاً يتطلعون في كل حين إلى ساعاقم يراقبون الوقت ولماذا تأخرت الصلاة. هذا الشخص لا يصلي ولكنه يقوم بنوع من الواجب ومن ثم يدير ظهره ويترك الكنيسة كنيسة كل واحد وخاصة كنيسة الذي يرتل والذي يخدم، الكنيسة لأهلها.

لأن اسم الجوقة مرتبط بالمريمية أعتقد أن طريقة المريمية في الترتيل طريقة المريمية في التصرف مع الخدم يجب أن يعبروا عنها حتى تكون عندهم شخصية معينة، حتى يكون عندهم طابع خاص، هذا مهم جداً. وأعتقد لا بل وأثق بأن هذا كله يحصل وبسهولة.

أعود وأكرر شكري للياس وللصبايا والشباب عندنا ولكم جميعاً. قواكم الله ونحن أصبحنا في المريمية نغار منكم عندما نشاهدكم تجتمعون هكذا وبهذه الطريقة. نتمنى دائماً أن نراكم. لا أعرف إذا كنتم أنتم تريدون أن ترونا ولكن نحن بكل تأكيد نريد أن نراكم. سهرة جيدة. شكراً لمجيئكم وشكراً لأنكم رتلتم وإن شاء الله يتكرر هذا الشيء في المستقبل. اختيار القطع جيد جداً وإن شاء الله هذه خطوة أولى متقدمة.

حفظكم الله وبارك عملكم.

الكبرياء أخطر ما يواجه الإنسان*

قبل ٤٠ عاماً، لم يكن الحاضرون هنا حاضرين في هذه الكنيسة أو سواها. لم يكونوا موجودين بالضرورة من ٤٠ عاماً. عندما أتيت سيادتكم، صار في طرابلس شيء مهم جداً. أنت تكلمت عما فعلت، لكنك لم تتكلم عمن أنت. أنا أريد أن أقول من هو المطران الياس قربان.

هو الذي جاء إلى طرابلس يوم كان أبناؤها يتنافسون على أن يخالف الواحد الآخر، وكانوا منقسمين كما هو الحال إجمالاً عند الأرثوذكس، يفتخرون بالانقسام كي يظهر كل واحد شخصيته بقوتها وكل اهتماماتها. نحن هكذا. في تلك الأيام، كان الناس يتلهون بعضهم بالبعض الآخر، وكانت المؤسسات التي ذكر سيدنا الياس، كانت كلها ليست من الطراز الأول، ولا كانت تؤدي الخدمات التي يفترض بأن تقدمها وعلى وجه جيد لأبناء طرابلس. في تلك الأيام، أتى سيدنا الياس. واليوم، أيها الأحباء، نعيّد لحلول الروح القدس، لنزوله على البشر. الله ليس بعيداً عن الناس. فهو لم يخلقهم ليتركهم، لكنه يرافقهم بالروح القدس الموجود عند الجميع. وفي العليّة التي حلّ فيها، كان الإنجيل يقول بكل صراحة إنهم كانوا من كل جهة، ومن كل اللغات ومن كل الأجناس.

*كاتدرائية القديس جاورجيوس، طرابلس، ٢٠٠٢/٦/٢٢

بكلام آخر، الروح القدس ليس محصوراً في ناحية معينة على هذه الأرض، وليس في جماعة وحدها على هذه الأرض. الروح القدس لا يحتكره أحد، كما أن الله لا يحصره مكان مهما كان ذلك المكان، ولا يحتكره واحد أو أية جماعة.

في ذلك اليوم، أيها الأحباء، الذين لم يكونوا يتفاهمون، تفاهموا. يقول لنا الكتاب المقدس إنهم على اختلاف أجناسهم، وعلى اختلاف لغاتهم، أصبحوا يتكلمون لغة واحدة، ويتفاهمون الواحد والآخر. ما أكثر هذا في مجتمعنا العالمي اليوم! لغات متعددة، معانٍ متعددة، الواحد لا يفهم ماذا يقصد الآخر.

في ذلك اليوم، هذا الروح القدس أتى كي يجمع، وكان وجود سيدنا الياس عندما كان كل الناس مختلفين. المطران الياس ليس عنده كبرياء، والكبرياء في الأخلاقيات المسيحية أسوأ الخطايا، لأنها أم الخطايا. إنها الخطيئة التي تحصل عندما تظن أن الناس ليسوا شيئاً، وانك أنت وحدك الشيء.

الكبرياء أخطر ما يمكن أن يكون، وهي، إذا حلّت في قلب أي واحد، فإن رهبنته ونذره لا يساويان شيئاً.

المطران الياس أتى إلى طرابلس، فانقلب جوّها بنعمة الله وأذنه. انقلبت العقول المتنافسة المتناقضة إلى عقول تتلاقى، تتعاون، تعمل معاً، تشتغل للخير، وإن بطرق مختلفة ومتعددة. وجود المطران الياس لم يكن وجوداً يحرّض على الشر. هذا الإنسان الأخ العزيز الذي نعتز به في الكنيسة يكره الشر. هذا الإنسان لا يعادي، ولا يخلق أعداء. إنه يعرف كيف بتواضعه يجتذب الناس إلى أن يتفاهم الواحد مع الآخر.

بالتواضع تعترف أن الآخر يساويك وأن عليك إذا تكلم أن تسـمعه. التواضع يجعلك ترى في الآخر ـ كما هو الواقع ـ صورة الله، لذلك تحترمه وتحبه، وتقدم له من قلبك، لا حاجاته وحدها بل ما في قلبك. طـرابلس الـتي كانت مكاناً للتخاصم (وهذا مشهور عنها منذ أعوام طويلة)، بوجود المطـران الياس الوديع المتواضع عرفت كيف تجتمع حوله وكيف تحبه، فانتقل التعاون فيها إلى كل المؤسسات، ولم يعد عندنا مؤسسة من الدرجة الثانية، ولم يعد عنـدنا مؤسسة تتّخذ مكاناً للقاء كتلة من دون كتلة أخرى. زال التكتل، زال بوجود المطران الذي يعرف أن يقول الكلمة الحلوة، أن يقولها لكل من يريد أن يسمع ولمن لا يريد أن يسمع.

✝ ✝ ✝

الناس سواسية*

أنا أحب أن أشكر الشاعرين اللذين سمعناهما لسببين: الأول أننا استطعنا أن نتابع أوزان الشعر التي استخدماها. واليوم أصبحنا نسمع الشعر كلمات مرصوفة ولا أدري لماذا يسموها شعراً، علماً أنه في اللغة العربية يوجد ما يسمى نثراً، فلماذا لا نسميه نثراً؟ الشعر لم يكن يوماً بدون إيقاع، يجب أن يكون له إيقاع معين تماماً كما هو الفرق بين المشي والرقص، كلاهما مشي: مشي بإيقاع ومشي بدونه، هذا هو الفرق بينهما. فأنا أشكر الشاعرين على ما قالاه وقد قيلت أشياء جميلة جداً.

يا أحباء، توجد ناحية من حياة الدين لا نتطرق إليها أصلاً. لماذا لا أقول: أنا إله، أو أنت إله... لماذا؟ لماذا هذا يكون كفراً؟ لأن الدين أصلاً يعترف أنه يوجد غيرك، وهو الذي له الفضل بوجودك وليس لك أنت الفضل بوجوده، وبذا تعترف بخالق السماء والأرض كما نقول، وتقر بوجود غيرك ومن هذا الاعتراف ننطلق إلى الآخر.

مشاكل الإنسان تبدأ عندما لا يذكر أنه يوجد غيره في الساحة، غيره في البلد، غيره على وجه الأرض. عندما ينسى غيره يفقد إنسانيته، ولذلك ولو كان كل واحد له قيمة معينة فلا يوجد أحد بلا قيمة أبداً، الله لا يعمل شيئاً لا معنى له. ربنا يخلق ويضع معنى، ويضع أسباباً للحياة، ويقيم عالماً داخلياً، لذلك فالذي ينفي غيره ينكر صنع الله وقدرة الله على الخلق. أحياناً ننسى غيرنا

*تدشين كنيسة القديسين قزما ودميان، صافيتا، ٢٠٠٢/٧/٢٨

وننساه عندما نساوي الإنسان بتفكيره. يجب أن نعرف أنني يجب أن آخذك وأقبلك وفكرك كما أنت تريد وليس كما أنا أريد. أنا أقبلك لأنك أنت عمل مقدس، وتفكيرك تفكير بشري كتفكيري أنا. وقد يتغير، قد يصبح أفضل أو قد ينحدر إلى الأدنى. المهم أنّه لا يوجد فكر ولا يوجد إيمان بشيء ما، ولا عقيدة بشيء ما لأنه لا شيء يساوي وزن الإنسان كما خلقه الله. لذلك غير صحيح أن الله خلق الكون ثم عمل على إبادتنا، أي أنه يريدنا أن نموت. لا! هو يقصد أن يكون كل منا مختلفاً عن الآخر. لا يصورون لنا السموات وكأن كل الناس فيها نسخة واحدة، هذا غير موجود. ولذلك هذه المناسبة جميلة جداً.

لماذا نقول اللقاء جميل؟ ــ لأنك بالفعل لا تأتي بأشخاص وكأنهم مستنسخون بحيث لا يمكنك التفريق بين الواحد والآخر بل تأتي بالمختلفين شكلاً وفكراً وعقيدة وذوقاً... تجمعهم كلهم سوية. لذلك الجماعة مباركة دائماً ويمكن لهذه الدعوات التي نوجهها: "اجتمعوا، التقوا، انظروا بعضكم إلى البعض فلا يبقى أحد منكم غريباً عن الآخر. يجب أن تنظره عيناك وإن أمكن أن تسمعه أذناك.. كل هذا التعرف يجب أن يحصل لأن كبرياءك قد ينفخك، وعندما تحتقر غيرك، وتظن أن فلاناً كله غلط من قمة رأسه حتى أخمص قدميه ستكتشف أنك أنت على خطأ عندما تنظر إلى الناس هكذا، شكراً سيدنا (بولس) شكراً. سيدنا (باسيليوس) شكراً للأخوة المجتمعين هنا جميعاً.. وجيد أن نجتمع وأن نعرف بعضنا بعضاً. وأشدد على أنه لا أحد في هذا البلد غريب عن البلد، وكلنا مواطنون بنفس المقدار، ولا يوجد واحد مواطناً كاملاً وآخر ناقصاً، فالكل مواطنون ولا يزايدنّ أحد على الآخر. بارك الله هذا اللقاء وأطال بعمركم وشكراً.

لقاؤنا يتجاوز الحوار*

في الواقع، أيها الأحباء، الكلمة ليست كلمة توجه ولكن كلمة أرجو أن تسمعوها لأن القصد منها أن أعبر عن عميق شكري شخصياً لتكريمكم هذا البيت بوجودكم فيه جميعاً:

معالي الوزير، أصحاب السماحة أيها الأخوة الحاضرون جميعاً. هؤلاء جميعاً أشكرهم من عميق قلبي. وبالفعل لو كانت هناك كلمة أعظم من القول شكراً لكنت استعملتها. ولكن يكفي أن يكون اللفظ ضعيف التعبير فيما القلب ينبض أكثر من ذلك بكثير وهو كذلك. نحن، أيها الأحباء، نعتز باجتماع كهذا الاجتماع وبموضوع كالذي سنسمع عنه. كان لي الحظ أن اجتمع مع الأخوة الذين يجتمعون هنا لأول مرة في بيروت ولبنان عامة. وكلنا أصحاب وأعتز كثيراً بصداقتنا. وهم يأخذون من اهتمامي كل يوم ويغنون معلوماتي كل يوم بمقالاتهم الطيبة وما يكتبون: الأستاذ محمد، الأخ هاني ...إلخ. وسعود المولى لو كان حاضراً وكل الذين يؤلفون هذه المجموعة. إنها مجموعة متميزة جداً جداً وأنا أعتز جداً أن أكون على اتصال معها دائماً عن طريق الدكتور طارق متري، وأحب أن الذين لا يعرفون من هو أن يعرفوه (يا طارق قف ليشاهدوك).

أريد أن أقول إننا نحن نمارس ما يدعى حواراً وأنا عملياً لا أعتقد بالحوارات. من العيب أن نكون في مكان واحد منذ قرون طويلة وأننا يجب أن يكلم الواحد الآخر وكأنه لم يكلمه.يوماً ما وكأنه لا يعرف أن يكلمه، وكأنه

* الدار البطريركية، لقاء الحوار الإسلامي المسيحي، الأربعاء ١٨/٩/٢٠٠٢

يعيش غريباً بالنسبة إليه. نحن نأمل أن نكون من جماعة الوجود المشترك والسعي المشترك، وأن نؤلف وطناً، نؤلف بلداً كما يفعل سوانا مهما اختلفوا في الحضارة وفي الثقافة وفي العادات وفي الأديان وما إلى ذلك.

أنا عندي دائماً مشكلة هي أنني أتساءل كيف تتوصّل أميركا التي تجور علينا كثيراً في هذه الأيام لا بل منذ زمن بعيد. أميركا هذه التي يقولون إن اللغات فيها ليست مشتركة ولا نوعية السكان مشتركة ولا أصلهم مشتركاً ولا عاداقم مشتركة ولا المستوى الاجتماعي مشتركاً ولا الديانة مشتركة كيف تتوصل أميركا إلى أن تصنع بلداً، بينما نحن لا نزال نتكلم عن مجرد حوار بين المواطنين. أعتقد أن هنالك شيئاً يستحق التفكير، التفكير العميق لكي نصل إلى الأسباب الحقيقية التي تجعل الإنسان يصاحب الشخص ويكون معه ولكنه لا يكون فيه ولا يتبادل معه ما يحسه وما يريد أن يفعله.

أعتقد، أيها الأحباء، أن هذه مناسبة مباركة جداً جداً، ونحن متفقون على أن يقتصر المتكلمون على شيء مختصر جداً وأنا سأنفذه بنفسي وأختصر كل شيء لأقول لكم: أهلاً وسهلاً بكم. أهلاً وسهلاً، بكل اعتزاز وبكل قلب كبير أن نرى بعضنا البعض ونريد أن يكون هذا المناخ الذي تعيشون فيه مكاناً يرى فيه كل واحد الكل.

✝ ✝ ✝

القدس كذلك عاصمة للمسيحية*

نشعر بسعادة كبيرة لأنكم تكرمتم بإجراء هذه المقابلة التي تتيح لنا بأن نتوجه إلى دولكم من خلالكم. قد تلاحظون أننا لم نوجه الدعوة إلى جميع ممثلي الدول الذين نعرفهم أو إلى جميع الذين يمثلون دولهم في سوريا، إذ أننا نعتقد بأنكم الأكثر اهتماماً بما يقلقنا في هذا الوقت بالذات.

لقد علمتم حتماً وسمعتم، كما سمعنا نحن، بأن الكونغرس الأميركي طلب من رئيس الجمهورية بأن تُسمى القدس، اعتباراً من الآن، عاصمة أبدية لإسرائيل. أعتقد أن ذلك يؤدي إلى نتائج يتوجب علينا حقاً أن ندركها: إن تسمية القدس عاصمةً أبدية (لإسرائيل) يعني أن نجعل القدس يهودية بالكامل، لا شيئاً آخر. أومن بأن القدس ليست في الواقع يهودية بالكامل، ومن وجهة النظر المسيحية، نؤمن بأننا، إذا ما تكلمنا عن عواصم روحية، نستطيع أن نقول بالتالي إن القدس هي بالأحرى عاصمة روحية للمسيحية، أكثر مما هي لليهودية وحتى للإسلام. إن الاهتمام بالمسيحية وبكامل المشكلة الفلسطينية هو بالواقع ضئيل جداً، وكل من يدرس مجريات الأمور يمكنه أن يلاحظ، من خلال الوسائل الإعلامية هنا، وقد يخطر له، بأن القضية الفلسطينية بالكامل وأن المشكلة الإسرائيلية بالكامل هما عبارة عن مشكلة قائمة بين دينين اثنين، لنقل الهما اليهودية والإسلام. وبالتالي يحق للمرء أن يتساءل: أين هو مكان المسيحية في تلك المدينة؟ وفي القضية بأكملها؟

*الدار البطريركية، لقاء مع سفراء كل من: الفاتيكان، روسيا، اليونان، بلغاريا، قبرص، رومانيا، يوغسلافيا وفرنسا، ٢/١٠/٢٠٠٢

نلاحظ، من خلال وسائل الإعلام وبالنسبة للذين يتابعون الأنبـــاء في تلك المنطقة، يلاحظ المرء بأنه لا يرد عملياً أي ذكر لأية ضحية مسيحية، مثلاً، لا من طرف إسرائيل ولا من الطرف الآخر، كما لو أنـــه لا يوجـــد ضـــحايا مسيحيون. وهذا ليس بصحيح... كما نلاحظ أيضاً أننا بالكاد نشاهد علـــى شاشة التلفاز صورة كنيسة في ذلك المكان. لا أذكر أننا شاهدنا في أي وقـــت، مثلاً، كنيسة القيامة.

أين هو مذبح ربنا يسوع المسيح؟ ويستمر بنظري تجاهل وتهميش الدين كاملاً ـــ الدين المسيحي ـــ عندما نتكلم عن القدس، وعن إمكانية اعتبارهـــا العاصمة الأبدية لليهودية- لصالح إسرائيل. وفي المقابـــل، فإننـــا نشـــعر بـــأن المسيحيين لا يمكنهم جميعاً أن يتجاهلوا بأنه سوف تكون لهذا القرار آثار مباشرة في حال تم اعتماده من الحكومة الأميركية... هناك حتماً أثر سيئ على كامـــل الوجود المسيحي في القدس. أعلم الآن أن كنائسنا هناك تجتمع كلها وتحاول أن تعبر عن نفسها، عن أنها تقف إلى جانب العدالة، وتنبذ العنف، وتعتبر أن مـــا يجري في القدس وفي فلسطين بشكل عام، ليس مدعاة للفخر... وأعلم أنه، في تلك المنطقة، يغادر مسيحيون كثيرون المدينة ويغادرون البلد، فهم لا يعيشون في هذه المنطقة لأنهم سعداء جداً أو آمنون جداً، ولكن لا أحد يتكلم إطلاقاً عـــن ذلك.

إننا نختبر ذلك في كنائسنا الأرثوذكسية. إن ما يحصل بالنسبة لنا، هـــو أن العديد من الأحداث الهامة في حياة ربنا يسوع المسيح قد جرت هنـــاك في القدس: مجيء الرب إلى المدينة من أجل الفصح... عملية صلبه بالقرب منها... هذه الأحداث كلها حصلت هناك وليس لها مكان آخر لدى اهتمام الشعب.

نعلم أن الكنيسة الأولى، الكنيسة الأم كما نسميها، قامت في القدس، وُجدت فيها أولاً. لدينا الآن كرسي القدس... وكرسي القدس يعاني من اضطهاد اليهود، من الحكومة الإسرائيلية: البطريرك لا يستطيع أن يتحرك، ولا يستطيع المطالبة بما صادرته الحكومة الإسرائيلية، بالأملاك التي استولت عليها الحكومة الإسرائيلية. لقد حدد بطريرك القدس الجديد لنفسه رسالة وقال إن أول ما سيحاول فعله هو استعادة ما استولى عليه الشعب اليهودي. ولكنه يبدو الآن غير قادر على أي تصرف أو أية حركة. فإذا ما أدركنا ذلك الآن، ماذا نستطيع أن نقول عن القدس كاملة وهي تصبح العاصمة الرسمية لليهود، عاصمة دولة إسرائيل؟

لقد لاحظنا دوماً أنه، حين الحديث عن مشكلة فلسطين، لا يذكر أحد أنها مسألة تتعلق أيضاً بوجود الديانات، لا بالشعوب فحسب. فمن جهة، لدينا شعوبنا العربية، ومن جهة أخرى لدينا الشعب اليهودي. لا أحد يتكلم عن وجود المسيحيين الذين لا دولة لهم. قد يكون ذلك من حسن حظهم، ولكنه حالياً — في الوقت الراهن — من سوء حظهم.

من أجل تلك الأسباب، أعتقد بأن دعوتكم أنتم بالذات، لا غيركم، قد تكون مفيدة من أجل إعلام حكوماتكم، ولقد اخترنا الحكومات التي نعتقد أنها تولي الحد الأدنى من الاهتمام لمشكلة الأرثوذكسية بشكل خاص، والمسيحية بشكل عام. إني أقصد فعلاً بقولي هذا بأنه يتوجب أن تثير هذه المشكلة اهتمام الجميع. علينا أن نوجه نداءً إليهم: إلى أين نذهب؟ ماذا سيبقى من مسيحيتنا إذا لم نتمسك بما تكلمنا عنه في الكتاب المقدس؟ هناك قيم يجب أن نحافظ عليها في الشرق الأوسط هذا. فإذا ما أنت انتزعت القيم الروحية من الأديان اليهودية

والإسلامية والمسيحية، فإنك لن تُبقي إلا على النذر اليسير، اليسير جداً. نحن هنا أغنياء بذلك، ونحن الأوائل في العالم في ذلك وحده، لا بالتكنولوجيا ولا بالثقافة العالية ولا بأي شيء نظير تلك الأمور...أرغب بأن أوجه رجاءً خاصاً إليكم جميعاً!! أعلم أن الفاتيكان يشعر باهتمام بالغ إزاء تلك القضية، كما أعلم أن لدى البابا أفكاراً محددة بشأن هذه المسالة برمتها، وأنه كان من أوائل من عبروا عن رؤيتهم لمصير القدس، وعبر عنها بأفكار محددة.

إننا نرغب بأن يتم التعامل مع هذه المسألة بمنتهى الجدية، لا أن تُهمل وكأن شيئاً لم يحدث. إني أصلي من أجل أن تتصلوا بحكوماتكم من أجل هذا الموضوع، وبشعوبنا في اليونان وفي بلغاريا وفي روسيا وفي جميع الأمكنة، فأنا واثق بأن تلك القضية ستجد اهتماماً كبيراً لديهم. فليقُل أحدهم شيئاً عن هذا الموضوع. إني مقتنع بأن هناك أناساً في فرنسا يتكلمون عن تلك المسألة، لأنه يتوفر في فرنسا حد أدنى من الحرية. أشكركم للمرة الثانية، وأرجو معذرتنا إذا ما شعرنا بأننا قد نصبح بلا أرض وبلا قاعدة إذا لم يكن لنا مذبحنا المقدس، وإذا لم تكن لنا كاتدرائية القيامة المقدسة،،إذا لم تكن لنا الناصرة...إذا لم يكن لنا أي مكان آخر... نشعر حقاً أن ديننا يدعونا لأن نفكر ولو قليلاً بتلك الجغرافيا. لا أستطيع أن أكون موجوداً، لا أستطيع أن أكون هنا، إذا لم يكن لدي مكان آخر للوجود. يجب أن يكون هناك حيز...أين؟ نحن، ككائنات بشرية، أصبحنا أقليات. لدي انطباع وإيمان كبير بأن هذه المسألة ستنال الاهتمام اللازم ، الذي لا يتم التعبير عنه في الغالب بشكل صريح. هناك اهتمام بعلاقاتنا كمسيحيين، لأن دمشق هي عاصمة المسيحية أيضاً. هناك اهتمام بالعلاقة الروحية بيننا هنا وبين القدس. إلا إني أؤكد بأننا نحتاج إلى تعاون جميع

بلداننا وشعوبنا الذين يشعرون بأن عليهم أن يتقدسوا ويقدسوا ذواهم بالحج إلى الأماكن المقدسة، وبرؤية كنائسنا فيها.

أكرر شكري الجزيل لكم وآمل أن تقوموا بشرح أقوالي بأسلوب أفضل من الذي أعبر به عن تلك الأمور، كما آمل بأن ذلك الصوت لن يترك مهد المسيحية بدون حضور مسيحي. نأمل ذلك.

✠ ✠ ✠

نحن خدام لشعبنا*

سيدنا بطريرك الكرسي الإسكندري، سيدنا المحبوب جداً.

ليس جديداً علينا أن نلتقي، وكانت لنا اتصالات شخصية مع قداستكم حتى قبل أن تتولوا مسؤوليةً في هذا الكرسي المبارك. وفي كل الأوقات،كنا نرى فيكم الشخص الذي يحب أن يعمل للكنيسة، أن يعمل للأرثوذكسية حيثما كان وبالطريقة التي تتوفر.

كلنا نعرف أنه يمكن أن تكون عند الأرثوذكسية صعوبات، صعوبات من الداخل وصعوبات في الخارج، ولكننا نعرف أيضاً أننا الآن في مرحلة من مراحل تاريخنا بحيث نرى، والحمد لله، أن هنالك مسؤولين في الكنيسة الأرثوذكسية يهتمون مباشرة بالأرثوذكسية ذاتها، وليس عندهم همٌّ آخر يفوق هذا الهمّ، لأننا جميعاً – كما نقول في خدمنا وكما نعلّم شعبنا في الخدمة– خدامٌ في كنيستنا، ومن يقول إننا خدام في كنيستنا فكأنه يقول إننا خدام لشعبنا.

هذا ما نريده وهذا ما نصبو إليه دائماً.

سيدنا، فضلكم كبير عليّ بقبولكم أن آتي وأراكم وأن أتصل بهذا الشعب المبارك. فضلكم كبير لأنني أعرف أنكم صادقون في كل تعاملكم. أعرف أنكم بالفعل تريدون كلامكم مرتبطاً بأعمالكم، وما أراه دائماً من

*كاتدرائية القديس نيقولاوس، مصر، صلاة الشكر، السبت ٢٠٠٢/١٠/١٢

جهتكم هو تعبير عن المحبة الصادقة. نشكر اللـــه على هذه المحبة ونعتقد أنها من ثمار الروح، وبدون الروح من نحن؟ وما هي كنيستنا؟ وماذا نفعل في هذا العالم؟

في الكرسي الأنطاكي، حيث أنا كنت، تشرفنا والشـــعب الأنطـــاكي باستقبال صاحب القداسة بابا وبطريرك هذا الكرسي المبارك، ودعونـــا ســـواه كذلك، وكان كل ذلك لأقول لشعبنا: لستم وحدكم في الجهاد مـــن أجـــل الأرثوذكسية، ويجب أن تعرفوا أن هنالك جماعةً مثلكم في مناطق أخرى يجـــب أن تتعرفوا عليهم. عندما تصومون، لا تكونون وحدكم في الصـــيام. وعنـــدما تصلون لا تكونون وحدكم في الصلاة. وعندما تقدسون قداس يوحنا الـــذهبي الفم، فهناك الملايين على وجه الأرض يقومون بنفس ما تقومون به.

في النهاية، إذا كنا نحس أحياناً أن عندنا شيئاً من الضـــعف، فهـــذا لا يجعلنا نقف متفرجين على الأوضاع. بل أن نعالج ذلك إذا كنا مؤمنين فعـــلاً، وإذا كنا نحب كنيستنا فعلاً. إذا كنا نشهد لكنيستنا أمام الناس "ليروا أعمالكم الصالحة ويمجدوا أباكم الذي في السموات" حينئذ نكون أقويـــاء، لا بقوتنـــا الشخصية فحسب، ولكن بقوة الروح القدس العامل في كنيستنا المقدسة.

سيدنا، الناس لا يعرفون كيف نكون واحداً. نحن نكون واحداً بلقاءات من هذا النوع. لن نكون واحداً إذا كنا نتوقع أن يرى الواحد كل الناس. هـــذا مستحيل. ولكن في الكنيسة الأرثوذكسية، هناك وحدةٌ مخفيةٌ لا تظهر كـــثيراً، وهي في لقاء المسؤولين، في لقاء المطارنة، في لقاء الكهنة وفي لقاء أبناء الشعب على قدر الإمكان. وحدة الأرثوذكسية هي في وحدة المسؤولين فيهـــا بنعمـــة الروح القدس. خارج هذه الوحدة، ليس من وحدة أخرى. نحن لســـنا جمعيـــة ولسنا هيئة، ولكن نحن كنيسة، ومن لا يكون مع الهيئة الـــتي تعطـــي البركـــة

وتوصل الأسرار الإلهية لا يكون مع الكنيسة.

سيدنا، أنا أشكر الجميع ، أشكر الهيئات جميعها التي أرادت في هـــذا الصباح أن نجتمع وأن نتحدث بعضنا مع البعض قدر الإمكان. أشكركم جداً، وعندي تمنٍّ على سيدنا الذي يحمل ألقابا متعددة، من أهمهـــا لقـــب "قاضـــي المسكونة" في الكنيسة أن يعرفنا كيف نكون منضبطين، وكيف نتعرف علـــى القوانين، وهذه مسؤولية الكرسي هنا أي الكرسي الإسكندري.

ينقصنا كثيراً أن نعرف ما هي كنيستنا من حيث الترتيب. هذا غائـــب حتى عن الإكليروس عندنا، ونحن مسؤولون عن هذا الغياب. لعـــل الكرســـي الإسكندري يساعد الكنيسة الأرثوذكسية العالمية في أن تدرك نفســـها نظاميـــاً وقانونياً إدراكاً أوسع.

أكرر شكري، وأسال اللـــه أن يطيل عمرك، وأن يعطي هذه الكنيسة الكثير الكثير من أمثالك، وإلى أعوام عديدة يا سيد.

✠ ✠ ✠

صعبة هي محبة الذي لا تراه*

من الطبيعي جداً ومن السهل جداً أن أقول شكراً جزيلاً لكم، ولكني لا أستطيع فعلاً أن أعبر عميقاً، كما فعلتم، عن أحاسيسي، لأنكم تعلمون أننا لم نأتِ للالتقاء صدفة، بل نجتمع على الدوام ونحاول التفكير معاً بشؤون الكنيسة، ونحن،كما قلتم، بأمس الحاجة لأن يرى واحدنا الآخر، لأنك لن تستطيع أبداً أن تحب ولا أن تفهم أو تشرح الأمور لذاك الذي لا تراه. أعتقد أن هذا الموضوع غاية في الأهمية بالنسبة لنا، ونوافقكم الرأي بضرورة أن نلتقي معاً، خاصة وأن هناك ما يجذبنا داخلياً إلى ذلك. أنا يا صاحب القداسة أرغب كثيراً بأن أراكم، وتعلمون أني آمل أن أكون جديراً بأن أحفظ صداقتكم ومحبتكم في قلبي طالما حييت. أشكركم جزيل الشكر كما أشكر جميع من قبلوا مشاركتنا فيما يجري حالياً. أرغب القول إنني في هذا اليوم، وخلال مشاركتكم الغذاء البشري، كنت أشعر بسعادة كبيرة وبصفاء ذهني أكبر مما لو أكثرت في الطعام. إني سعيد كل السعادة لأني تمكنت من الاستمتاع بما نؤديه معاً. أكرر شكري سيدنا.

✞ ✞ ✞

*مصر القديمة، مائدة الغداء، السبت ١٢/١٠/٢٠٠٢

أنتم شهود للأرثوذكسية*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

يسرني جداً أن أكون بين أبناء كنيستنا في هذا البلد، وأشكر القائمين على هذا الاجتماع وعلى تنظيمه. أشكر الجمعية وجميع الذين يهتمون بشؤون الكنيسة، ويسعدني جداً أن أرى أن الصغار يلتزمون بما هو كنسي. هذا شيء يعطينا آمالاً للمستقبل لأننا يجب أن ننظر إلى المستقبل أيضاً.

طُلب مني أن أقول كلمة قصيرة، وهكذا ستكون كلمتي. أنا أشكر صاحب القداسة البطريرك بطرس السابع، وهو بالنسبة إليكم بطريرك الإسكندرية وسائر أفريقيا، أما بالنسبة إليّ فهو أخ عزيز جداً جداً.

لم نتعود نحن أن نرى النشاط في الكنيسة على هذا المقدار الذي نراه في عهده. لأن الكنيسة الأرثوذكسية تسير على خطى رؤسائها، وهم وحدهم إما أن يعطوها حياةً وإما أن يخنقوها كما يحصل في كثير من الأحيان. ونحن الآن في مرحلة لسنا فيها مخنوقين ولكننا بالعكس نعيش بكل قوة والكنيسة تتحرك تحركاً شديداً.

تأكدوا أن الكرسي الأنطاكي أينما كان، إن كان في لبنان أو كان في سوريا أو في أية منطقة يوجد فيها، يهمه جداً أن يعرف عنكم وأن تعرفوا عنه.

*نادي مصر الجديدة، السبت ١٢/١٠/٢٠٠٢

وأنا أتصور أنه يجب أن تكون هنالك زيارات متبادلة بيننا وبين الكرسي الإسكندري.

ماذا يمنع من أن تدعى بعض جوقاتنا إلى هنا لتأتي وتجتمع وإياكم وترتل معكم وتفرح معكم بوجودكم؟ الأرثوذكسي يُسَر ويرتاح عندما يرى أخاه الأرثوذكسي مسروراً ومرتاحاً أيضاً. ومهم جداً أن نعرف بعضنا البعض على الصعيد العملي أفضل مما هو حاصل الآن.

أكرر شكري لمن نظموا هذا اللقاء، وأشكر سيدنا الذي لولا دعوته وقبولي لها، لما كان لي الفرح بأن أراكم كباراً وصغاراً، اكليروساً ومؤمنين، وأن أفرح بكم جميعاً، وأشكر الله على وجودكم تشهدون للأرثوذكسية حيث تعيشون. والشكر لكم مجدداً.

✝ ✝ ✝

الفاشل في المحبة فاشل في كل شيء*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

صاحب القداسة الأخ البطريرك بطرس الجزيل الاحترام والذي نحبه حباً شديداً.

أنا سعيد جداً أن أتمكن من أن أحيي هذا الشعب الموجود والشعوب التي تحب أن تمتد إلى سواها وأن تكلم سواها أيضاً.

ذكرتم في كلمتكم العزيزة أننا لا نكلم رعية واحدة ولكننا نكلم الجميع. أنا لم أشعر لحظة واحدة بأنني لا أكلم كل صاحب إيمان وكل الذين تكرموا وأتوا لكي أراهم ويروني.

في كل الأحوال، أنا من المعتقدين أن الرب يسوع شاء أن نسمع اليوم في إنجيله المقدس كلماتٍ دقيقةً جداً وفي غاية الأهمية. قال: أنت لا تضيء الضوء حتى تغطيه، فالغطاء لا يتماشى مع الضوء. إذا كان عندك ضوءٌ، يجب أن تكشفه، لأن الضوء يشع إلى الخارج وليس إلى الداخل، وفي الخارج جماعةٌ قد تحتاج إليه.

في كثير من الأحيان وفي شرقنا هذا، يقولون إن صديقك الوحيد هو شريكك في إيمانك، إن صديقك الذي يستحق محبتك هو الذي يعتقد ما تعتقد به أنت. هذا غير صحيح. إذا كنت تعتقد أن إيمانك حقيقيّ، فلا تضعْه في

*كنيسة رؤساء الملائكة، القاهرة، الأحد ٢٠٠٢/١٠/١٣

جيبك وتقتلْه هناك. أَخرجه إلى النور، كلِّم سواك . إيمانك يطلب أن تحب كل إنسان، وإذا لم تكن تحب كل إنسان فكل ما تقوله غير صحيح.

إيمانك ليس لك، إيمانك لكي تعطيه لغيرك الذي يحتاجه، للذي أرسلك الرب يسوع إليه، وهو نفسه جاء من أجله بالضبط كما جاء من أجلك. أولئك الذين يعتقدون أن التعدد في الدين يخلق عداوة، نقول لهم إن العداوات ليست في تعدد الأديان، ولكن في تعدد الأخلاق، تعدد البشر.

كم هي الأشياء التي نقولها ونُلبِسها لبوسَ الدين، والدين منها براء!

كثيرون يقولون إن الذين يختلفون عني بالطائفة أو اللغة أو الشكل، هؤلاء يجب أن أقاطعهم. هذا يشبه تماماً قول ذلك الإنسان الذي عنده الدواء، ولكنه لا يتحدث مع المرضى. إذن لماذا هذا الدواء وما الحكمة في هذا التصرف!

أنتم تعرفون أن إيماننا في الكنيسة الأرثوذكسية هو أنه لا يوجد إنسان يمتنع علينا أن نكلمه. ليس من إنسان على وجه الأرض لسنا مسؤولين عنه في حالة الشدة، في حالة الضيق، في حالة الضغط وفي حالة الظلم. نحن مسؤولون لأننا على صورة الله ومثاله، والله لا يتفرج على خلائقه، بل يعطيهم الحياة والصحة ويعطيهم النور. كذلك يجب أن يكون كل واحد منا.

ذُكِر النور هذا الصباح، وأحببت أن أقول شيئاً مما أفكر به في هذه النقطة.

إني أرى، أيها الأحباء، أن الله قد رزق كنيستنا بإنسان نطلب من الله أن يرزق كل كنيسة بمثله أعني قداسة البطريرك بطرس الذي لا يحفظ محبته حتى يشيخ، ولكنه يمارسها منذ الآن. أذكروا أن الرب يسوع لم يكن شيخاً،

فهو لم يعش حتى الأربعين وكان يعطي الناس بدون حساب.

حفظ اللــه بطريرك الإسكندرية وسائر أفريقيا الذي هو قادر على أن يحب. مسكين هو الإنسان الفاشل في المحبة. الفاشل في المحبة في هذه الحياة هــو فاشل في أعز شيء على وجه الأرض.

أسال اللــه أن يمد في عمر غبطته، وقد وضعني اليوم خلافاً للقــانون الأرثوذكسي في جهة اليمين، وكان يجب أن أكون في الجهــة اليســرى، لأن القانون يقول بذلك. أحبَّ ذلك وأنا أحببتُ ما أحَبّ، وأنــا أحــبكم، أيهــا الأحباء، بحبه هو. حفظكم اللــه وأبقاكم سنين طويلة بالخير والبركات. آمين.

✞ ✞ ✞

نحن لا نحتكر الأرثوذكسية*

باسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين

الوقت الآن هو وقت طعام حيث الحديث حديث تسلية وهذا طبيعي. ولكن ما أود قولــه تعليقاً على كلام سيدنا البطريرك. هو أن البعض يعتقد أننا إذا كنا نتحدث كأرثوذكس فيجب أن نكون كبعضنا الــبعض، وهــذا غــير صحيح.

الأرثوذكسية كإيمان هي واحدة، ولكن الأرثوذكس ليســوا واحــداً. عندنا يونان وعندنا روس وعندنا البلغار وغيرهم. نحن متنوعون ككل الأديان، ولسنا مقولبين في قالب واحد. هذا ليس صحيحاً، لأنه لو كان الدين الواحــد يجمع لما تقاتل أصحابه. ففي أي دين لا يوجد صراع بــين أتباعــه؟ الصــراع موجود عند المسيحيين وموجود عند المسلمين وموجود عند اليهــود. الأديــان تتخاصم فيما بينها ولكن يوجد كذلك خصام في داخلها.

الدين شيء يختاره الإنسان ولكنه لا يصنع رباطاً. هذا الرباط يجب أن يكون من صنعنا. لقد كنت في غاية السعادة في هذه الزيارة، نحن نشعر أننا في بيتنا، وأعرف أن شيئاً يجمعنا هو المحبة، ويجب أن نحقق المحبة التي تأتي بــالروح الأرثوذكسية. هنالك من يعتقدون أنك إذا كنت مغايراً لهــم فإنــك لســت أرثوذكسياً بما فيه الكفاية، وهذا دليل على أنهم هم أنفسهم ليسوا أرثوذكسيين بما فيه الكفاية. الناس مختلفون والإيمان الواحد يعبر عنه كل واحد بطريقة مختلفة

*القاهرة، حفل استقبال، الأحد ١٣/١٠/٢٠٠٢

ولكن ما نأمله هو أن تبقى أحسن العلاقات فيما بيننا.

ذكر سيدنا إمكانية تبادل الزيارات، وأنا أوصي الذي سيأتي بعدي ألا يفتكر بأن الأرثوذكسية محصورة فينا، إنما توجد هناك أماكن فيها عائلة أرثوذكسية وتحب أن ترانا. عافاكم الله. هذا الاجتماع جيد جداً، ولكني ألفت إلى أننا نعيَّر بأن كل نوادينا تغص بالناس فيما كنائسنا فارغة. شكراً.

✞ ✞ ✞

وحده الله واحد*

أنا ممتن جداً لهذه الفرصة التي تتاح لي.

يا أحباء، أنا أعرف أن علينا أن نقول أشياء كثيرة لكي يظهر وجهنا الحقيقي أنا لا أقبل بأن نكون بعد أربعة عشرة قرناً نتكلم وكأننا لم نتكلم يوماً الواحد مع الآخر. أنا أرجو أن نشعر أن عندنا رسالة واحدة مشتركة هي أن نظهر وجهنا الحقيقي. هنا يوجد اجتماع كهذا الاجتماع، الناس يتكلمون كما نتكلم وهذا لا يعرفه الكثيرون من الناس الذين يعيشون خارجاً عنا وهذا لا يحدث في كل البلدان العربية التي هي بجانبنا. هذا يحدث في سورية فلنتكلم عنه في سورية لكي نقول: إن سورية لم تنس تاريخها ولن تنس تراثها ولكنها محافظة عليه. سورية عندنا تتميز بشيء أكيد. هذا الشيء الأكيد اننا لا ننكر تاريخنا كما ورد وليس تاريخنا كَمَّاً يُمحى منه قسم لكي يبقى منه قسم فقط فيكون التاريخ مبتوراً في كل الحالات. أنا أعتقد أن هذه رسالتنا، عندما يأتينا الأجانب نقول لهم افتحوا العيون. ليست القضية قضية أوراق أو كلام حتى لا نسمع الكلام من زيد وعمرو من الناس. إذاً يكون الكلام مهيجاً لنا في كثير من الأحيان أو يكون مخدراً لنا. عندما نعطي الصورة أننا ملائكة السماء ولسنا ملائكة السماء، نحن نخطئ عندما نتكلم عن الإسلام. الإسلام ليس كل المسلمين بالطريقة نفسها. والمسيح ليس كل مسيحي. نحن نتكلم عن الذين يسيئون إلى الإسلام من المسلمين والذين يسيئون إلى المسيحية من المسيحيين،

*ندوة الإخاء الديني الإسلامي المسيحي، دوما، ١٦/١٠/٢٠٠٢

ليس هكذا أعطي لنا لأننا خطأة ونحتاج إلى أن نفكر بجد، نفكر ماذا يجب أن نفعل. أعتقد أن الأجانب ينتظرون منا أن يعرفوا، كما نقول. نحن هنا أولاً نبني الكنائس كما نشاء، نحن هنا نصلي الجمعة أو نصلي الأحد كما نشاء. أخاف أن نشبَّه بأحد سوانا، ونظلم أنفسنا إذا تشبهنا بسوانا. فوضع سوانا هو يعرفه، أما نحن فوضعنا هكذا، هكذا نعيش وها نحن جالسون هنا، أيها الأحباء، فليأتِ الناس وينظروا. أنا أرجوكم بكل تواضع أن نفكر ما هي الصورة التي يجب أن نعطيها نحن للأجانب. الأجانب لا يقرأون كل شيء ولا يسمعون منا كل شيء يعرفون أننا بعض المرات نبالغ بالكلام وهذا شيء عادي تقريباً. دعونا نُرِهم وجوهنا دعونا نُرِهم واقعنا. نحن هنا معاً ونحن وطنيون مئة في المئة و لم ينقطع وجود الإسلام منذ تأسس ولن ينقطع وجوده عن هذا البلد. و لم ينقطع ساعة واحدة وجود المسيحيين في هذا البلد والمسيحيون من هنا والمسلمون من هنا. ولسنا خائفين من أن نكون كما يخلقنا الله، والله لا يخلق اثنين من فئة واحدة. لماذا نخاف أن نكون كما خلقنا الله وأن يكون كل واحد كما خلقه الله؟ فكرة الوحدة هذه: الوحدة بين الكراسي، أو الوحدة بين الأشياء ليست موجودة في كتبنا الروحية، الموجود أن كل واحد منا يستمد حبه للوحدة من الله تعالى الواحد، وحده الله واحد. نحن لسنا واحداً ونحن نعتز بذلك ويجب أن نتوصل إلى أن لا تحصل شرارة عند اصطدام أفكارنا كما عند اصطدام حجري صوان.

✠ ✠ ✠

الله يخلق للحياة*

أيها الاخوة الأحباء،

في غياب البطريرك غريغوريوس بطريرك الروم الكاثوليك طلب مني أن أقوم مقامه وأن أرحب بكم وكذلك طلب مني صاحب القداسة البطريرك اغناطيوس زكا أن أتحدث باسمه وهذا شيء أقدره حق التقدير.

نرحب بكم جميعاً ونقول أهلاً وسهلاً. وأذكر، أيها الأحباء، أننا في هذه القاعة اجتمعنا مع قداسة البابا عندما زارنا في بلدنا. وهنا كان علي أن أقول إننا في سوريا نعيش بطريقة خاصة عَبَّرنا عنها في استقبالنا للغريب وبرّهنا أن واحدنا قريب بالفعل من الآخر.

اليوم أود أن أقول إننا نجتمع، وهذه المائدة تجمعنا. وأتذكر تراثنا العربي البدوي وأنا أحب البداوة كثيراً وأتمنى أن أعيش في مكان ليس فيه الكثير من الجدران ولا العديد من الحواجز.

أعود إلى البداوة لأقول إن الناس ما كانوا يتفقون على الورق لأن معظم الناس كانوا غير قادرين على القراءة والكتابة ولكنهم كانوا يتفقون على الخبز معاً وعلى الملح معاً أي يكون تناول الخبز معاً هو عنوان الاتفاق. والخبز في تراثنا شيء مقدس. ومن لا يذكر أنه عندما كانت تقع قطعة خبز على الأرض كنا نسرع إلى التقاطها ووضعها في مكان عالٍ لا تطأه الأقدام ونقول هذا

*تشرين ٢٠٠٢

حرام. واليوم أتمنى أن تكون هذه اللقمة التي تفضلتم بأكلها واللقم التي ستليها إن شاء الله تذكرنا بذلك. وفي تربيتي شخصياً لا أنسى أبداً مَن أطعمني لقمة خبز.

وفي صلواتنا نطلب من أجل أن يُعطى لنا الخبز: أبانا الذي في السموات... خبزنا الجوهري أعطنا اليوم. نحن لا نطلب اللحوم ولا الأطايب ولكننا نطلب الخبز. طعامنا في الشرق هو الخبز في الدرجة الأولى.

المناسبة ثمينة جداً في نظري وآمل أن لا أكون مخطئاً لذا سأقول شيئاً آخر: أنتم صائمون ونحن كذلك وليتنا جميعاً نعرف أن الصيام هو تعبير شرقي للإنسان العابد ربه. نحن نشارك بعضنا البعض. ألا يدل هذا أنه كان عند الرب الذي سمح بأن يكون دينك وديني شرقيين قصد إلهي لم ندركه حتى اليوم تمام الإدراك؟ أنا أعتقد أن أعمال الله لا تأتي من طريق الصدفة ولكن لله فيها دائماً مآرب وغايات ومقاصد. ما أحلى القصد الإلهي وما أعظم الغايات الإلهية. ليت غاياتنا وليت مقاصدنا تكون كلها مأخوذة من المقاصد الإلهية.

وفي صومنا نحن نركز على أمرين: الأمر الأول: في الصوم أنت لا تفكر بنفسك. في الصوم يجب أن تفتح عينيك لكي تريا سواك. وأنت تصوم ليس فقط من أجل نفسك ولكنك تصوم من أجل سواك ومن هنا كانت في الإسلام فكرة الزكاة تلازم الصوم وهذا يعني أن الآخر موجود لتعطيه وتحسب له حساباً لأنه موجود وقد خلقه الله كما خلقك ولذلك بماذا يعتقد أو ماذا يقول أو يفعل هذا يأتي بمسافات طويلة بعد أن خُلِق.

الآخر هو أيضاً في عناية الله، والله شاءه أن يكون ولذلك هو كائن. وهذا ما ننساه فنحاسب الإنسان على فكرة وعلى تصرف وعلى خطأ ارتكبه أو

صواب فعله. نحاسبه على هذه ولا نحسب لله الذي خلقه حساباً.وأنا أعرف أننا نخطئ نحو الوطن ونحو الأهل والأقرباء عندما يرى واحدنا الآخر بطريقة من الطرق. الله لا يخلق الناس طبقات ــ وهنا أتكلم صورياً ــ ولكنه باليد الواحدة يجبل هذا وذاك. يجبلك أنت ويجبلني أنا. فنحن سواسية بالنسبة له.

الأمر الثاني: في الصيام نحن لا نأكل لحماً. لماذا؟ لأنه من أين يأتي اللحم؟ إنه يأتي من حيوانات مذبوحة وكأن الله يريد أن يذكرنا في الصيام بأنه لا يخلق كائناً للموت، إنه يخلق كل كائن للحياة. ونحن نعيش مأساة بل كل واحد منا يعيش مأساة وهي أنه يحتاج لكي يتغذى أن يذبح، أي أن يميت كائنات حية خلقها الله كما خلقنا نحن.

في الكتاب لا نجد أن الله خلق الكائنات الأخرى وكأنه أراد أن يتسلى بإيجادها فيما خلقنا نحن بشكل جدي. فهذا غير صحيح. نحن خليقة الله ولكنها هي أيضاً خلائق الله. ونحن نركز على هذا الأمر، ونركز على أن يلتفت الواحد منا إلى ذاته.

خلق الله لنا العينين لا تنظران إلى الوراء بل تنظران إلى الأمام لكي أراك وأتوقع منك أن تراني. لكي أراك وأعرف أنه لا يحق لي أن أتصورك غائباً وأنت أمام عيني.

الصيام يقول لي: لا شيء يحدث في العالم إلا ولك فيه حصة، ولك فيه دور. فإذا أخطأ العالم فغير صحيح أن خطيئتي لا تلعب فيه دوراً. لذلك علي أن أنظر إلى نفسي.

أن أطلب كي يكون الناس طاهرين فهذا حسن من أجل الله تعالى،

ولكن يجب أن أطلب أولاً من نفسي أن أكون طاهراً لذلك يجب أن أصوم أنا وليس سواي. في الصلاة وفي العبادة لا يحل إنسان مكان إنسان آخر إذ كل واحد يتصرف أمام الله تعالى وكأنه هو كل عالمه. يجب أن يكون طاهر النفس، طاهر اليد، طاهر العين وطاهر الأذن حتى تكون فيه نفحة من الله الذي خلقه.

نحن نصوم لنقول للرب في النهاية: وأنا أمامك أعرف شيئاً واحداً وهو أنني خاطئ فاغفر لي يا ربي أنا الخاطئ قبل أن أرجم الذين حولي وأجعل من نفسي دياناً للناس دون أن أدين نفسي. وأنا أعترف أن الشيطان يعمل في وليس في الآخرين فقط.

أيها الأحباء، إنها مناسبة كلنا فيها صائمون. ولا أبالغ إذا قلت إنه في سوريا لا يوجد اليوم أحد غير صائم هذا إذا كان كل المسلمين يصومون وإذا كان كل المسيحيين يصومون. وهذا لا يصدق عند المسيحيين وأطلب من الله أن يصدق عند المسلمين.

في هذا الوقت الذي نصوم فيه معاً أسأل الله أن يهدينا لكي يعرف كل واحد نفسه ويقول لربه: يا رب لتكن مشيئتك لا مشيئتي أنا.

حفظكم الله وبارك الصيام الذي تصومونه وجعله بالفعل بادرة إنسانية نحو الله لتكون بادرة تطهير وبادرة نقاء.

✞ ✞ ✞

القرآن الصغير والقرآن الكبير*

تبارك الله إلهنا كل حين، الآن وكل أوان وإلى أبد الدهور. آمين

كان علي أن أبدأ بهذه الكلمة لكي أعبر عن شكري الجزيل لله تعالى الذي سمح بأن نكون مجتمعين في هذه الصبيحة. كذلك كان علي أن أشكركم جميعاً. أشكر الجميع، الذين ذُكرت أسماؤهم والذين لم تذكر أسماؤهم، لأنه بدونهم ما كان هذا الاجتماع ممكناً. أنا أشكر أيضاً الذين تكرموا بأن يعطوا لهذا الاجتماع معنىً أي أولئك الذين قدموا من جهودهم، والذين قدموا من تفكيرهم ومن قلوبهم، إضافة إلى الكلمات التي سيلقونها. أنا أشكرهم أيضاً وأطلب إلى الله أن يكافئهم ويكافئ الجميع على كل جهد بذلوه من أجل إنجاح لقائنا، ومن أجل إعطائه معنىً وربما فعالية في حياتنا. أشكر الله أولاً وآخراً.

أيها الأحباء، شاء الله أن يكون اجتماعنا في مناسبة وردت تلميحاً، هذه المناسبة هي الصيام. عند اخوتنا المسلمين، صوم رمضان، وقد لا يعرف الجميع أن المسيحيين أيضاً هم في حال صيام اليوم استعداداً لعيد الميلاد المجيد. إذاً يمكننا القول: إن جميع المسيحيين وجميع المسلمين في سورية يصومون، وبما أنه ليس في سورية غير الذين يعبدون الله كمسلمين وكمسيحيين، يمكننا أن نقول: في سورية كل الناس صائمون هذه الفترة، وهذا له معنىً عميق بالنسبة إلي.

كنت أسمع أحد العلماء ــ وأنا أحب أن أسمع علماءنا والعلماء في كل مكان وأنا أتوقع بأن يفيدوننا بشيء ــ وهم يفعلون ذلك ــ كنت أسمع

* قاعة كنيسة الصليب المقدس، دمشق، ندوة «نحيا معاً في وطن واحد»، ٢٦/١١/٢٠٠٢

أحدهم يتكلم عن الصيام فظننت أنني أسمع الذين تعودنا سماعهم في كنائسنا عندما يصير الكلام عن الصيام.

عندنا نقول: «ليس ملكوت الله طعاماً وشراباً» هذا بالحرف. سمعت هذا القول تقريباً بحرفيته. ونحن مدعوون إذاً، في الصيام، إلى أن تتجه حياتنا أكثر فأكثر إلى الله تعالى، لأنه هو صاحبها في النهاية، وحده الذي يعطي الحياة. سمعت ذلك الشيخ يقول بتفصيل، وجدت هذا التفصيل في إحدى الصلوات التي تتلى في الأوساط الإسلامية. أولاً: عندما نقول ملكوت الله ليس طعاماً وشراباً ولكنه نوع من التنقية، نوع من الطهر، الذي نعطيه لحياتنا، ثم ألحقه بالتفاصيل التالية: قال: «لكي تتطهر العين». ذُكرت العين ــ فتذكرت كيف أننا نحن أيضاً نقول هذا القول: «ربي رُد عينيّ لئلا تريا باطلاً». إن الباطل الذي في كثير من الأحيان تشكو العينان منه إنما هو في نظرنا باطل، ومن يدري؟ فنحن لم نتعلم كفاية، لم نتربى على أن ترى أعيننا الخير عند كل واحد وفي كل مكان. أعيننا تتدرب أكثر ما تتدرب على رؤية الباطل عند فلان وعند فلان، لذلك فنحن بارعون في كثير من الأحيان في انتقاد الآخرين ورجمهم بالكلمة وبالنية، ومن يدري في الواقع، لأننا لا نرى في خليقة الله إلا ناحية واحدة هي الناحية الإنسانية، الناحية التي نختارها، نحن أصحاب الباطل، نحن الذين نعمل الباطل. وقال الشيخ أيضاً: صَلّي من أجل أن تكون أيدينا طاهرة. باليدين عندنا، وفي كتابنا المقدس أيضاً، اليدان آلة لعمل الإحسان. أن تمدّ يديك بالإحسان إلى الآخرين بقطع النظر عمن هم، هذه سمعتها أيضاً من الشيخ. نحن نقول من تربية اليدين أن تعمل بهما الخير، أن تمدهما للخير لا للحرام، أن تمدهما للخير وأن تفعل الخير بصورة أن يسارك لا تعرف ما تفعل يمينك لئلا تستكبر، فإذا استكبرت

جعلت الخير من فضلاتك أنت، وإذا لم تستكبر فإنك تعرفه انه دائماً من العمل الإلهي الذي يريدك أنت أن تقوم به مع اخوتك. وهكذا كان يقول ذلك الشيخ، باركه الله. الرجلان مهمتان، كان يتكلم عن وجهة سير الرجلين، هناك من يُسيّر رجليّ لكي يتآمر، من يُسيّر رجليّ في طريق الخطيئة...الخ نحن نصلي بأن يجعل رجلينا تسيران في طريق عمل الخير، تسيران في طريق لقيا الإنسان، الإنسان المظلوم، الإنسان الجائع، الإنسان المريض. هذه الطرق يجب أن ندرب أرجلنا على السير فيها. وفكرة السُبل ــ كما هي في الإسلام ــ مهمة جداً: السراط المستقيم. نقول نحن: اجعل رجليّ تسيران في سبيل الخير.

أيها الأحباء، هذه المناسبة، مناسبة الصيام، تُعطينا زخماً وتعطينا تفكيراً وتعطينا دفعاً روحياً، بدونه أعمالنا كلها أعمال من أجل تمجيدنا نحن، ومن أجل تمجيد فضائلنا نحن. ونحن مؤمنون أنه في النهاية يجب أن يُمجد الله وحده في كل شيء.

وسمعت شيخاً آخر قال شأناً في غاية الأهمية في نظري، لأنه يتحدث إلينا نحن كما يتحدث إلى المؤمنين المسلمين، قال: «هنالك قرآنان لا قرآن واحد. هنالك القرآن الصغير الذي تجده في الكتاب، وهنالك القرآن الكبير». وعندما تكلم عن القرآن الصغير كان واضحاً أنه يتكلم كما نتكلم نحن عن كتاب الإنجيل، وكأنه يقول: الكتاب وحده ــ صنيعة الله ــ لم يُختصر في كتاب واحد كما نراه في حجمه، ولكن هنالك قرآن آخر هو العالم بأسره الذي خلقه الله، ومَن يدري فالكثير منا يكتفي من إيمانه أن يقرأ في الكتاب الصغير ــ وهو موحىً به من الله ــ ولكنه لا يلتفت إلى ما كتبه الله في عالمه، عالم الخليقة بأسرها. الله لم يوحِ فقط في كتاب، ولكنه أوحى في عمل. أوحى

في خليقته «أؤمن بإله واحد خالق السماء والأرض، كل ما يرى وما لا يرى». بكلام آخر، نحن الآن نجد صفحة من صفحات القرآن الكبير الذي يدل على خليقة الله. أنت كلمة من كتاب الله الواسع، غَيرِكَ كلمة في كتاب الله الواسع، أليس في تاريخنا محاولات تقول إنه لكي تستدل على الله تعالى يجب أن تنظر إلى خلقه وأن تنطلق من خلقه إليه. هذا لا نقرأه كثيراً، ومن هنا أننا نجهل الخليقة أكثر فأكثر في نظري، ونكتفي بذلك، ونصير بدل أن نقرأها، نقرأ عنها. أنا أعتقد أننا لا ننصف الله في عمله إذا لم نمجده في كل خلائقه.

لا يوجد أحد يُمَجَّد إلى جانب الله، لا يوجد أحد! لذلك فهذا الذي ذكره الشيخ العلامة الذي كان يتكلم. وأنا أعتبر نفسي اليوم مخاطَباً وليس مخاطِباً. كنت مخاطَباً لأن الشيخ كان يقول: «في النهاية يجب أن ننظر إلى عالم الله لأنه هو صانعه، وهو وحده صانعه». ومن يدري؟ يمكننا أن نذهب قليلاً إلى أبعد من ذلك فنقول: قد يكون هنالك شيء من الصحة في القول: إننا بمقدار ما نكتفي بتركيزنا على الإنجيل وحده منفصلاً عن الناس وكذلك القرآن الكريم منفصلاً عن الناس، نكون قد تركنا الإنجيل الكبير حتى لغير المؤمنين، فإذا به تظهر عطايا الله ومواهبه. صار العلم، صارت الاختراعات، صار الطب، حصلت كل هذه الأشياء، وظننا أنها شيء لا بد أنه حاصل.

أيها الأحباء، عندما ظننا هذا، غاب الوطن نفسه عن خيال الكثيرين وعن تفكيرهم. نعم غاب الوطن عنهم. صرنا نقف الواحد مع الآخر وقلّ اهتمامنا بالآخر لكي يكون شريكاً في صناعة الوطن. نسينا أننا معاً، نسينا كلمة معاً هذه. نسينا أننا معاً في الوجع، في الجوع، في التعب، في المرض، في أن نكون مظلومين، في الظلم، في قلة الأخلاق... الخ هذه وكأننا نضعها جانباً نحن في

هذا الاجتماع ندعو إلى أن نفتح هذا الكتاب الواسع، ففيه يجد كل واحد منا الآخر، وإذا لم يجد الآخر، فيكون عندنا الكلام ولكن ليس عندنا الفعل. نسأل الله أن يجعلنا من الذين يقولون ويفعلون، لا ممن يقولون ولا يفعلون.

✞ ✞ ✞

المحبة هي الأقوى*

البطريرك غريغوريوس يسبقنا أحياناً ببعض الأشياء. ولكن هذا طبيعي بين البطاركة والمطارنة وهم الذين خلقوا المشاكل سابقاً. وهذا يعني أنه يجب أن يتحدثوا مع بعضهم البعض حتى يبرهنوا بالفعل أن المحبة أهم من كل شيء وقبل كل شيء.

البارحة كنت أتحدث فذكرت كلمة بولس الرسول عندما تكلم عن الإيمان والرجاء والمحبة وقال إن الإيمان والرجاء قد يزولان وأما المحبة فتبقى وهي الأقوى.

سأختلف مع سيدنا على كلمتي هذه. فقد يتوقع مني أن أبدأ باللاهوت أو أتحدث عن رومية أو اسطنبول. إنه حر في تفكيره ولكن ما أعتقده أنه يجب أن يكون عندنا بالفعل أدب لنصوص تتكلم عن المحبة وأن تصل إلى الرعايا يتلوها عليهم الكاهن الذي هو على تماس مباشر مع الشعب. ويجب أن نزرع فيها روح الاخوة بين الشعب أولاً. ونحن نبتعد عن الشعب إذا حصرنا المسائل فقط بالنقاشات. وإني أتساءل: أي موضوع طرح وانتهت النقاشات فيه؟ فطالما أن الإنسان حي فهو يناقش وهذا شيء طبيعي. ويقول لنا المتزوجون إن النقاشات لا تنقطع بينهم ولكنهم يبقون مع بعضهم باسم المحبة وليس باسم أي شيء آخر.

آمل، أيها الأحباء، في هذه المنطقة، بصورة خاصة، أن نبرهن على النية

*على مائدة البطريرك غريغوريوس لحام، ٢٠٠٣/١/١

الحقيقية التي في داخلنا وعن الروح الحقيقي الذي نتمنى أن يــزرع في شــعبنا بواسطة الكهنة عامة لأن طغمة الكهنوت هي التي سببت الانقسام في عائلتنـــا الذي جعل الأخ لا يعترف بأخيه وأصبح غريباً عنه. وهذا لم يسببه المؤمنــون الذين يتخاصمون من أجل تقاسم قطعة أرض أو طمعاً في مال ولكن ليس لأنهم يختلفون في العقيدة ودفاعاً عنها.

فلندع العقائد جانباً لأن ربنا سيبقى هو هو. أنت لا يمكنك أن تغــيره ولكن حبذا لو تترك له الفرصة ليغيرك هو. وهذا هو الأصل في النهاية.

في هذه المناسبة نطلب من الله أن يحفظ لنا وجودكم وأن تكون هنالك الدعوة التي أعتبرها دائمة وهو أن يكون عندنا تخطيط وبرامج نكتبها على ورقة ونعطيها للكاهن حتى يعلنها للمؤمنين الذين يعتقدون أننا نتقاتل في كــل يــوم ونختلف وقد تخلينا عن كوننا بشراً إكراماً للمسيح والآن يتذابح النـــاس باســـم الدين وإذا فعلنا مثلهم نكون لسنا أفضل من غيرنا.

باسمي واسمكم نتمنى لسيدنا العمر الطويل ونتمنى له النجاح في رسالته. وأنا أعرفه منذ وقت طويل وقبل أن تعرفوه أنتم وقد عملنا معاً قبلَ أن يصـــبح مطراناً ومن ثم بطريركاً وقبل أن أكون أنا كذلك.

ولا ننس أن عندنا سيدنا زكا الذي هو ضمانة للمحبة وهو يحدثك في كل شيء دون أن يلجأ إلى لغة القوة ولا إلى لغة الضغط بل لغته هي لغة المحبـــة فإذا كانت المحبة فيك فالحوار معك ممكن وبدون المحبة لا حوار.

سيدنا، أدامكم الله وأطال في عمركم.

السلام، سلام الإنسان*

ما نسمعه في هذه الأيام، وما نشاهده من خلال وسائل الإعلام، لا نجد فيه إلا الفوضى البشرية. تطاحن وصراع وقتل، كل هذا لأن العالم الحاضر يرزح تحت ثقل وثنية أهواء طاغية. الأنانية تتحكم بمصائر البشر، الظلام ينشر حجبه متوخياً إعادة العالم إلى القديم، العالم الحاضر حوّر مفهوم الإنسان. إنسانية الإنسان لا همه، وطاقته المبدعة أصبحت رهينة في يد الأنانية الفردية.

إذاً نحن لا نعرف أن الذين يجيشون جيوشهم للقتل باسم السلام هم محبون للسلام أو يريدون السلام، لا نعرف أن مثل هؤلاء يعرفون ما الإنسان وما الإنسانية حتى يعرفوا بعد ذلك ما هي حقوق الإنسان وما هي القيم الإنسانية ولماذا صار الإنسان إنساناً في كتاب الخلق.

لا نقدر أن نفهم كيف أن الإدارة الأميركية تتكلم وتنادي بحقوق الإنسان وحريته وهي تتعدى كل النظم الاخلاقية. لا نقدر أن نفهم كيف يقبل الشعب الأميركي ذلك، كيف يقبل أن يدير أمره من يتبجح بألفاظ جوفاء يستغلها لخدمة قتل الشعوب، لقتل الأطفال والشيوخ، لانتهاك حقوق الإنسان.

فلسطين التي شهدت ولادة المسيح لا تزال مهانة، أهلها يطردون ويشردون، تهدم بيوتهم تحت اسم السلام ليرضى الأئمة والذين وراءهم.

العراق الذي تحمل شعبه كل الويلات من قتل المدنيين وتدمير وحرق

* بيان مشترك للبطريرك اغناطيوس الرابع والبطريرك زكا، دمشق، ٢٠٠٣/٣

المنشآت الخدمية أساؤوا فيه إلى إنسانية الإنسان كما لم يُسأ إليها، تحت شعار السلام.

يكذبون على العالم ولا يزالون حتى يبرروا عدوانهم. يحاصرون شعبه و لم يكفِهم ذلك وعادوا إلى لملمة ما بقي عندهم من القنابل والأسلحة المدمرة الفتاكة ليكافئوا هذا الشعب، شعب العراق، لأنه وفّى بالتزاماته، ونفذ المقررات، ومع ذلك مستمرون بحصاره، ويريدون إبادته دون أن يهتز فيهم ضمير، مستمرّون في غيّهم كي يبرروا دفاعهم عن صهيونية خبيثة تريد أن يخلو ما حولها من كل دفاع لتتفرد هي بجرائمها ومؤامراتها على العالم.

ونسأل أين العدل، أين السلام، أين حرية الشعوب؟

هل السلام أن نتفرج لنرى ملايين العراقيين يعانون يومياً ما لم يعانِه شعب من تجويع وحصار وافتراء ومؤامرات على يد طغيان باغٍ يتحدث عن السلام؟

هل السلام أن نرى الجزّار والسكين في يده تقطر دم الفلسطينيين المدمّرة بيوتهم، وأن نصفق للمغتصب في بيت لحم والقدس وهو يختال معتزاً بقوته وتآمره وشرّه؟

نحن لا نعرف مثل هذا السلام ولا مثل هذه الحرية.

نحن نعرف أن المسيح له المجد إذا قيل له إن القوم جائعون يُكثِر الخبز ويُكثِر السمك حتى يأكلوا ويشبعوا وتقرّ نفوسهم. وأيضاً إذا جيء له بمريض أو مشلول سارع إلى منحه البرء والشفاء ماسحاً آلامه بيد من رحمة ورفق.

هنا من دواعي محبتنا نرفع الصوت عالياً في مسمع الشعوب والحكام

لِنُسمع صوت الأخيار والطيبين إلى كل بقعة في العالم: لن يستقيم العالم إذا بقي الإنسان لقمة في فم الوحش الذي لا يشبع. لن يستقيم العالم إذا بقيت حريته وفكره وعقله مطية للأنانية المستعبِدة. لا سلم ولا سلام في العالم ما دامت الأساطيل والسفن الحربية تتمختر في البحار والمحيطات تفتش عن فريسة تفترسها.

لنرفع صوتنا لأن النيات عند الذين يجمعون جيوشهم وأسلحتهم من أميركيين وبريطانيين غير سليمة، نيات خبيثة لا تستهدف السلام في أراضينا وأوطاننا، لكنها تعمل من أجل سلام إسرائيل التي تعتصر دم العالم، سلام الصهيونية المتآمرة، سلام أساطين المال وتجار الحروب ممن يمنعون الدواء والعلم والتقدم عن ثلاثةِ أرباع البشرية حتى يحافظوا على تفوقهم وامتيازاتهم.

لنرفع صوتنا ننكر مثل هذا السلام، ولا ندعو إليه. لنرفع صوتنا أننا نريد السلام الذي يحقق مشيئة الله ومشيئة ابن الإنسان، السلام الذي دافع عن إنسانية الإنسان وكرامته ضد مستعبديه وضد قاهريه، فلا بد من أن يُسمع هذا الصوت مهما طال الليل، ولا بد من أن ينجلي الظلام مهما تمادى.

لنرفع أيدينا نحو الخالق بقلوب نقية ونطلب منه أن يخفف من مأساة شعبنا في العراق ومأساة شعبنا في فلسطين، في القدس، وفي كل أمتنا، وأن يستجيب نداءنا في شدائدنا، وأن ينير بصائر من تناسوا الحقيقة ومن طعنوا شرعته ومن ضلوا طريقه.

ولنكن مناضلين مدافعين ضد الشر فلن يفشل قوم وضعوا الله في قلوبهم ووضعوا حقهم نصب أعينهم".

العنف يولّد العنف*

بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد آمين،

«ترتدي الأحداث التي تدور حول العراق طابعاً شديد الخطورة على البشرية بأجمعها. وإننا نعلن عن استغرابنا لموقف هذه الدولة أو تلك التي لا تجيز لنفسها التدخل في الشؤون الداخلية لدولة أخرى ذات سيادة فحسب بل تقوم بالاستعداد للتدخل العسكري على أرض بلد عضو في الأمم المتحدة.

لا يمكننا الاقتناع بأن كل شرور العالم قائمة في بلد ما أو في شخص واحد.

وإننا ــ إذ نعلن عن مواساتنا لعائلات ضحايا ١١ أيلول عام ٢٠٠١ في نيويورك، ــ نجد أنه لم يتوافر حتى الآن أي دليل يبين صلة العراق بذاك العمل الشرير.

إن تاريخ الإنسانية يعلمنا بأن الحرب لا تساعد على حل التناقضات بين الدول، لا بل على العكس من ذلك، فإن العنف والحرب سيولدان حتماً مشاكل جديدة.

وفي هذا السياق، نعلن عن رفضنا المقولة التي تربط الإرهاب بالإسلام، فالإرهاب يمارسه أتباع أديان أخرى. وعلى المؤمنين المسيحيين والمسلمين واليهود تعلُّم العيش معاً على أرض واحدة.

---

*حديث لوسائل الإعلام الروسية، ٢٠٠٣/٣

في ساعة الدينونة، يسألنا الله كيف كنا نتعامل مع جيراننا بصرف النظر عن الأمة التي ينتمون لها أو الدين الذي يؤمنون به. لذا من واجبنا الديني والإنساني الدفاع القوي عن السلام والوقوف ضد كل أنواع الحروب».

✞ ✞ ✞

ننحاز إلى قوة الحق لا حق القوة*

يحزننا جداً أن تكون المساعي التي قامت بها أطراف متعددة في العالم من حكومات وقيادات دينية مسيحية وإسلامية والنداءات التي أطلقها ملايين الناس في مختلف أصقاع الأرض لتغليب الحل السلمي على الحل العسكري في المسألة العراقية قد باءت بالفشل. واليوم إذ نشهد حملة عسكرية ضارية تستهدف العراق شعباً وأرضاً فإنها تنذر بعواقب لا يمكن التكهن بمداها وآثارها ليس على الشعب العراقي فحسب بل على كامل منطقة الشرق الأوسط.

إننا ندين بقوة ساسة «حق القوة» على «قوة الحق» ونشجب باسمنا وباسم جميع أبنائنا هذه الحرب غير المبرّرة التي سيعاني من نتائجها آلاف المهجرين والمصابين والمعوقين من أطفال وشباب ونساء وشيوخ.

إننا إذ نتعاضد مع كل المتألمين في هذه الحرب الضارية وعملاً بإيماننا الذي يقتضي منا ألا نكون متفرجين فحسب فإننا قمنا باستدعاء كافة مؤسساتنا الكنسية لتقوم بتلبية حاجات المهجرين العراقيين الذين يتوافدون إلى مناطق مختلفة في بلدنا سوريا.

ستقوم اللجنة المنبثقة عن هذه المؤسسات بتجميع المساعدات المالية والعينية بما يتوافق والحاجات المطلوبة. إننا نسأل أبناءنا الأحباء بالتبرع المادي والعيني والاتصال بأخويات الكنائس والوكالات والدار البطريركية من أجل تلبية واجبهم الإنساني.

---

*البيان الذي أصدره البطريرك اغناطيوس بعد اندلاع الحرب على العراق، ٢٠٠٣/٣

أيها الأبناء الأحباء:

لنصلِّ جميعاً ونحن نعبر فترة الصيام الأربعيني المقدس لكي ينظر الـرب بعين الرحمة لما يعانيه أبناؤنا في العراق وفلسطين وفي كل أرض منتهكة في هـذا العالم.

✞ ✞ ✞

ملكية الحقيقة ليست حصرية*

إنه لفرح عظيم بالنسبة لي أن أرى قبرص وقد أصبحت ملتقىً مميزاً للالتقاء بين الشرق والغرب. إن كل تاريخ هذا البلد، الحديث والقديم، يسمح له بالمطالبة بانتماء مزدوج. أصلّي لكي يستمر في لعب دور «همزة الوصل» في هذه الأيام العصيبة، إذ إن الحاجة كبيرة إلى هذا الدور.

إن لقاءنا في هذه السنة لا يمكنه أن يحجب الفظاعة والقلق العامَّيْن اللذين أثارهما موجة الرعب والعنف التي تعصف بالعالم، وكذلك مشهد التفكك الذي يطغى عليه. فالفظاعة تتعاظم لا سيما حين نسمع أن دولاً ومنظمات وأفراداً، تقع عليهم مسؤولية ما آلت إليه تلك الأحوال، يعتبرون أن الله هو مرجعهم ويدّعون الدفاع عن قيم الديمقراطية والعدالة والسلام. لا يمكننا مقاومة هذه الادعاءات بمزيد من العنف إلا إذا كان عنفاً تجاه أنفسنا، بمعنى المزيد من السعي الدؤوب إلى القداسة. إلا أن أحداً منّا لا يمكنه الإدعاء بأنه أصبح قديساً ما لم يحترق بنار الذي هو وحده قدوس، هذا القدوس الذي هو وحده محبة. بالنسبة لنا، نحن المسيحيين، إن الله، لمحبة منه، أراد أن يكون قريباً جداً منا، حتى أنه صار إنساناً بين الناس لكي يربط طبيعتنا بالطبيعة الإلهية لكي يقول لنا إن كل شيء، من الآن فصاعداً، صار ممكناً لنا إنْ أردنا. ولكن هذا لا يعني مطلقاً أنه باستطاعتنا أن نتكلم عنه أو باسمه، بل المقصود هو أن نتطهّر من أجله وأن

*نيقوسيا، قبرص، أيار ٢٠٠٣

نستقبله فينا. لقد اختار المسيح أن يسكن في كل إنسان، بمعرفةٍ منه أم بغير معرفة، ولقد أُعطي للمسيحيين أن يعرفوا هذا الأمر. وبالتالي، فالمطلوب منهم هو أن يخاطبوا المسيح في كل إنسان، وأن يتعاطوا مع كل إنسان كما يتعاطون مع الذي يسكنه.

وحدها مقاربة كتلك المقاربة باستطاعتها أن تخصب فعلنا في التاريخ. وباستطاعتنا التوصّل إلى العدالة والسلام بالشعور مع الآخرين وبإمكانية أن نصمت من أجل سماع أصواقم التي من خلالها نسمع أنّات الروح القدس الفائقة الوصف، لهؤلاء فقط نصيب بلوغ ذلك.

إن الحوار يعني أن نقبل أن نسائل أنفسنا أولاً وأن نقبل أن يسائلنا الآخر. إنه محاولة اكتشاف الأفضل عند الآخر، اكتشاف الجمال وبذور الذهب التي زرعها الله في كل الثقافات وفي كل الأديان. إنه إرادة المشاركة، ليس فقط بالكلمات والمفاهيم أو الأفكار، بل المشاركة بالمصير الواحد وبالإنسانية الواحدة. إنه، وبكل بساطة، الإقلاع النهائيّ عن لغة القوة، عن لغة: «أقتل نفسي حتى أقتلك» أو «أقتلك حتى تتمدّن رغماً عنك». إنه الإجماع على العيش معاً والاقتناع بأن الاختلافات هي مصدر غنى وذلك دون الوقوع في الفخ التلفيقي. إنه الإيمان بأن الحقيقة لا يمكنها أبداً أن تكون ملكاً حصرياً لنا بالرغم من أننا أمناء غير مستحقين عليها. إن الحوار يعني أيضاً أن الحياة، كل شكل من أشكال الحياة، هي عطية من الله وبالتالي لا يمكننا أن نتصرّف بها.

منذ عهد الرسل وأنطاكية كانت معقلاً للقاء المسيحيين مع أمم من أصول مختلفة. لقد نمت كنيستنا مستخدمة اللغة اليونانية لفترة طويلة في جو ثقافي آرامي وسرياني وثم عربي. إن هذا الإطار المتعدد الثقافات، بالإضافة إلى

أننا لم نكن أبداً كنيسة دولةٍ أو إمبراطورية، قد ساعد في تشكيل هويتنا، والـتي تتسم بقناعتنا العميقة بأن الإنجيل هو فوق كل حاجز عرقي، وبتعلّقنا غير المتزعزع بالأرثوذكسية التي، مع احترامها للمواهب الخاصة بكل ثقافة، يفترض بها ألا نميّز بين يوناني وروسي وعربي، بل على العكس أن تعتبر أن «المسيح هو الكل في الكل» (كولوسي٣: ١١). إن هويتنا هي انفتاح محبّ نحو الكنائس والمذاهب الأخرى على الرجاء المتجدد دوماً بأننا نعمل كخدّام للمصالحة. لقد أصبحنا، بفعل المتغيرات التاريخية، «كنيسة العرب»؛ تعلّمنا أن نعيش دائماً وجهاً لوجه مع مؤمنين من ديانات مختلفة ولا سيما مع المسلمين. وبالرغم من أنه لدينا لائحة طويلة من الشهداء، إلا أننا اخترنا، بإرادتنا الحرة والمصممة، أن نتعايش ونتحاور بالعمق وبدون كراهية، دون حلول وسطية ودون خوف. وعندما وُضعنا، في مناسبات عديدة، أمام روحيّة الحملات الصليبية والحرب المقدّسة، اخترنا، دون أي تردد وبحزم، الالتزام بروح الصليب. إن رسالتنا اليوم هي أن تتابع في حمل الشهادة لكل المتكلّمين باللغة العربية في المدى الانطاكي وفي العالم الغربي، كما أن دعوتنا هي في إتمام هذه الشهادة بشركة تامة مع باقي الكنائس الأرثوذكسية المعنية وبالتعاون مع الجميع.

في هذا الشرق الأوسط، الذي عانى الكثير والذي يطمع بخيراته الكثيرون، تعلّم اخوتنا المسلمون أن يعرفوننا متضامنين معهم في الدفاع عن حقوق كل المقهورين، في فلسطين وفي العراق وفي كل العالم. إننا متضامنون معهم في المطالبة بالعدالة والسلام للجميع، في رفض العنف، من أية جهة أتى، وفي عدم القبول بالأحكام السطحية التي يطلقها المتشددون من كل حدب وصوب. إننا متضامنون معهم أيضاً في معارضة القائلين بصراع الحضارات وفي تشجيع لقاء

حقيقي بين الثقافات والأديان. وأخيراً، وبخاصّة، إننـــا متضـــامنون معهـــم في الامتناع عن ربط اسم الله بحروب البشر حتى نؤكّد علانية وبقوة أن الله لا يمكنه أن يرتبط بأي عمل يؤدي إلى الموت. «طوبى لصانعي السلام، لأنهـــم بـــني الله يدعون» (متى ٥:٩).

بالنسبة إلينا، نحن الذين علينا أن نقدم حساباً عن الرجـــاء الـــذي فينـــا (١بطرس٣: ١٥)، لا يمكننا إلا أن نؤكد أن "المسيح قام" وأنه "ظهر لنا" (يـــو ٢٠:٢٥). فالكلمة الأخيرة ليست بعدئذ للموت، بل للحياة وللمحبة.

✠ ✠ ✠

يجب أن يكون الفعل هاجسنا*

أصحاب الغبطة، أصحاب السعادة والسيادة، أيها الحضور الكريم،

اسمحوا لي أولاً أن أعبر عن امتناني الكبير لوجودنا هنا، خاصة أن الموضوع الذي نسعى جميعاً للخوض فيه يهم بصورة جدية عدداً كبيراً من الناس. وثانياً أود أن أعبر عن فرحي الكبير بوجود عدد كبير في عالمنا المعاصر ممن يتحدث عن أشياء تتجاوز الاهتمام ببلد معين أو أشخاص معينين.

لقد أتيت من منطقة تمّت فيها عملية التجسد الإلهي. والحديث عن التجسد الإلهي يدعونا إلى الإيمان بأن كل الأشياء يجب أن تأخذ شكلاً واقعياً وملموساً. فبما أن الإله قد أتى إلى العالم كإنسان، علينا أن نشخصن ما نؤمن به بحيث يمكن للتاريخ نفسه أن يشهد للحقيقة والعدالة اللذين نتكلم عنهما. بدون هذه الشخصنة تبقى اهتماماتنا نظرية فكرية لا تمس أي واقع. علماً بأن آلام الإنسانية هي أمر واقع وليست مجرد أفكار أو مجرد تصور.

إن الإيمان بأن الأشياء تصبح واقعاً يعني أننا لا نحتاج فقط إلى سماع الأقوال الجميلة. فهذه هي المرة الثالثة التي أشارك فيها في مثل هذا اللقاء لكني أتمنى شخصياً أن نتجاوز هنا سماع العبارات الخطابية الجميلة. فالفقر مثلاً لا يعالج بمجرد وصفه. والإنسان كله لا يأخذ حقه من الجدية بمجرد الكلام عنه. لأن الإنسان ما زال الآن يُستخدم كأداة تستعملها القوى السياسية. إنني أرى

---

*نيقوسيا، قبرص، أيار ٢٠٠٣

بأنه لا بد لنا من أن نرتقي إلى مستوى التأمل والتخطيط ونضع في أيدينا برامج وحقائق تدعونا إلى جعلها أعمالاً تعالج وتشفي أوجاع الناس وآلام البشر.

أيها السادة:

إنني كشخص قادم من الشرق الأوسط أرى أن هنالك واقعاً إنسانياً يجب أن يتغير وبدون ذلك فإن كلامنا ومجمل أفكارنا لا تجدي فتيلاً. ففي هذه اللحظة وفي هذه البقعة من الأرض العديد من الأشخاص يُقتَلون، أمهات يفقدن أطفالهن وأطفال أبرياء يذوقون الموت. أجيال لا تعرف ماذا يخبئ لها الغد وأي أمل لها في مستقبل كريم. إنني مؤمن بأنه علينا نحن أن نواجه هذا الواقع المعاش برصانة وواقعية. إنها قضية أرضنا المقدسة. هذه كيف يمكن أن تكون مقدسة وقداستها تنتهك كل يوم؟

ففي فلسطين الواقع مؤلم جائر. فأورشليم ليست الآن مدينة السلام. أي سلام هذا الذي نتكلم عنه الآن ومن أجله نجتمع؟ أتكلم عن أورشليم، لأن أورشليم في قلب كل الديانات السماوية التي انطلقت من الشرق الأوسط.

أيها السادة:

علينا أن نفعل شيئاً وإلا سنفقد ثقة شعوبنا . إن شعوب المنطقة تريد أن ترى بان الغد هو مختلف عن اليوم وأنه يمكن لها أن ترى لها غداً.

إنني لست متأكداً بان كلمة السلام تعني تماماً السلام الحقيقي وإنما المقصود بها هو السلام لبعض الناس في الشرق الأوسط لا لكل الناس. وكأن السلام ليس واحداً للجميع. وكأن الكلمة لا تعني الشيء نفسه لكل الناس في كل مكان. لذلك علينا أن نصرخ أن السلام لا يكون سلاماً إذا لم يبن على

العدالة لكل إنسان والكرامة لكل إنسان وإلا فلن يتحقق سلام حقيقي أبداً.

لدينا هذه التجربة في دياناتنا، وأقول حتى في كنائسنا. فقد اعتدنا على سماع كلمة الطائفية هنا وثمة. فباسم الطائفية وباسم الله نسمح بأن يكون الآخر عدونا، بينما نعلم أن كل خلائق الله محبوباته. نقول بأن الأديان وسائل لمعاداة الآخرين. فلماذا يا ترى نعادي الآخرين باسم الدين؟

إنني أرجو لجميع المشاركين في هذا الاجتماع من ذوي الإرادة الطيبة أن يجعلوا منه نقطة انطلاق إلى الأمام فنضع كلنا نصب أعيننا أن كل إنسان هو مخلوق على صورة الله ويستحق السلام والكرامة ويستحق أن يصان من الجوع ومن المذلة ومن الموت على يد أي إنسان ومن أجل أية غاية في الدنيا.

وشكراً.

✞ ✞ ✞

الجامعة، جامعة الخدمة*

الجامعة كانت حلماً بالفعل، لكنها كانت حلماً في كنيستنا الأرثوذكسية المشرقية التي ليس فيها من غريب واحد عن هذه البلاد. كانت حلماً منذ أعوام عديدة، لكنه لم يتحقق، لأن الظروف لم تتح للكنيسة أن ترى جامعتها آنذاك. تأجل الأمر إلى وقت مناسب، وأنت تعرفون أن حسابات الله في تحقيقاته هي غير حساباتنا نحن. ولكن الحلم كان في قلب الكنيسة التي أمثلها. والكنيسة تعني الشعب الذي نحن نعيش معه، ونحن منه. في ذلك الوقت، كان هذا الشعب تحديداً يتطلع إلى تقديم أفضل خدمة ممكنة لأخوته الذين يعايشهم، والبلد الذي كان يجمعه. كانوا ينظرون إلى أفضل خدمة يمكن تقديمها إلى لبنان وسوريا. وآنذاك كانت المنطقة متحدة، حتى سياسياً.

اليوم، نحن مقتنعون بأن لبنان اسم لا يحتاج إلى تعريف، وأن له بذاته معنى وأصولاً ومستقبلاً. ومن أجل ذلك، كانت الجامعة في لبنان عندما تمكنا من تأسيسها و لم يكن ذلك ممكناً في أي مكان آخر.

من يلبس ثياباً كثيابي يكون قد تعهد مبدئياً أن يكون خادماً، وليس مخدوماً. وهذا القول نقرأه في إنجيلنا عندما يقول الرب يسوع: «الأول فيكم فليكن خادماً للجميع». إن كنيستنا ما كانت تتطلب أكثر من أن تكون خادمة لكل واحد حيث هي تعيش. نحن نتعرف إلى هويتنا من كثرة خدمتنا أو قلتها، ونكون صادقين في وطنيتنا بمقدار ما نحن نخدم. ولذلك، نحن سعداء جداً بأن

*العيد ١٥ للبلمند، ٢٠٠٣/٦/٤

نكون بالفعل الخدام الحقيقيين الذين تمثلهم جماعة البلمند، كجامعة للخدمة. إذا سئلنا عن هدف الجامعة، أجبنا إنها جامعة لخدمة الأجيال الطالعة التي نعتقد أنها بنعمة الله موجودة، ولها مواهبها، وأن الله يريدها أن تكون في مستقبل تتمكن فيه من تمجيد اسمه المقدس. نحن نعتقد أننا موجودون كي يرتفع كل واحد ممن أعطاه الله أن يعيش في المستقبل ويقرره ويعطيه لونه وطعمه. نعتقد أن النعمة الإلهية توجد في أناس، في شبيبتنا. ولذلك يجب تكريس كل شيء لهؤلاء. من دونهم، لا مستقبل وإذا أعطي لهم تصور للمستقبل عبارة عن نقطة فقط وتقليد للماضي، فنكون ندفنهم قبل أن يسمح الله بذلك.

نحن مستقبليون في الدرجة الأولى. نحن نريد أن ينظر شبابنا وشاباتنا إلى المستقبل. وكما قلت مراراً، الله أمامنا دائماً، وليس وراءنا. فلا نفعلن مثل أولئك الذين يريدوننا أن نختنق في الماضي والقبور الماضية، لا أن تتفتح أعيننا على قيامة دائمة. صحيح أن هناك موتاً في العالم، لكن هناك دائماً قيامة بعد الموت، ونعيش للقيامة، وليس للموت. هذه هي غاية الجامعة.

إن الله عندنا عنصر مهم جداً في حياتنا. وكل حجر في الجامعة وضع باسم الله ونعمته وقوته. نحن لا نعترف بإله إلا به، ولا سواه من إله. لذلك، كنا أقوياء عندما نفكر به واحداً أحد، وحاضراً في كل زمان ومكان، وفي أي وقت من الأوقات.

إن الإنسان لا يجوز أن يؤلّه ذاته. قد يغتَرّ في كثير من الأحيان، ونخاف الخطيئة، لأنها تنفخه وتجعله يظن أنه، إما أكثر أو أقل مما هو. فإذا ظن انه أكثر مما هو، تكبر وانتفخ. وإذا ظن أنه أقل مما هو فيكون لا يحترم صورة الله التي هي فيه.

نحن جماعة نعتقد أن الإنسان يكبر عندما يتكل على الله، ولا يصــغر، وأننا هنا لنربي الإنسان الطموح إلى الأبد، وأقصى الحدود، والصورة التي تفتش عن الأصل.

إن هذه الجامعة كانت مناسبة كي لا يظن بعضهم أن نعمة الله موجودة عند كل الناس ما عدانا نحن. إنها برهان وواقع ملموس على أننا نحن أيضــاً إذا سعينا وكنا صادقين، فالله لا يتركنا. من كل قلبنا، نطلب أن يعطينا نعمة كــي يكون كل الذين يمرون فيها يعرفون أن الإنسان هو أخوهم وحبيب الله.

✞ ✞ ✞

الله يحب الجميع*

إني حاضر للحوار معكم وبدون الحوار هناك شـيء نـاقص. وأنـتم مستقبل الكنيسة وأنا من الذين يقولون إننا نهيئ أولادنا ورجالنا للمستقبل لأن المستقبل لهم وهم الذين سيستمرون في خدمة الكنيسة وفق تراثنـا، وعلينـا أن نحس أننا نصنع المستقبل لا مجرد أن نرثه. وفي الدرجة الأولى هناك الشعب حيث ستقومون بالأعمال الرعائية. وإني سررت بما حصل اليوم في الجامعة ولم أعتـد كثيراً سماع كلام الشكر. وأنا لا أريد أن أعتاد ذلك ولا سمـاع المـديح. وإني أعتذر عما سمعته صباحاً ولكنني في الوقت نفسه ممتن جداً. لماذا؟ لأننـا لسـنا وحدنا في هذه الدنيا. فالكنيسة هي أسرة فيها الكبير والصغير والطبّاع المختلفة والتنوع، وهناك رباط يتجاوز الطبائع والأجيال والأعمار. وإذا كنا لا نعـرف ذلك نكون لا نعرف الكنيسة. وعندما نذكر الكنيسة نذكر الأسرة: الله الأب، الابن، الأخ. وهذه اللغة ليست مستعملة من طريق الصدفة بل تعـني انـك لا تستطيع أن تكون أرثوذكسياً صحيحاً في نظري أنا، إلا إذا كان عندك نـاس. نقول أبونا، أبي، أمي، أختي وأخي، وهذا يعني أننا نصنف الجميع أخوة لنا.

الكنيسة فيها المعمَّد والمعمِّد وإذا لم يوجد الاثنان لا كنيسة، وقد قررتم أن تكونوا في الكنيسة، وأنتم أحرار في قراركم. وآمل أن تأخذوا الأمور بجدية ولا تستخفوا بشيء لأنه عندما ننتمي إلى الأسرة التي في قلب الكنيسـة فقـد أصبحنا من تكوينها ولا يمكن أن نستخف بما يأتينا من الكنيسة أو من الإلهـام

* دير سيدة البلمند، لقاء مع طلاب المعهد، ٤/٦/٢٠٠٣

الإلهي أو من إلهام الروح القدس. وعلينا أن نكلم الناس بطريقة يفهمون بها ماذا عليهم أن يعرفوا، وما هي واجباتهم، وهذا أمانة في أعناقنا لن نسلمها لأحد لا من قريب ولا من بعيد. ونحن مسؤولون عن تصرفات الناس حيالنا، والكنيسة هي الناس، ونحن نهيئ أنفسنا لخدمة الناس وعلينا أن نستمع إليهم. والمحبة يجب أن تأتي من القلب. وإني أفتقد حالياً في الكنيسة الاحترام المتبادل وقواعد هذا الاحترام الواجب على كل منا. ويجب الانتباه إلى هذا الموضوع. وأن يكون الاحترام متبادلاً، وهذه هي الطريقة التي نعبر فيها عن أنفسنا. علينا إعطاء الصورة التي تليق بالكنيسة التي نعيش فيها. وعلينا أن نتعلم أن نكرم بعضنا البعض: «أكرم أباك وأمك» وأكرم كل الناس الذين تعيش معهم، الذين هم بمثابة أبيك وأمك. إكرام الآخر واجب، وليس صحيحاً أن من ينجح في الصف ينجح في الدنيا. وعليه أن ينجح هناك في الدنيا في التعامل مع الناس حيث هناك يكون النجاح.

المسيحيون في وضعهم حالياً يعيشون بعض الاختلافات وكثيرون لا يعرفون عنها شيئاً. ولكن نحن مسؤولون عن كل إنسان على وجه الأرض. وحياة الإنسان الإيمانية فيها شيء بيد الله، لا يمكن أحداً أن يعرفه أو يحصره، وربنا لم يفوض أحداً مستشاراً له. والدنيا ماشية، والمسيحيون يعيشون بين الناس، وعلينا أن نميز بين أن لا تكون الكنيسة كنيسة أفكار وبين الكنيسة التي تعرف أن الله يحب الجميع. وفي النهاية المحبة هي الأساس، عندما نتكلم عن الله. ولكن عندما نتكلم عن الناس فكل واحد يشد الأمور نحو نفسه. واقتناعات الناس راسخة في رؤوسهم ولا يمكن أن يتراجعوا عنها، وقلنا إن النظريات تختلف، أما المحبة على مستوى الخلق فهي من الله، ومن خلقه الله لا يمكن إلا أن تحبه أياً يكن.

قوة الحب هي القوة الحقيقية*

أيها الرب يسوع المسيح إلهنا، إننا نجتمع اليوم لنسمع صوتك الحنون مجدداً أنه «إذا اجتمع اثنان أو ثلاثة باسمي أكون أنا بينهم». وها نحن قد قرأنا في إنجيلك الطاهر كلماتك التي وجهتها إلى تلاميذك الأطهار قبل ذهابك إلى آلامك، هم كانوا مضطربين وأما أنت فشددهم قائلاً لهم: لا تضطرب قلوبكم، فإني أعطيكم سلامي الذي يبقى معكم، لا سلام العالم الذي يذهب مع العالم.

يا رب، لقد شددهم لأن أعينهم كأعيننا ترى في العالم سلام العالم وحده وتتساءل كيف يمكن أن يكون السلام عند من يصرفون الغالي والنفيس لكي يصنعوا الأسلحة من كل أنواعها، وأفضلها ما يدر أكثر، وما يقتل أكثر، وما يتجاوز كل وسائل الحماية التي عرفناها حتى اليوم؟ هؤلاء، يا رب، نطلب إليك أن ترشدهم وتدلهم على أن قوة الحرب ليست قوة، إنما القوة الحقيقية هي قوة الحب التي أنت شرعتها وبذلتها على صليبك من أجل خلاصنا وخلاص العالم بأسره. وقل، يا رب، لتلاميذك أيضاً: إنني لن أترككم يتامى بل أرسل لكم من يبقى معكم وهو الروح القدس الذي من الآب ينبثق، فهذا يأتي إليكم وإلى جميع العالم نسمة حياة من ذاك الذي هو الألف والياء والبداية والنهاية. ونحن لدينا هذه النسمة، الروح القدس، وإن كنا لا نتلقاه دائماً بالقلب الطاهر واليد النظيفة. هذا الروح هو الذي يشرق في قلوبنا نورك يا رب وينيرها ويشعل فينا شعلة كلماتك الحية، التي توقد فينا حرارة حبك وحنانك، وتزرع فينا

*ألمانيا، صلاة من أجل السلام، ٢٠٠٣/٩/١٠

سلامك، السلام الحقيقي الذي تنشره ما حيينا.

وكيف يا سيدي لا نذكر في إنجيلك الكريم، ان القدس مدينة السلام قد استقبلتك يوماً ما وأنك فيها للمرة الأولى سمعت كلمة التمجيد... «مبارك الآتي باسم الرب».

ولكنك بعد أيام قليلة قلت لتلاميذك فيها أنك قادم إلى مجدك الحقيقي، إلى موتك الطوعي لتبذل نفسك من أجل هذا العالم الذي ذقت فيه الآلام والموت وتقوم من قبرك في اليوم الثالث.

وإننا اليوم نحن عبيدك نتطلع إلى وعدك بأنك ستعود ثانية لتحيي أورشليم وتعلن غلبة الخير على الشر. نعم ستعود وتجعل مدينة السلام مدينة السلام بالحقيقة.

يا رب، نتطلع إلى ذلك اليوم لأنك أنت رجاؤنا وإياك وحدك نعبد، وبك وحدك نؤمن، لنسألك أن تبسط يدك الكريمة، يا رب، بكامل قدرتك ولا تريد لمدينتك أن تكون لدى عودتك إليها مجرد مجموعة أطلال بدل أن تكون مجموعة هياكل لتسبيح اسمك الكلي الجلال وحده.

قم بقوتك قبل أن يغيب منها صوت يدعوك ربه وإلهه.

يا رب كما كانت أورشليم الشاهد الأول لمجدك الأول في الشعانين اجعلها مجدداً محط مجيئك الثاني المجيد.

يا رب استمع إلى صوتنا إننا لك وإياك نرجو وحدك.

أعد الكتاب

الدكتور يوسف هزيم

الإخراج الفني

المهندس سامر شاهين

تصميم الغلاف

توفيق الحداد

مطبعة باب توما – وليم اسطفان

دمشق

الطبعة الأولى

٢٠٠٤